المركز القومى للترجمة



محمد لطفى جمعة

ميراث الترجمة

مائدة أفلاطون

كلام فى الحب

تصدير ودراسة: مجدى عبد الحافظ

الطبعة الثانية

مائدة أفلاطون

(كلام فى الحب)

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة

المشرف على السلسلة: طلعت الشايب

- العدد: ٨١٧/ ٢
- مائدة أفلاطون: كلام فى الحب
- أفلاطون
- محمد لطفى جمعة
- مجدى عبد الحافظ
- ٢٠٠٩

هذه ترجمة:

مائدة أفلاطون

تأليف الحكيم اليونانى
فسرها باللغة العربية محمد لطفى جمعة
مصر ١٩٠٨ ـ جنيف ١٩١٢

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554

مـائدة أفـلاطـون

كـلام فى الحب

تأليـــــف: أفــلاطــــــــون
ترجمـــــــة: محمد لطفى جمعـــة
تصدير ودراسة: مجدى عبد الحافظ



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١١٥٢٨ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولي: 3 - 379 - 479 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المركز.

تصدير

فى إطار سلسلة ميراث الترجمة التى تصدر فى إطار المشروع القومى للترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة، يسرنا أن نضع بين يدى القارئ العربى ترجمة لمحاورة المأدبة "مائدة أفلاطون" التى قام بترجمتها محمد لطفى جمعة (١٨٨٦-١٩٥٣)، أحد الكُتَّاب المتميزين فى بداية القرن العشرين. ربما لم يأخذ حقه فى الشهرة، وإن بدأ يجذب إليه اليوم كثيراً من الدارسين الأكاديميين الذين أخذوا ينكبون على تراثه الأدبى الرفيع الذى خلّفه، مما انعكس أثره على الساحة الأدبية فى صورة دراسات معمقة حوله، أو تجميع لكتاباته - وما أكثرها - وتقديمها للقارئ المعاصر. وما أصعبها مهمة، إذ بلغت مؤلفاته المطبوعة، والتى نفدت أغلبها - فيما عدا ما أعيد طبعه حديثًا - حوالى ستة وثلاثين كتابًا فى مجالات التأليف الأدبى والفنى، والترجمات، وأدب الرحلات، والقانون، دون ذكر ما لم يتم طبعه حتى الآن وهو أيضًا كثير.

ولا تكمن أهمية إعادة طبع هذا الكتاب فى تقديم إحدى الترجمات الأولى لأهم محاورات أفلاطون فحسب، ولكن هى محاولة من جانب آخر لقراءة ذلك العصر الذى تمت فيه هذه الترجمة، خاصة وأن كاتبنا يقدم للترجمة التى تقع فى سبعين صفحة بمائتين وست صفحات. وهى محاولة من جانبه ليؤطر بها تلك الترجمة التى يوظفها فى مشروع فكرى حضارى يهدف أولاً وأخيراً إلى إنهاض الأمة والدفع بها إلى مصاف الأمم المتقدمة. ولطفى جمعة فى ذلك لا يُعتبر خروجًا عن المألوف فى الحركة الفكرية لبداية القرن العشرين؛ إذ ينتمى إلى رجالات الفكر والفن والثقافة فى ذلك العصر الذى كان يغلى بأفكار التحرر والاستقلال فى إطار النزعة المصرية الوطنية التى بلغت أوجها فى ثورة ١٩١٩. كان لطفى جمعة ينتمى لفصيل من المثقفين ساعده الحظ فى أن يكمل

تعليمه العالى فى أوروبا، وعلى الأخص فى فرنسا؛ حيث درس القانون فى مدينة ليون فى مطلع القرن، ولم يمنعه هذا من حضور محاضرات جوبلو، أستاذ تاريخ المذاهب الفلسفية، بكلية الآداب جامعة ليون عام ١٩٠٩ كما يصرح بنفسه. وحاول بكل ما أوتى من قوة استثمار وجوده فى قلب العالم الحديث للاطلاع على الآداب والفلسفات الغربية فى المكتبات الجامعية والعامة. أكثر من ذلك أنه بدأ الكتابة والتأليف فى الآونة نفسها، وهو ما نعرفه من خلال ما يقوله بنفسه عن كتابه "تاريخ فلاسفة الإسلام فى المشرق والمغرب" الذى نشره فى عام ١٩٧٢: "ترجع فكرة تأليف هذا الكتاب إلى نحو عشرين عاماً مضت، منذ كنت أتلقى العلم فى مدرسة ليون الجامعة، وفى تلك المدينة المطمئنة، دونت أوائل تلك الفصول...". وهو ما يقوله نفسه هنا أيضاً عن ترجمته للمأدبة التى بدأ فى ترجمتها بليون أيضًا عام ١٩٠٨ وأتمها عام ١٩١٢ بمدينة جنيف. وربما تكون ترجمته تلك - على حد علمنا - أولى الترجمات العربية لهذه المحاورة المهمة التى حظيت بأكثر من ترجمة؛ حيث ترجمها د. على سامى النشار وآخرون ضمن ترجماتهم لمحاورات أفلاطون مع دراسات حولها، إضافة إلى الترجمة التى قدمها وليم الميرى فى عام ١٩٧٠. ومحاورة المأدبة (مائدة أفلاطون) تُعتبر من أشهر محاورات أفلاطون التى أنجزها فى سنوات نضجه، لذا نجدها مترجمة إلى أكثر لغات العالم.

ولا يفوتنى فى نهاية هذا التصدير أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور حسين عبد القادر الذى أمدنى مشكوراً ببعض الكتابات حول محمد لطفى جمعة، وإلى الأستاذ الدكتور مصطفى النشار الذى تحدثت معه حول ترجمات محاورة "المأدبة" فى اللغة العربية، وهو ما أفادنى فى كتابة تصدير ومقدمة هذه الطبعة الجديدة من المأدبة (مائدة أفلاطون).

علـى مـائدة أفلاطـون

بقلم : مجدى عبد الحافظ

لم يكن الهدف من ترجمة المأدبة (مائدة أفلاطون) هـو تقديم عمل علمي أكاديمي، موجه للمتخصصين من دارسي الفلسفة، فهذا ما لم يدر بخلد محمد لطفي جمعة حين هم بترجمته تلك. فهو خارج إطار تخصصه وهو رجل القانون. لكنه الأديب والمثقف الواعي والكاتب الذي لا يشق له غبار. ملأ الدنيا بالمقالات والدراسات في سائر المعارف والفنون في موسوعية يُحسد عليها. كان يقوم بدور المثقف المنوِّر لأبناء وطنه والذى عليه مسئولية لابد من أن يضطلع بها. كان لديه إحساس يملأ نفسه ويغمرها بالواجب إزاء هذا الوطن بدفعه إلى النهضة حتى يأخذ إخوانه حظهم في التقدم والازدهار، ومساواة الأمم الغربية. ولعل هذا ما يعلل أن يقوم بتقديم ترجمة لم تتعد صفحاتُها السبعين بمقدمة تعدت مائتى صفحة.

وهو ما يبرر أيضًا حكمنا على الكتاب بأنه ليس عملاً أكاديميا صرفًا لأسباب يمكن أن نقدمها على النحو التالي:

(١) ينعدم في التقديم وجود منهج معين أو خطوات الدراسة الأكاديمية الذى تسير عليه الموضوعات التي تعرض لها، وهى عن تاريخ الفلسفة اليونانية، إذ نجدها تتداعى تداعيًا حرا وسريعًا يعتريها في أحيان كثيرة التكرار والإلحاح على نفس الأفكار، وهو ما لا يتفق وأصول التأليف العلمي فى الفلسفة.

(٢) عدم الاهتمام – إلا في النادر – بتوثيق مصادره ومراجعه، وإن قام بذلك فليس من أجل استكمال الشكل العلمي أو حرصًا عليه، ولكن لانخراطه فى التداعى الحر الذى تحدثنا عنه.

(٣) عدم الاهتمام بالإشارة بدقة - إلا فى النادر - إلى ما إذا كان التاريخ الذى يسجله قبل الميلاد أو بعده.

(٤) عدم اهتمامه بالتدقيق فى الأسماء التى تتكرر باستمرار داخل مقدمته؛ فهو يكتبها مرة بطريقة ثم نجدها مرة أخرى بطريقة مختلفة مثل أفلاطون التى نجدها أحياناً أفلاطن (كما كان يكتبها العرب) أو صولون الذى يكتبه مرة بالصاد ومرات بالسين (ص ٧٤). أو هوميروس الذى ينطقه تبعاً للنطق الفرنسى ويكتبه "أوميروس"، وكذلك فعل مع طاليس الذى يكتبه تاليس، أو هيراقليطس الذى يكتبه هيراقليت، أو مع الفلاسفة الذريين الذين أطلق عليهم تسمية قام بتعريبها وهى الفلاسفة الأتوميست، وكذلك أيضاً مع الشكاك الذين أطلق عليهم تارة السبتيك وتارة أخرى المشككون أو المرتابون ... إلخ.

(٥) عدم مراجعته لمقدمته حتى يتخلص مما أسلفنا أو يوحد بين مصطلحاته وأسمائه أو حتى أخيراً يتفادى بعض ما من شأنه أن يعطل المعنى من قبيل - على سبيل المثال - لماذا خلق الله العلم؟ وصحتها: لماذا خلق الله العالم؟ (ص ٦٣)، أو عندما يقول "إن الإغريق أخذوا عن اليونان"! (ص ١٤٠ وغيرها).

ونحن لا نتصيد لهذا الرجل العملاق صاحب الرسالة أخطاء، ولكن أردنا فقط أن نبرهن على أن الكتاب الذى نحن بصدده ليس أكاديميا، ولم يرد مؤلفه أن يكون كذلك كما أسلفنا. ومع ذلك لابد لكل دارس نزيه ألا يغض الطرف عما بذله ذلك الرائد فى هذا الوقت المبكر[1] من جهود حثيثة فى نحت مفاهيم جديدة، حاول أن يعمل فيها فكره عندما تعرض للنصوص الفرنسية لأول مرة وهى كثيرة، نجح فى بعضها أن يعطى معنى سليماً، وفشل فى البعض الآخر؛ ففى مجال المعانى التى نحتها وإن كنا نعرفها اليوم بمصطلحات أخرى: "اجتماع المعانى"، وهو المصطلح المعروف اليوم بـ "تداعى الأفكار" (ص ١٠٤)، و"الافتطار" وهو المعروف لدينا اليوم بـ "الحدس" (ص ١٠٣، ص١٠٦)،

(١) نُشر الكتاب عام ١٩٢٠، لكنه - حسبما يقول الكاتب نفسه - بدأ تحرير صفحات الكتاب عام ١٩٠٨ وأنهاها عام ١٩١٢.

وكتاب كانط "نقد العقل المحض" الذى ترجمه بـ "نقد العقل القائم بذاته" (ص١٠٥)، وما ترجمه بـ "العراك" ذلك المصطلح الشهير بيننا اليوم بـ "الجدل" أو "الديالكتيك" (ص ١٩)، وإن كان ترجمه مرة واحدة بالجدل. كما نجده يترجم ما نعرفه لدى سقراط اليوم بـ "التهكم" بمصطلح "الهزء" (ص٢٩)، ويترجم "فلسفة اللذة" بـ"فلسفة الملاذ" (ص ١٢٨)، و"الكلبيين" يعربها بـ "السينيك"وإن كان يذكر مصدرها فى اليونانية "الكلب". ونجده يترجم مصطلح "الأوبتيمزم" مرة بتركه هكذا مُعربًا، ومرة أخرى بـ"الاستبشار" (ص ١١٨، ١١٩) وهو المعروف لدينا اليوم بـ "التفاؤل". ومع أنه ترك بعض المصطلحات كما هى عندما عربها مثل "إيدياليست" ليُعبر عما نعرفه اليوم بـ "المثالى"، أو "رياليست" ليُعبر عما نعرفه اليوم بـ "الواقعى" (ص ٩٤)، أو "الاجزتاز" (ص ١٣٨) لكى يترجم "النشوة"، مع ذلك فإننا نجده ينحت مصطلحًا لـ "الإتراكسيا" عندما يطلق عليها مصطلح "خلو البال" (ص ١٢٨). ويمكن متابعة تطور المصطلحات العربية عندما يُستخدم للمعنى الواحد أكثر من مصطلح مثل "نظرية التطور" التى يُطلق عليها تارة "النشوء والترقى"، وتارة "التطور والترقى" (ص ١١٦)، ثم نظرية التطور فيما بعد (ص١٠١).

هكذا لم يكن هذا الكتاب خاويًا من جهد ومثابرة ودراسة جادة لمحاولة التعامل مع مصطلحات كانت فى وقتها جديدة ليعطى لها معانى غير مسبوقة، ولعل ما أداه هنا هو ما استفاد به من جاءوا بعده ليترجموا، حتى وإن قاموا بتغيير كثير من المصطلحات التى وضعها، إذ يكفيه فخرًا أنه أول من تعامل معها وقدمها لقراء العربية.

نستطيع أن نؤكد إذن أن الكتاب ليس موجهًا للقارئ المتخصص، لكنه موجه لأى قارئ، وخاصة القارئ العادى الذى يعول عليه كاتبنا فى بناء النهضة، ولطفى جمعة ذاته يؤكد على هذا عندما يعلن أنه يتوجه "لقارئ خالى الذهن" (ص ١٤٠)، ولذا يعرف تمامًا أن مهمته تنحصر فى الشرح، وهو ما نفهمه عندما يصنف نفسه لما يقوم بتقديمه فى هذا الكتاب "كشارح وليس ناقدًا" (ص ١٠٥). وباعتبار المتوجه إليه قارئًا خالى الذهن، نجد كاتبنا يعلم ما يشد ويجذب هذا القارئ لكتاب كهذا عندما يقول "نقلنا ونسقنا الملخص على طريقة حديثة ليكون لذيذًا فى مطالعته".

المهمة الحضارية للفلسفة اليونانية فى النهضة :

الكتاب الذى يسرينه لطفى جمعة إذن لقارئه كتاب ذو رسالة، كتاب يمكن تصنيفه إلى جانب تلك الكتب النهضوية. والسؤال الذى يفرض نفسه: إذا كان ذلك كذلك، فلم ليس كتابا عن الفلسفة اليونانية بالذات؟

الإجابة ليست صعبة، بل يمكننا أن نستقيها من خلال مؤلفه نفسه، بل ومن خلال التيارات الفكرية التى كانت منتشرة فى بدايات القرن العشرين، حيث كان الحديث على أشده عن أن أوروبا لكى تنهض كان لابد من أن تستلهم الحضارة والفلسفة اليونانية، ومن ثم إذا أرادت مصر أن تنهض فلابد أن تسير على الدرب نفسه، ومن هنا كانت دعوة لطفى السيد أستاذ الجيل، التى وجدت صدى لدى المثقفين الجدد الذين عادوا لتوهم من أوروبا بعد أن أنهوا دراساتهم العليا فى جامعاتها ومنهم محمد لطفى جمعة، ولعل لطفى السيد هو الذى التزم أكثر من غيره فى الترجمة عن اليونان حتى تعدت ترجماته الشيء الكثير. لكن لطفى جمعة يؤمن بالفكرة نفسها ويرددها فى مؤلفه هذا كثيراً؛ إذ كان مقتنعًا تمام الاقتناع بها ويربط بين تقدم الغرب ونقلهم عن اليونان، وينعى على أن هذا لم يتم بعد فى اللغة العربية: "وقد عُنى الإفرنج بنقل ما وراء الطبيعة لأرسطو عناية تامة ولكنه لم يُنقل برمته إلى اللغة العربية ولا فائدة فى نظرنا للنهضة التى لا تبدأ بنقل مؤلفات اليونان إلى اللغة العربية ودرسها وتمحيصها ..." (ص ١٠٢)، وذلك لإيمان محمد لطفى جمعة بثمرات عقول حكماء اليونان التى "لو جُمعت ونُظمت ودُرست على حقيقتها لكانت كافية لتنوير الإنسانية وتقدمها إلى آخر الدهر؛ ودليلى على ذلك أن هؤلاء الحكماء الأوائل لا يزالون ولن يزالوا المصدر الأول لكل من يريد أن يستقى الحكمة من منبعها، ولا يزال كل من يجهل آثارهم لا يعد داخلاً فى زمرة العلماء والمتأدبين" (ص ١٩٩). من أجل تحقيق هذا الهدف نجده يقترح "نقل جميع مؤلفات فلاسفة اليونان إلى اللغة العربية ولا أرى وسيلة لتقدمنا العقلى بغير هذا". (ص ٢٠٣ – الهامش).

هذه المهمة الحضارية التى يرجوها كاتبنا للفلسفة اليونانية فى واقعنا الحضارى فى مصر، لا ينساها عندما يقدمها، ولهذا نجده يقوم بالتركيز فيها على ربط الفلسفة بالواقع، بحيث تصبح الفلسفة لديه فلسفة عملية، وعندها سيسود النظام والتناسب والانسجام. ومن هنا نجده مهتما بتحول اهتمام الفلسفة من الطبيعة إلى المنطق، ومن النظر فى الكون إلى النظر فى ذاته. عندما تكون الفلسفة معنية بحياة وسعادة الإنسان. ولهذا لا يتباطأ فى الربط بين الفلسفة اليونانية والحديثة (ص ٢٣). من هنا أيضًا لا نستغرب من أن نجد بين دفتى هذا الكتاب – وهو مكرس عن الفلسفة اليونانية ومحاورة المأدبة (مائدة أفلاطون) – أسماء فلاسفة معاصرين نطالعهم كلما استغرقنا فى الكتاب مثل: ديكارت، وأوجست كونت، ووليم چيمس، وبرجسون، وألفرد فوييه، وريبو، وكانط، وستيوارت مل، وهربرت سبنسر، وچان چاك روسو (الذى يطلق عليه أستاذى وحبيبى)، ونيتشه، وليبنتز، وڤولتير، وبنتام، والمؤرخ الإنجليزى چيبون، وشارل ليل، وباسكال، وإرنست هيكل، وغيرهم .. ولهذا نتفهم مغزى عبارته من أن "الثورة ضد الدين هى الفلسفة الأولى".

الفلسفة اليونانية لديه إذن وسيلة وليست هدفًا فى ذاته، وسيلة لتربية ذواتنا لنقوم بوظائفنا المفترض أن نقوم بها فى واقعنا، ومن ثم سنستظل بالعدل الذى نرجوه، ولم لا؟ وقد أكد فلاسفة اليونان من قبل أن اتفاق النفس وذاتها أى "عندما يقوم كل جزء من النفس بوظيفته فتطيع الشهوات الشجاعة وتطيع الشجاعة العقل، حينئذ يولد العدل" (ص ٦٥).

نقده للكُتّاب العرب من الناقلين :

ومحمد لطفى جمعة الذى أخذ على عاتقه تحقيق مهمته من خلال الفلسفة اليونانية، لا يتوانى عن إكالة النقد اللاذع لما نقله العرب قديمًا عن اليونان وشابته شوائب الخطأ والتحريف عما كتبوه عن أفلاطون (ص ٧١)، وما كتبوه عن المشائية (ص ٧٢)، ولم يشعر بأية غضاضة عندما يقول إن "كتاب العرب لا يكلفون أنفسهم

تحقيق شئ؟، أو عندما يقول "لم نجد لهذه الخرافة أصلاً".(ص ٧٦)، أو "انظر إلى هذا الخلط وقارن كل الحوادث .." (ص ٧٧)، أو "هذا خطأ وقع فيه القفطى كغيره .." (ص ٨٤)، بل يكيل له النقد القاسى لإساءته فهم فلسفة ديوچين وكتابته عنها بغير علم .. (ص ١٦٣-١٦٤)، ويقول عنهم فيما يتعلق بفيثاغورث "ونسبوا إليه ثمانين كتاباً وقالوا مائتين وثمانين كتاباً .(هذا إحصاء كتاب العرب) ولا يخفى على القارئ أن معظم ما رواه العرب عن فيثاغورث هو من قبيل الأساطير الموضوعة كما أنهم لم يدركوا أو لم يشاءوا ذكر الحقيقة" (ص ١٤٧). ويضيف "وذهبت (أفكار دعامتهما البعث وتقمص الأرواح وحلولهما في أجسام غير أجسامهما عند فيثاغورث) ذهبت بذهاب القائل بهما إلا من أعمال المشعوذين من العرب الذين تمسكوا بأسرار الأعداد وسحرها إلى وقتنا هذا، ومن العجيب أن العرب ذكروا بالتفصيل مأكل فيثاغورث ومشربه ولم يذكروا تاريخ مولده ولا تاريخ وفاته .." (ص ١٤٨). والحقيقة أن هذا النقد اللاذع الذى يوجهه كاتبنا موجه أصلاً إلى الطريقة التى يتم بها التعامل مع التراث اليونانى، خاصة عندما ينصب الاهتمام على ما لا يحقق غرض النهضة، مثل اهتمام العرب قديماً ببعض موضوعات الشعوذة، وعدم تحريهم الدقة العلمية التى تنبع أصلاً من المنهج العلمى الذى يعتمد على العقلانية. وهو ما نفهمه عندما يقول: "ونحن لا نريد الغض من قدر هؤلاء الكتاب ولكن الذى يدهشنا منهم إلقاء القول على عواهنة وعدم التحقق من معنى الاسم أو السن أو تاريخ الميلاد والوفاة؛ فإن كانت هذه حالهم فى بسائط الأمور فكيف حالهم فى جليلها؟" (ص ١١٢-١١٣).

ما كان يوده لطفى جمعة أن توضع الأفكار التى يُشتم فيها رائحة الخرافة موضع التفسير العلمى، أو قراءتها فى ضوء العلم، وهو ما يقوم به نفسه عندما يعلل ظاهرة فيثاغورث عندما يقول: "وعندى أن هذا التخيل بعيد المدى الذى جعله يشهد العالم بحسه وحدسه ويسمع حفيف الكواكب إنما هو نوع من الانجذاب اللطيف الذى يعلله العلم الحديث بأنه غيبوبة مغنطيسية فتخيل إليه أثناءه أنه صعد إلى السماء وحادث الملائكة إلى آخر ما روى عن فيثاغورث وأمثاله. وهذه "الحالة الانجذابية" هى التى تجعل لذويها أتباعاً وأنصاراً يفدونهم بحياتهم ونحن لا نريد تكذيبها أو دحضها إنما

نحاول تعليلها تعليلاً علميًا لتفسيرها وإدراك حقيقتها" (ص ١٤٩-١٥٠). إذن لم يكن الرجل على الإطلاق متبنيًا لموقف استشراقى ضد العرب، أو أنه يردد أقوال بعض المستشرقين المتعصبين ضدهم، بل على العكس تمامًا "ونحن لا ننتقص هؤلاء فهم أجدادنا وأساتذتنا وبلغتهم نكتب ومن فضلهم تتغذى عقولنا، وقد غذوا أوروبا ذاتها بلبان العلم والحكمة منذ آلاف السنين" (ص ١٥٦). ينصب النقد إذن عندما لا يقرأ العرب التراث اليونانى قراءة معرفية يمكن الاستفادة بها فى واقعهم المعيش، ومن هنا نفهم مغزى نقده لهم عندما لم ينفذوا إلى المغزى الحقيقى لمحاكمة سقراط، "لم يفقه العرب معنى تهمة الثورة التى نُسبت إلى سقراط ولا طريقة المحاكمة ولا تنفيذ الحكم ولا دفاع سقراط (...) لعدم إدراك الأنظمة الاجتماعية والسياسية التى كانت سائدة فى اليونان. ومن اهتمامهم بالقصص والأحاديث الطلية وانصرافهم عن خلاصة الفكر الحقيقى وعلى الخصوص لاكتفائهم بالرواية عن بعضهم فإن ما تجده فى كتاب تجده فى عشرة غيره مع تحريف بسيط بحيث لا يدرى الإنسان أى المؤلفين نقل عن غيره لأنهم سامحهم الله يأنفون ذكر المصادر (رغم باعهم الطويل فى هذا)" (ص١٥٧-١٥٨). هنا نفهم منطلقات نقده الذى انصب على طريقتهم فى مقاربة وفهم أفكار الفلاسفة اليونان، ولهذا نجد محمد لطفى جمعة لا يتوانى دائمًا عن التذكير بفضلهم وإجلاله لهم حتى لا يفهم نو الأحكام المتسرعة عكس ذلك "على أننا لا نريد الانتقاص من قدر كتاب العرب، فإننا نجلهم ونمجد ذكرهم لأن لهم علينا وعلى الإنسانية فضلاً لا يُقدر" (ص ١٥٩).

ولكى نؤكد على ما ذكرنا، ونبعد عن كاتبنا شبح تهمة التغرُّب أو التحدث بلسان الغرب وتبنى أفكاره بصورة عمياء، يمكننا إبراز تلك العقلية النقدية التى اتسم بها، ولم تكن حكرًا على ما كتبه عن بنى جلدته من العرب فقط، فها هو يوجه نقده أيضًا إلى أقطاب الفلسفة اليونانية عندما يقول فيما اتصل بمفهوم العدل لدى أرسطو: "ونحن نخالف أرسطو فى هذا الرأى وننقضه ونقول أنه يؤدى إلى أسوأ النتائج وأنه لا يوجد نظام أفضل من العدل والمساواة فى حكومة الأمم" (ص ١٠٧)، أو عندما ينقد الجميع عندما يرى أن العرب أخذوا عن أرسطو اهتمامه بالقلب وجعله مركز الحواس والذاكرة

والمخيلة والذوق المعنوى لذا جعلوه فى أشعارهم مركز الشجاعة والحب والاخلاص "وهذا أيضاً شائع عند الإفرنج ولكنه رأى فاسد" (ص ١٠٤). ولا يسلم أفلاطون من نقده عندما يقول عنه إنه كان يعاقب فى جمهوريته الإلحاد؛ حيث نظم محكمة لمعاقبة الملحدين أفظع من محاكم التفتيش ولكن (الله) سلم (ص ١٦٦).

نخلص مما تقدم أن لطفى جمعة تصدى لكل الأفكار التى وجد فيها ما لا يتفق والعقل أو العدل، وهو ما جعله أحياناً يعطى بعض التعليقات على ما يذكره من مثل طرد الإمبراطور دوميتان عام ٩٠ بعد الميلاد إيبكت مع جميع الفلاسفة؛ لأنهم ضايقوه بمبادئهم التى تقاوم ظلمه، نجد كاتبنا يعلق على الواقعة بعبارة «العفو يا صاحب الجلالة» (ص ١٩١).

معالجته للتوفيقية :

مقاربة التراث اليونانى باعتبارها مهمة يحملها محمد لطفى جمعة تكمن إذن فى الكيفية التى يمكن الاستفادة بها فى واقعنا العربى المعيش، ومن هنا نجد تركيزه الأكبر ينصب على التوفيقية وهى سمة الفكر العربى فى عصره وحتى اليوم، وهى رؤية واعية ناضجة مُسلمة بكل العناصر المكنة فى تلك القضية القديمة الحديثة والتى لم نقل فيها كلمة فصل بعد إلى اليوم. وعرض كاتبنا القضية ينم عن معرفة دقيقة بطبيعة المجتمع اليونانى الذى لم يكن فى طريق الفلسفة فيه عائق يعوقها، فالأمة اليونانية كما يرى "أمة دون عقيدة إذ لم تكن خاضعة لأنظمة دينية أو لسلطة خفية تعمل على خنقها من وراء ستار مثل ما وقع فى أوروبا القرون الوسطى ولابن رشد" (ص ٩٨)؛ لذا لم يكونوا فى حاجة إلى التوفيق الذى يعتبره محمد لطفى جمعة رياءً "لم يكن الفلاسفة اليونان فى حاجة للرياء والنفاق لكى يوفقوا بين الحكمة والدين كما هو شأن الحكماء فى البيئات المتدينة" (ص ٨٩-٩٠)؛ إذ يرى كاتبنا هؤلاء الحكماء بين نارين: ما تمليه الحكمة والعلم عليهم وفيهما ما لا يتفق مع العقائد الدينية تمام الاتفاق، وإما السعى

إلى التوفيق بين الفلسفة والدين وفى هذا ما فيه من الخروج على الحكمة والدين معًا .. (ص ٩٠). وهكذا نشأت الفلسفة اليونانية كما يقول "عن عراك الدين والعقل فليس فى آرائهم نضال بين الفكر الحر الطليق والتقاليد الموضوعة المصطنعة". ويستطرد بأن الأقدار قد شاءت بأن "يُحلق (الفكر) فى سماء الحكمة بغير قيد ولا شرط، لأنه لم يكن لدى الأمم اليونانية كتب مقدسة تنص على أمور معينة وتحدد أصل الخلق وتشرح تاريخ الإنسان والطبيعة على طريقة معينة" (ص ٩٠). هذه الوضعية الخاصة بالمجتمع اليونانى هى التى جعلت الفلسفة اليونانية تقضى "اثنى عشر قرنًا متمتعة بالعقل الإنسانى وقضى العقل هذا الحين من الدهر متمتعًا بالحرية ولم يجرؤ أحد على إلحاق الأذى بالعقل بتقييده ولم يجرؤ أحد على إرغام العقل على القول بآراء لا يؤمن بها" (ص ٩١). لكن السؤال هل من الممكن أن نسير نحن أيضًا فى العالم العربى على ما سار عليه اليونان؟ وإذا كانت الإجابة بالإيجاب فكيف نتصرف فى الدين إذن؟

يعطينا محمد لطفى جمعة الإجابة أولاً برصد خطأ بعض فلاسفة العرب "إذ حاول (بعضهم) التوفيق بين الدين والفلسفة، ولست أدرى لماذا كان ميل حكماء العرب للتوفيق شديداً وقد حداهم مراراً إلى الوقوع فى الخطأ .." (ص ٩٢). التوجه الذى يحبذه كاتبنا هنا ويحثنا عليه هو الفصل بين الحكمة (الفلسفة) والدين، حيث لكلاهما طريقه ومجاله، فميزان الاعتدال يقضى بهذا حتى لا تصبح الحكمة معادية للشريعة ولا تصبح الشريعة معادية للحكمة كما نجده لدى القائمين عليهما "ولعمرى إن الحكمة بريئة من العداء والدين كذلك برىء من الاضطهاد وإن لكل منهما طريقًا يسلكها ودربًا يسير عليه، ولكن القائمين بالاثنين معًا هم الذين فقدوا ميزان الاعتدال فخلطوا بينهما باسم التوفيق وألحقوا الأذى بهما باسم الحق. وما كانوا يعملون إلا باطلاً" (ص ٩١).

أثر الحضارة المصرية على اليونان :

والفلسفة اليونانية التى يحتفى بها كاتبنا ليست إلا قبسًا من نور حضارتنا المصرية القديمة، وهذا ما يراه ويؤكد عليه لكى يغذى أحاسيس الوطنية لدى مواطنيه من المصريين، بل ويدفعهم نحو الأخذ والاستفادة بتراث هذه الحضارة التى كنا فى

سالف الأزمان معلميها ومقصد فلاسفتها، وهذا المعنى يُشاع فى الكتاب ويُكرر ويتم التركيز عليه[٢]. "ويزداد عجبنا وخسرتنا وأسفنا على جهلنا إذا علمنا أن الفلسفة اليونانية (...) ليست إلا شعاعاً من النور الذي انبثق من مصر؛ فقد رحل إليها تاليس وفيثاغورث وأفلاطون وكل عظيم من فلاسفتهم لم يخط حرفًا لم يكن تلقى أصله من مصر العظيمة، فانظر أيها المصرى وقارن وتأمل" (ص ١١٦-١١٧). ولعلنا نرصد هنا تلك الحرارة الوطنية التى يتحدث بها محمد لطفى جمعة عن مصر والأثر الذى أحدثته منذ آلاف السنين ليس على الحضارة اليونانية فحسب ولكن على العالم أجمع، حيث "بلغت علومها (مصر) وفنونها وآدابها منذ أربعين أو خمسين قرنًا مبلغًا لا تزال آثاره ظاهرة للعيان فى آثارها ونقوشها وصحفها". ومن هنا كان فضلها على اليونان "فيكفينا فى التدليل على قدر مصر أن هياكلها المقدسة كانت مدارس لفلاسفة اليونان أمثال من ذكرنا، وفيثاغورث نفسه أقام عدة سنين يتلقى العلم على الكهنة فى معابد ثيبة وهليوبوليس". إن ذكر كاتبنا لفضل مصر على اليونان الذى يعمل على الاستفادة من تراثها، هو كما قلنا محاولة لدفع مواطنيه إلى استلهام تاريخهم المضىء، والسير ببلادهم على خطى أجدادهم الذين أقاموا الحضارة وأشاعوها على بلدان الدنيا. لذا نجده يتساءل ويقارن بين هذا المجد التليد وذلك الحاضر المتراجع، "فأين هذا كله الآن؟ وهل ترى فى مصر وقد زاد خصبها وزكا زرعها وفاض نيلها وتضاعف عدد سكانها جزءًا من مليون من علوم مصر العظيمة التى فنيت؟ هل أشرق فى سماء مصر شعاع واحد من تلك الأشعة التى انبعثت فى فجر المدنية فأضاءت اليونان أولاً والعالم كله ثانيًا؟" (ص ٢٠٠).

---

(٢) انظر صفحات ١٠٥، ١٤٠، ١٤٦، ٢٠٠، ١١٦، ١١٧، وغيرها من الصفحات؛ حيث تتكرر الفكرة كثيراً وهو ما وجدناه اليوم فى مؤلفات عربية وأجنبية متعددة، وهو ما كان كاتبنا سباقًا إليه.

دور الخاصة فى تقدم المجتمع :

إن استعانة محمد لطفى جمعة بالفلسفة اليونانية – كما أسلفنا – هى محاولة لتوظيفها فى إحداث النهضة فى مجتمعه، وهو يعلم تمام العلم "أن النهضة لن تتحقق إلا عن طريق الخاصة الذين ينشرون العلم والفكر دائماً، وهم الطليعة التى تتقدم دائماً جمهور العامة. وهذا التفكير كان منتشراً على مدى واسع فى هذه الآونة نتيجة لتفشى أفكار المادية الميكانيكية التى تعطى مساحة لدور أكبر للخاصة من المثقفين والمفكرين، بحيث إنهم الذين يأخذون دائماً بيد العامة. ومن هنا كان تركيز كاتبنا على حياة سقراط النضالية، وعلى الأخص موقفه فى مجتمعه، وهو ما رأيناه عندما وجه نقده إلى العرب لأنهم لم يفهموا معنى تهمة الثورة التى نُسبت لسقراط، ولا الظروف التى أحاطت بمحاكمته وموته. إن سقراط يمثل لكاتبنا دور الخاصة فى مواجهة العامة فى أى مجتمع كان، لذا نجده يؤكد : "الحقيقة أن موت سقراط كان ضروريا لختام حياته الجميلة ليكون رمزاً دائماً فى تاريخ البشر على جهل الجمهور وغباوة الأغلبية ودليلاً على شجاعة الحكماء وقوة روح البذل والتضحية" (ص ٩٧). وما حدث فى اليونان يمكن أن يحدث فى أى بقعة من العالم حيث إن الطبيعة الإنسانية واحدة، والبشر لا يختلفون فى طبائعهم عندما يتربصون بخاصتهم من العباقرة الذين يسبقونهم علماً وفكراً. "الطبيعة الإنسانية هى فى كل زمان ومكان وكل عبقرى أو نابغ يكون فى الحقيقة غريباً فى وطنه ووحيداً بين أبناء عصره لأنه يسبقهم بفكره مراحل وأجيالاً"، ولهذا لا يتردد كاتبنا فى استنكار هذا السلوك المشين الذى يودى بحياة العلماء والمفكرين فى كل زمان ومكان، "وإننا نستهجن الآن إحراق فيثاغورث وقتل سقراط ومحاولة اغتيال أفلاطون وأرسطو، وهذا الاستهجان ليس إلا غشا وخداعاً منا لأنفسنا ولغيرنا لأننا إذا رأينا الآن بين ظهرانينا نابغاً أو ممتازاً فلا نلبث أن نكرهه ونحتقره ثم نضايقه لنخمد أنفاسه، وإذا استطعنا قتله فإننا لا نتردد، وإلا فكيف نفسر تعذيب العظماء والحكماء فى القرون الوسطى والقرون الحديثة؟" (ص ١٩٨). من هنا فإن استنكار التعرض لقادة الفكر قديماً أو حديثاً عمل لابد من مساندته حتى نتخطى

ـهلنا لندرك الحقيقة، ومن ثم يمكن بناء النهضة التى يدعو إليها كاتبنا، حيث "إن ـصبية الإنسانية ليست فى عجزها عن إدراك الحقيقة. ولكنها فى طمس معالم الحقيقة ـلما ظهرت، ودفنها تحت أكوام مكدسة من تراب الجهل" (ص ١٩٨).

ـصادر ومراجع مقدمة محمد لطفى جمعة:

ويمكن أن نشير إلى المصادر والمراجع التى اعتمد عليها محمد لطفى جمعة فى ـقدمته الطويلة لترجمة المحاورة، وهو ما لم يحرص على إثباته فى نهاية بحثه، ولكن ـكن الإلمام به من خلال ما أشار إليه بنفسه فى المقدمة، وهى على النحو التالى:

- محاضرات جوبلو، أستاذ تاريخ المذاهب الفلسفية بكلية الآداب، جامعة ليون، ١٩١٠.
- زيلر، تاريخ أقطاب الفكر فى بلاد اليونان.
- و. بن، تاريخ الفلسفة القديمة.
- كتاب تاريخ تاسيت.
- إليزابيث كارتر، كتاب عن إبيكت فى ستة أجزاء.
- چون لوبوك، كتاب سعادة الحياة.
- چون لوبوك، كتاب منافع الحياة.
- مارك أوريل، الكتاب الذهبى.
- إرنست رينان، تاريخ الفلسفة المسيحية، المجلد السابع، ١٨٨٢.

إضافة إلى المراجع العربية التى يذكر منها: القفطى، والشهرستانى، وشبلى ـميل فى كتابه مذهب النشوء والارتقاء.

ترجمته للمحاضرة ١

أشرنا فى البداية إلى أن الترجمة الصحيحة، وهى المعروفة الآن لهذه المحاورة، هى "المأدبة" وليس "مائدة أفلاطون" كما ترجمها محمد لطفى جمعة. ولعله نفسه قد تيقن من ذلك بعد حين، ففى عام ١٩٣٠ وبعد عشر سنوات من نشر ترجمته نجده يقول: "وفى مصر أديب قام فى سنة ١٩٢٠ بنقل مائدة أفلاطون إلى اللغة العربية (وهو يقصد نفسه)، ويحسن فى نظرنا الآن أن نعدل الاسم من المائدة إلى المأدبة فنقول "مأدبة أفلاطون" لأنها أقرب فى نقل كلمة Banquet ، أما المائدة فهى الأثاث التى تُصف عليها أصناف الطعام، ويجلس حولها الأضياف، وهى ما يسميها العرب "الخوان" ويطلق عليها العوام فى مصر كلمة "طبلية" مُحرفة من كلمة Table الفرنسية. أما كلمة مأدبة فتشمل الخوان والطعام والأضياف ومكان الضيافة وزمانها، وهذا بالفعل ما قصد إليه أفلاطون بكتابه، لأنه عبارة عن حوار فلسفى جميل حدث بين فلاسفة وأدباء ومتكلمين فى مأدبة أقامها أحدهم"(٣)، وعلى كل فالاسم الذى عدله كاتبنا بنفسه هو الاسم الذى عُرفت به تلك المحاورة فيما بعد فى اللغة العربية. إلا أن العنوان الفرعى لها، وهو ما ترجمه بـ"كلام فى الحب"، وهو ما ترجمه مترجم آخر بـ "فلسفة الحب"(٤)، هو فى حقيقة الأمر Discours وهو ما نترجمه بخطابات أو (خُطب) فى الحب، إلا أن تعبير الخطاب لم يكن معروفًا فى تلك الآونة.

وتُعتبر "المأدبة" المحاضرة الثانية بعد محاورة فيدون التى افتتحت لديه محاورات النضج، وهى الموازية لإبداع الأكاديمية، والتى تظهر فيها الأفكار الفلسفية الأساسية لفلسفة أفلاطون، حيث تقف محاورات النضج بين المحاورات السقراطية الأولى من جهة ومحاورات الشيخوخة من جهة أخرى. و"المأدبة" هى الأكثر شهرة بين المحاورات،

---

(٣) محمد لطفى جمعة، فى الأدب والنقد، إعداد ومراجعة : رابح لطفى جمعة، عالم الكتب، ط١، عام ٢٠٠٠، ص ٨١٦-٨١٧.

(٤) المأدبة، فلسفة الحب، ترجمة وليم الميرى، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠.

. تتابع فيها الخطابات التى تقوم بمدح الحب. وكما يصفها مؤرخو الفلسفة اليونانية غربيون، فإنها تجمع بين الجدة والجلال، وتتواصل فيها الكوميديا حتى الهزل، كما جمع بين النظر والشعرية والمسرحية. ومع ذلك فهى نص أساسى فى الفلسفة لأن وضوع الذى تتم مقاربته هنا هو الحب. والفلسفة التى نقوم بتعريفها تقول بأنها "محبة" الحكمة وليس امتلاكها. يشكل أطراف المحاورة أشخاص معاصرون لأفلاطون ذى يعمل من خلال الحوار بينهم إلى الوصول إلى إبراز ما يتمتع به سقراط من كمة. والحب الذى يتحدثون عنه بداية هو الإيروس Eros ، بينما تجسد أفروديت الحب ن الرجال والنساء. يقوم كل خطاب بالعمل تبعًا القواعد الكلاسيكية التى تميز خطابة فى المجتمع اليونانى. ودون الدخول فى تفاصيل المحاورة، سنجد أن كل فاهيم الأفلاطونية تتقاطع فيما بينها داخل النص، وكما يرى بعض مؤرخى الفلسفة ى هذه المحاورة أنها تمنع أن تظهر مثالية أفلاطون فى صورة العقلانية الباردة، ؤكدين أن الفلسفة هى أصلاً حياة وتطلع نحو رغبة، أى هى الحب. إضافة إلى ما لمنا إياه تلك المحاورة حول العلاقة الغرامية ومشاعر الحب، وهو ما دفع چان چاك يسو إلى القول إن فلسفة المحبين الحقيقية هى فلسفة أفلاطون(٥).

ورغم الجهد المبذول فى الترجمة، ومحاولة إيجاد تعبيرات يمكن أن توصل المعانى تى كان يتعامل لطفى جمعة معها لأول مرة فى لغته العربية، فإن كاتبنا يسقط من جمته التى أنجزها فى ١٩٢٠ من خطاب أريستوفان ما قاله بخصوص العلاقات نثلية، والتى أشارت إليها ترجمة أخرى فى ١٩٧٠ حيث تقول "النساء اللواتى انشطرن ن أنثى يعشقن بنات جنسهن ولا يأبهن بالرجال، أما الأشطار الذكور... فيميلون إلى ذكور دون سواهم ويسرهم القرب منهم والاتصال بهم، وهؤلاء خير من لداتهم منذ داثتهم تتوافر فيهم خصال الرجال أكثر من غيرهم ويرميهم البعض بالوقاحة لصفاقة، ولكنهم جد مخطئين فليست الصفاقة هى التى تدفعهم إلى أعمالهم،

---

(٥) انظر: L. Robin, La Théorie Platonicienne de L'amour, P.U.F., 1964

ولكنها الفتوة وروح الرجولة العالية القوية"(٦)، وتُعتبر تلك الصيغة تلخيصًا مخففًا لما جاء بالمحاورة(٧). لكنها تُعبر فى حقيقة الأمر عن حرص المترجم العربى دائمًا على ألا يخرج عن مألوف العادات والتقاليد في مجتمعه حتى لا يؤاب عليه أحداً. لكن يظل السؤال إلى أى مدى يصبح هذا التصرف مقبولاً، خاصة إذا كنا نحرص على أمانة الترجمة ووضعها فى صورتها الأصلية كما كانت فى اللغة التى يتم الترجمة عنها؟

ولعل الترجمة بمقدمتها الطويلة تُعبر عن رأى كاتبنا فى ضرورة الجمع بين التأليف والنقل فى عصره الذى كان يعتبره فترة انتقال، مع تفضيله لترجمة العلوم الدقيقة أو ما كان يسميه بـ "العلوم الحقة".

نتمنى أن نكون قد وفقنا فى أن نُسهل على القارئ الكريم الطريق فى تناول هذا العمل الجاد، الذى وضعه صاحبه فى بداية القرن الماضى ليجيب به عن أسئلة واقعه الملح فى النهضة والتحرر والوصول لمصاف الدول المتقدمة، وترى هل تغيرت الأسئلة التى نطرحها اليوم على أنفسنا؟ ما أشبه الأمس البعيد باليوم !

---

(٦) المائدة ، فلسفة الحب ، مرجع سابق .

(٧) انظر: Platon, Le Banquet, trad. Notices et notes par Emile Chambry, Garnier-Flammarion, Paris, 1964, pp.51-53.

مراجع المقدمة

أ) المراجع العربية :

– محمد لطفى جمعة، مائدة أفلاطون، كلام فى الحب، مكتبة ومطبعة التأليف شارع عبد العزيز، القاهرة.

– محمد لطفى جمعة، فى الأدب والنقد، إعداد ومراجعة رابح لطفى جمعة، عالم لكتب، القاهرة ٢٠٠٠.

– محمد لطفى جمعة، مباحث فى الفولكلور، مراجعة رابح لطفى جمعة، لهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٩.

– محمد لطفى جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام فى المشرق والمغرب، دار المعارف، لقاهرة، ١٩٢٧.

– أفلاطون، المأدبة، فلسفة الحب، ترجمة وليم الميرى، دار المعارف، ١٩٧٢، القاهرة.

ب) المراجع الأجنبية :

- **Platon, Le Banquet, trad. notices et notes par Emile Chambry, Garnier - Flammarion, Paris, 1964.**

- **L. Robin, La Théorie Platonicienne de L'amour, P.U.F, 1964.**

- **E. Clément, Pratique de la Philosophie, Hatier, Paris, 1994, (en collaboration).**

مائدة أفلاطون

كلام في الحب

منقول عن الحكيم اليوناني

بقلم

محمد لطفي جمعة

تاريخ الفلسفة اليونانية

-١-

أصول الفلسفة اليونانية — مدنية يونان — الشعر يمهد الطريق للفلسفة

لم تولد الفلسفة فى بلاد يونان ذاتها انما ولدت بين ظهرانى الأغريق الذين كانوا يعيشون على شواطىء آسيا الصغرى وفى جزر بحر ايجية وكان ظهورها فى الوقت المناسب بعد أن مهدت لها الطريق الأشعار الطويلة والأعياد الدينية والحروب الداخلية وبعد أن بدأ الشعراء الحكماء يدونون خواطرهم وتأملاتهم ، وبعد أن ولد علم الكائنات وترعرع فى القرن السابع ق . م

ملأ هؤلاء الأغريق البعيدون عن وطنهم البحار بسفنهم وطافوا أنحاء الأرض فى سبيل التجارة . وأسسوا مدنية وهذه المدنية الراقية وعلاقاتها بالأمم المختلفة وسياحات أربابها فى المحيط والتطورات التى اقتضتها أعدت الأفكار للفلسفة .

وكل المدن التى كانت منتشرة على الشواطىء فضلت حريتها واستقلالها على الإنضمام لبعضها البعض لتكوين وحدة سياسية . ولم تتم تلك الوحدة إلا لمحاربة الفرس . انما كانت علاقاتها ببعضها البعض مستمرة

وكانت تنطلق فى كل أربع سنين من كل المدن والجزائر السفن الكبرى مملوءة بالهدايا والقربان والرجال والنساء مزينين ومزينات للاحتفال بعيد أيونيا فى جزيرة ديلوس ، وقد امتزجت بهذا العيد الدينى الالعاب الرياضية والرقص ، وهذان أعدا فن النحت باعداد الأبدان الحية ، وفى ساحة كبرى كان الشعراء ينشدون قصائدهم والمنشدون قصائد غيرهم وفى الساحة العامة كانت تنصب سوق تتبادل فيها المتاجر فيحضر الاثينى بفخاره والميليزى بصوفه وأهل أيونيا بزيوتهم الطيبة وعطور جزيرة العرب وتبر القوقاز (قولشيت) والاحجار الكريمة والاقمشة الغالية كل من مصدره

وكانت كل مدينة منشقة على ذاتها . وقد استبدلت الملكية البطريقية (سيادة الوالد) التي كانت فى زمن هوميروس بنظام أوليجاركي ثم اختفى هذا النظام وقد

اقتضت هذه الاحوال وضع قوانين جديدة . عامة وخاصة

وكان التشريع صعبا فى هذه المدن القوية لارتباك الحياة ونموها لذا قام الشعراء الأقدمون وأوائل الفلاسفة بأعباء السياسة واشتغلوا بها باعتبار أفضليتهم

وفى شعر هوميروس لا يختلف التعليم الأدبي عن الحقائق ونتائجها ثم بدأ التفكير ضعيفا عند هزيود وذلك لملاقته بعواطف الشعراء . يذكر هزيود خلافه مع أخيه بيرسيه عند ما يكتب فيقول « العراك نوعان الأول مذموم وخيف وهو الخصام والدعوى والثانى شريف وعظيم وهو مباراة المتفننين وأرباب الصنائع » وقد أوحي اليه ما قاساه من ظلم الملوك ديوان « البلبل والباشق » ومما جاء فيه :

« لتتحارب الحيوانات المتوحشة والاسماك والطيور ولتفن بعضها بعضا لأنه ليس بينها عدل ، أما البشر فقد أعطاهم زفس العدل وهو أحسن الأشياء » . وفى قصيدة « العمل والايام » : السعادة فى العمل والفضيلة وبهما يحصل الانسان على بركة الرب ورضى « المشترى » وبهما يتقى شر الكذب والظلم

هـذا أول أشكال الفلسفة العملية وليس لدينا إلا نبذ من النثر والشعر الموضوعين فى القرون الثلاثة ٩ — ٦ قبل المسيح ثم ظهر الحزن (وهو علامة الأمم المتعبة المفكرة) فى شعر ممزم الأزميرى الذى ولد عام ٦٣٢ ق م وهو يتغنى بذكر الشباب ويتحسر على الشيخوخة وتيونين دى ميجار الذى ولد عام ٥٨٠ يقول « أفضل شىء لأهل الدنيا أن لايولدوا ولا يروا أشعة الشمس المشرقة ولكن إذا ولدوا فالأفضل الخروج الى عالم الخفاء بأسرع فرصة وأن يرقدوا تحت الأرض. »

ومن حكماء هـذا العصر الحكماء السبعة الذين لم نعرف أسماؤهم وحاولوا أن ينشروا الأفكار الأدبية فى جمل قصيرة بدون تطويل وجملهم عبارة عن حقائق مفرغة فى قالب سهل وهى إما ثابتة بذاتها أو قائمة على سلطة دينية

وكذلك الشعراء صولون وفوسيلت وتيوجينس عبروا فى شعرهم عن نتيجة الخبرة الانسانية وخطر العنف وضرورة الاعتدال فى الحياتين الخاصة والعامة وفى الوقت نفسه كانت السريرة الادبية تتطهر ثم ظهرت فكرة الله

يناجي أرشيلوك الشاعر الرب زفس « زفس أيها الأب الأعلى يامن تحكم من أعلى السماء وترى مايفعله الناس من خير وشر أنت تعلم ما هو عدل وما هو ظلم فى عالم الحيوان إذاكان زفس صاحب القدرة كلها فكيف يسود الظلم »

ومثله يقول تيوجنيس « من ذا الذى يرى الظلم فى العالم ثم يحترم الأرباب زفس أيها الأب الأعلى انصر العدل »

هذه الثورة ضد الدين هي الفلسفة الاولى

ان قصيدة الاعمال والايام هى أقدم تعبير للفلسفة العملية وقصيدة التيوجونى التى تنسب الى هيزود هى أول شكل من أشكال الفلسفة النظرية واسم هيزود أول الأسماء

وفى القرن السادس ظهر نوع الاورفزم من الاناشيد فان اونوماقريط أحد العلماء الذين كانوا محيطين بيسترات نشر أغاني مقدسة بأسم أورفيه ٥٢٠ — ٥٤٠ ق م وقد استنزل فيها الوحى من الاساطير القديمة ومن الافكار التى كانت ذائعة ومنسوبة الى الشعراء الاقدمين وكل ما نعرفه عن الاورفين وصل الينا من « الاسكندريين » الذين شوهوا

تلك الاغانى بأن جملوها خليطا من سائر الافكار وأعطوها صبغة مقدسة بأن نسبوها الى الحكماء الاول

ومن الاغانى التى استمدت من الاساطير فكرتها أغنية جميلة على الليل والزمان اللذين يلدان الحب ذي الجناحين المذهبين (ايروس) فينمو ويكبر وينحنى فيكون ظهره السماء بنجومها ومن نور عينه يخرج القمر والشمس ومن دموعه يخرج الجنس الانسانى اليائس وابتساماته تخرج شعب الآلهة المقدس

وفى القرن السادس أيضا كتب فيرسيد بالنثر عن الطبيعة والارباب وما دونه من الكوزمولوجيا لا يزال مرتبطا ارتباطا شديدا بالتيوجونا ولكنه يفوق ما دونه هيسود

ويمتاز فيرسيد بأمرين الاول أنه ميز المواد اليابسة (الأرض) عن غيرها كالمواد الجوية وفرق بين المادة والقوة التى تديرها.

ويلاحظ المطلع على تلك الفترة من تاريخ الفلسفة أن فكرة واحدة كانت سائدة وهي فكرة النظام والتناسب والانسجام فهى الفكرة السائدة فى ما يدونه الحكماء

والمشترعون وغيرهم ممن يريدون أن يسود الانسجام

— ٢ —

تقسيم الفلسفة اليونانية ـ بيان عن الفلسفة السابقة لسقراط ـ
تقسيم الفلاسفة السابقين

يمكن تقسيم الفلسفة اليونانية التي تتصل بها الفلسفة اللاتينية الى ثلاثة أقسام أو فترات

القسم الاول يبدأ بتاليس عام ٦٠٠ ق.م وينتهي مع سقراط والفلسفة في هذا القسم هي عبارة عن علم الكائنات الشامل لسائر عناصر الوجود وفي القسم الثاني فتح سقراط للفلسفة بابا جديدا فرفع المنطق والاخلاق على الطبيعيات والقسم الثالث يبدأ بازاء المحدثين من أتباع فيثاغورس واضعي (نيوفيثاغورزم) ويمتد الى نهاية الفلسفة القديمة ويمتاز هذا القسم بامتزاج الفلسفة اليونانية بالروح الشرقي وتفوق الحكمة الالهية والتصوف

كان الفلاسفة الايونيون (اليونان الاقدمون) تاليس وانا كسيما ندرو ديوجين دابولوني والفيثاغوريون والاليات كلهم يبحثون عن مادة الاشياء

١

وفي عهد هيراقليت أصبح السؤال المهم هو معرفة قواعد صيرورة الاشياء وما يطرأ عليها من التطور وطريقة النظر الى المادة الاولى التي يتكون منها الشيء وعليها يتوقف فهم قواعد الصيرورة والتغير . ثم ان اميدوكل والفلاسفة الاتوميست وانا كساجور تأثروا بآراء بارمينيد ضد التحول والتعدد فقالوا بانه ليس هناك صيرورة ولا هلاك بمعنى الكلمة ويفسرون سائر المظاهر الطبيعية باتفاق واختلاف العناصر الاولى (التجاذب والتنافر) .

رأينا في اليونان ان الشعراء يسبقون الفلاسفة ولذا كانت المسائل التي حلها الشعراء الحكماء جمة مهمة فهم يتساءلون عن معرفة تكوين الارض وظهور الانسان وقد قبل الفلاسفة ميراث الشعراء أي أنهم اهتموا بما اهتم به أولئك ولا يزال مجال بحثهم ماديا أي أصل الارض وأصل الانسان ولكن طريقة البحث تغيرت وتغير طريقة البحث أدى الى صعوبة الاهتداء الى حلول تلك المسائل غير المحدودة فانه لا يمكن تعليل الاشياء بتحول مادة أولية كما انه لم يكن ممكنا تعليلها بتاريخ الارباب ولذا

عرضت صعوبات جمة فتقوى العقل البشرى بطول البحث وساد المنطق شيئا فشيئا على علم الكون وساد البحث فى الانتقال من الواحد الى المتعدد وامكان التحول والصيرورة والذى يهم الباحث هو هذا الانتقال الفكرى من الطبيعى الى المنطقى ومن النظر فى الكون الى النظر فى ذاته.

٣ — آراء الفلاسفة الاول

أ تاليس أول الفلاسفة الايونيون كان من أهل ميلت ومن معاصرى كريسوس وصولون ويفرض ميلاده عام ٦٤٠ ق.م ويقول ارسطو فى كتابه « ما وراء الطبيعة » جزء ١ قسم ٣/٩٨٣ ب ٢٠ ان تاليس لم يقل بشيء سوى استبدال المحيط وما عبر عنه علماء التيولوجيا بالعنصر الرطب وهذا التغيير قد أحدث ثورة فى الافكار ويشير ارسطو الى ان العلم الذى كان متعلقا باهداب الشعر قد بدأ ينفصل عنه وأصبح القول بالآراء الشخصية من أهم الامور كذلك الدفاع عنها بالجدل وطرق البحث العقلى ولم يكن ذلك مبنيا على الاساطير المقدسة انما على مراقبة الطبيعة بالذات . قال تاليس «أن كل الموجودات مملوءة بالارباب» ومن المرجح فى

رأى أرسطو أن تاليس تمثل المادة الاولى حية وهذا رأى الاقدمين فى الكاوس (الفوضى الاولى) وانهما قادرة على توليد الأشياء بذاتها

انكسيمندر وهو من أهل ميلث ولد ٦١١ ق.م أخذ أول مبدأ لذاته اللانهاية وقد تخيل اللا نهاية مادة غير محدودة مؤلفة من اختلاط عدة مواد موجودة فى جثمان أو جرم لا يمكن تمييزه

ثم تلاه اناكسمين من ميلت أيضا وأصغر سنا من انكسيمندر وقد يكون تلميذه اتخذ الهواء بداية لكل شىء ويعتقد انه لا نهاية له وانه حى وانه يعتنق العالم بأسره وأنه بحركة مستمرة يولد الموجودات وكل شىء ينتج عنه بالتكثيف والتخلخل

ثم تلتهما فترة وقعت فيها حروب الفرس وجاء ديوجين دابولونى وهو أصغر من أناكساجور (وعاش ٤٥٠ — ٤٨٠) ولا ريب أنه اجتمع به باثينا التى صارت عاصمة الفلسفة وقد قال بأن الكائن الاول ينبغى أن يكون مادة كسائر الاشياء وينبغى أن يكون ممتعا بالفكر فانه ان لم تصدر

الاشياء كلها عن مادة واحدة لا يمكن تعليل أثرها في بعضها البعض سلبا وايجابا وأن قياس الكون وترتيبه حيث كل شيء سائر في طريق الخير يظهران بوضوح ذكاء المبدأ الاول وهذا المبدأ هو الهواء المفكر الذى يحكم الاشياء ويسودها جميعا لانه يخترقها جميعا لانه مادتها.

ان المعروف عن فيثاغورس وتلاميذه قليل والتعويل في القول عنهم هو على كتب ارسطو وعلى بعض نبذ نادرة من مؤلفات فينولاوس

ولد فيثاغورس في ساموس نحو ٥٨٨ وكتب زينوفان وهيراقليت كلاما عنه ومن الراجح انه ظهر اولا في وطنه ثم انتشر اسمه في اغريقية الايونيه . وتصعب معرفة حقيقة الاساطير التى نسبت اليه السياحة الى مصر واشوريا وكلدانيا وبلاد الفرس والهند والمؤكد انه سافر حوالى عام ٥٤٠ الى ايطاليا واستوطن كروتون وتوفى عام ٥٠٠ بمتابونته ولا يعلم أن كان موته قبل ثورة مدن الاغريق الكبرى ضد النظام الذى وضعه والجمعية التى الفها أو بعدها ولم يكن فيثاغورس فيلسوفا فقط بل كان مصلحا سياسيا ودينيا

وقد ألف فيثاغورس جمعية دينية سياسية علمية انتشرت من كروتون الى سائر مدن أغريقية الكبرى وكان يشترط للدخول فيها مدة يقضيها العضو من قبيل التجربة قبل الانضمام النهائي . وكان الاعضاء يتعارفون بأشارات سرية وكان مفروضا عليهم التعاون ومساعدة بعضهم بعضا وواجبهم نحو الرئيس الطاعة المطلقة وأشهر فلاسفة هذه المدرسة الفيثاغورية : — فيلولاوس أحد معاصري سقراط وديموقريط وقد جاء الى طيبة وتعلم عليه سيبيس وسمياس وتيميه دي لوفر والشاعر الهزلي أبيسام وارخنياس دمارنت ونورد رأي أرسطو في أتباع فيثاغورس نقلاً عن كتاب ما وراء الطبيعة قسم ٥٠١ قال أنهم تغذوا بلبان الرياضيات وتأثروا بشدة الشبه بين الارقام والموجودات فظنوا أن عناصر الاعداد هي عناصر سائر الموجودات وان السماء كلها انسجام واحد ورقم واحد فكان العدد هو المادة والشكل بل ان الاعداد هي الاشياء بعينها وينتقد عليهم أرسطو أنهم يخلطون الى هذا الحد بين الاجسام الطبيعية وبين الارقام الحسابية أي بين الاشياء

ذات الثقل والخفة وبين الاشياء التى لاثقل لها ولا خفة

يقول الفيثاغوريون ان العدد الذي هو مادة الاشياء له فى ذاته عناصر (عنصران) هما الزوج والفرد فالزوج هو اللانهاية والفرد هو النهاية وكل شيء مركب من النهاية ومن اللانهاية. كل شيء هو عدد وانسجام وما العدد الا انسجام الزوج والفرد انسجام النهاية واللانهاية. فالانسجام لا ينفصل عن العدد بل هو العدد ذاته. فاذا كان النظام سائدا فى العالم فهذا لان عناصر الاشياء أى الاعداد هى القاعدة والنظام بل هى موسيقى ذلك الانسجام وهنا ترى فكرة الترتيب والقياس والانسجام سائدة على سائر آراء فيثاغورس واتباعه

وغاية تعليم فيثاغورس هى البحث عن الكائن والحقيقة فى العدد وليس هناك غاية للتمييز بين ماهو محسوس وماهو معقول بل امتزج عندهم التعقل والخيال والشعر والدين والعلم والسياسة وكل حالات النفس وأوضاع الفؤاد وصور الفكر ممتزجة عندهم فى وحدة محسوسة مرتبكة.

أشهر فلاسفة مدرسة ايليات هم : زينوفان و بارمنيد وزينون الايلى

ولد زينوفان دى كلفون عام ٥٦٩ وساح من بلد الى بلد يكسب قوته بنشيد شعره ولجأ أخيراً الى ايلية وهى مستعمرة أسسها الآبقون من الفرس عام ٥٤٤ وبدأ زينوفان تعليمه بهجمات شعواء على أرباب العامة فى النبذتين ٦و٧ من مؤلفاته ما يأتى

« لو كان للثيران والاسود أياد لصنعت لنفسها آلهة على شكل أبدانها أن هوميروس وهزيود نسبا للارباب كل ما يشين البشر ويقلل من أقدارهم » ثم ختم قوله بتوحيد الله وهو يقول فى وصفه : أنه رب لا يتعب ويدبر الموجودات كلها بقوة فكره . يقول ارسطو ولم يفصل زينوفان الله عن العالم انما نظر فى السماء بمجموعها ثم قال أن الواحد هو الله وقد خلط الكون بالله وقرر أن الواحد لا يتحول ولا يتغير ثم كان ينبغي لزينوفان ان ينفي التغير والتحول عن العالم كما نفاهما عن الله ولكنه لم يصل الى ذلك بل قال بان العالم لا يتحول فى مادته وقد يتحول فى شكله

بارمنيد

أما بارمنيد الذى يدعوه أفلاطون بالعظيم فقد كان أكثر شجاعة وإقداما . فأنه تغالى فى تقرير مبدأ زينوفان فأنكر بتاتا التغير والصيرورة والتعدد ولا يعترف بسوى الحقيقة الواحدة أو الكائن الواحد الابدى الذى لا يتغير

زينون

كان زينون صديق بارمنيد وتلميذه وقد ولد بايليه فى أوائل القرن الخامس حوالى ٤٩٠ ولعب دورا سياسيا مهما كما فعل أستاذه . ونسب اليه أرسطو فضل وضع المنطق ثم انه قام بتأييد مذهب بارمنيد

شأن مدرسة ايلية

وكان لمدرسة ايليه أثر مهم فى تكوين الفلسفة السابقة لسقراط . فوافق امبيدوكل والاتومست وانا كساجور بارمنيد على القول بأن الكائن الحقيقى هو أبدى غيرها لك وقد نشأ عن القول بهذا الفكر رأى جديد فى الحياة والطبيعة

الطبيعيون المحدثون ـ أولهم هيراقليط ولد عام ٥٠٤

ان هيراقليط أخذ يعلم الهيلوز ويسم (١) *Hylozoisme* ولكنه كان يهتم بتحول الاشياء وتغيرها أكثر من اهتمامه بمادتها فلذا هو يخالف بارمنيد الذى كان معاصراً له . وهكذا يمكن فصل هيراقليط عن الفلاسفة الاقدمين الذين كانوا يهتمون بالمادة ووضعه فى طليعة الحركة الفلسفية التى كان هو من أوائل رجالها ومن أهم تلاميذه كراتيل الذى كان من أساتذة أفلاطون وقد اشتغل هيراقليط بالسياسة وحارب الديموقراطية وكان غامض العبارة حتى أنهم لقبوه بهيراقليط الغامض

وكان هيراقليط هذا يقول بأن الكل يتحرك والكل يسيل والكل يصير الكل والكل هو الكل ومن قوله : النهار والليل والنوم واليقظة والشباب والشيخوخة كلها أشياء واحدة والطين الذى تصنع منه سائر الموجودات هو مادة واحدة تتشكل بأشكال مختلفة . ان العالم محتاج الي التحريك لئلا يعتريه الفساد. لا شيء موجود الكل هو الوجود

---

(١) مبدأ لا يعترف أصحابه بالوجود الا للمادة والكون و ينكرون ماعدا ذلك

الكل يشمل التناقضات وقانون الصيرورة يعود الى قانون اتفاق الاضداد أى كون الاضداد هي الاشياء بذاتها وكل الاشياء تولد من هذا العراك .

وهيراقليط يبحث فى هذه الفوضي عن الانسجام لانه لا يقول بالمصادفات وبحدوث الاشياء اتفاقاً وعرضاً ومن قوله أن النفوس الجافيــة لا تعرف أن الخير والشر يجتمعان فى أثر واحد كما يجتمع فى الانسجام العود والقيثار وكل له أنغام مخالفة لانغام الآخر وهذا الانسجام هو القانون الالهى

امبدوكل

أمبدوكل من أغرب وأعجب هؤلاء الفلاسفة الاقدمين فهو شاعر وخطيب سياسى ونبي مطهر فيقوم بالمعجزات ويحيي الموتي ويوقف الاوبئة ويطوف شوارع اجريجتيه محزما ومتوجا بتيجان خضراء ومعبوداً كأنه بعض الارباب وقد انتحل من الفيثاغوريين تعاليمهم الدينية والادبية وعلم الكائنات الذى قال به هو توفيق بين بارمنيد وهيراقليط فهو يعترف بوجود بعض المواد التى لا تخلق ولا تهلك وينسب كل تغير وتحول الى انفصال وارتباط تلك المواد . لا شيء يعدم ولا

شيء يخلق فليس هناك الا انفصال وارتباط العناصر والعناصر أربعة الارض والماء والهواء والنار والقوى المحركة هي الحب وهو مبدأ الاختلاط والاتحاد والبغض وهو مبدأ الانفصال والانحلال

ليوسيب

لا يعرف عنه شيء تقريباً ولا يمكن تمييزه عن تلميذه وصديقه ديمقريط (٤٦٠) وكان غنياً جداً ووقف أمواله على السياحة والابحاث العلمية وقضي خمس سنين يجاور علماء الهندسة المصريين ولا يعلم عن تاريخ سفره الى أثينا شيء وهو كامبد وكل يريد التوفيق بين التعدد والصيرورة أي التجربة . والحل الذى لجأ اليه ديموقريط هو القول بالجوهر الفرد (اتوميزم) فقال ان الكائن ليس هو الواحد كما ظن بارمنيد انما هو مكون من عدد غير محدود من الذرات والوحدات الابدية غير المنقسمة متشابهة متحركة على الدوام في الفراغ غير المحدود. فبقاء الكائن أمر يمكن التوفيق بينه وبين التحول . لاشيء يأتي من العدم ولا يمكن هلاك شيء من الموجودات انما الميلاد والنمو والموت يمكن تفسيرها بارتباط وانفصال الذرات الاولية المتحركة في الفراغ وتغيير الصفة يرجع الى تغيير الوضع في الفراغ ويعلل ديموقريط هذه الحركة بحركة سابقة لها وهكذا ينسب الحركة السابقة الى حركة أسبق من الاولى

وقد انتقد ارسطو هذا الرأي وقال كان الاولى به ان يقول بأن هذا السؤال لاجواب عليه لان الاشياء كانت على ما هي عليه أبدا وأنه لامجال للبحث عن قاعدة أو قانون

أنا كساجور

من أهل كلازومنيس ولد عام ٥٠٠ وتوفى عام ٤٢٨ أحد الفلاسفة الايونيين جاء أثينا وأقام بها ثلاثين عاما وبها تلقى عليه العلم اربيد وشاهد تشييد البارتينون وعرف فيدياس وصادق بريكليس وحظي بحديث اسبازيا

وقد حاول مثل امبدوكل وديموقريط أن يوفق بين رأي بارمنيد وبين التجربة فقال ان اليونانيين يسيئون القول عند ما يتكلمون عن الميلاد والهلاك لأنه لا شيء يولد ولاشيء يهلك انما الأشياء موجودة تتألف وتتحد ثم تنفصل وان التغيير فى الاشياء ناشيء عن تحول موضعها فى الفراغ وهو يقول بأن عناصر الاشياء وجدت منذ الازل وأن كل شيء يمكن تقسيمه الى اللانهاية الى أجزاء متشابهة ذات صفات مختلفة والعشب الذى يأكله الثور يتحول الى دم وعظم وعضل لانه يشمل الدم والعظم والعضل وبعبارة أخرى كان رأى

أنا كساجور هو الذى قال به بعد ذلك جوردنانو وباسكال وليبنتز

رأيه فى أصل العالم

فى أول الوجود كان الخلق مضطربا مرتبكا فلاجل خروج العالم من تلك الفوضي اقتضى ذلك تداخل قوة محركة مدبرة آمرة مرتبة . وهذه القوة هي العقل والذى يمتاز به العقل هو البساطة والقوة والعلم ولكن لم يكن لانا كساجور رأى واضح فى الفرق بين الروح والمادة فهو يتكلم عن العقل بعض الاحيان كما يتكلم ديوجين دابولوين عن الهواء المفكر ويقول عنه أنه أخف وانقى الاشياء وأن كل الكائنات المفردة تحتوى على إجزاء منه وان أرواحها تقرب الى الكمال بقدر ما تحتوى من مادته ويرى من ذلك ان انا كساجور هو أول من ادخل فى الفلسفة فكرة قانون روحانى يرتب العالم وينظمه . ان انا كساجور لفت نظر العقل الانسانى نحو ذاته وبذا أعد فلسفة جديدة وهي فلسفة السفسطة التى اشتغلت بالفكر عن الموجودات

أصول السفسطائية — السفسطائيون المشهورون — وآثارهم فى تكوين الفلسفة

كانت الفلسفة اليونانية فى أول أمرها غزيرة بالآراء وأنظمة الفكر وطرق البحث فقد وضع هيراقليط أكبر قواعد علم الخوارق عند ما قال أن كل شيء يتغير الا قانون التغير ذاته كذلك بارمنيد ينكر الصيرورة (التجربة) ولا يعترف بغير حقيقة واحدة وهي حقيقة الواحد المتحد بذاته الابدي وقد اكتشف ديموقريط في المادة سيادة الروح على الموجودات. ولكن كل قاعدة كان يقول عنها صاحبها أنها عبارة عن الحقيقة ذاتها فاذا كان العالم باق كما هو والمعضلة المطلوب حلها لا تتغير فلماذا تتعدد الحلول هذا هو الذى دعا الفكر الى التنبه والحذر من خطأه وكانت حال بلاد اليونان السياسية والاجتماعية تقتضى وجود خطباء حاذقين يلعبون بالافكار ويهمهم الفوز على الجموع أكثر مما يهمهم قول الحق لذا نشأ فريق السفسطائيين ولم يؤلف السفسطائيون مدرسة فلسفية بالمعنى الصحيح وكانوا ينكرون الحق والخير المطلقين ولم يكن لهم غاية سوى الانتفاع بالاشياء وسنأتى على آراء أشهرهم

أشهرهم بروتاجوراس وجورجياس وبروديكوس وتراسيماك وابونيديم

أما بروتاجوراس فقد اتخذ نظام هيراقليط بداية لتعليمه ولكنه اغفل ذكر العقل العام الذي قال عنه هيراقليط أنه سبب الانسجام ووحدة الذات في المتناقضات اذن لا يبقي سوى حوادث خارقة للعاده وحركة مستمرة . وليس يوجد باب للمعرفة الا الحواس الخمس فالانسان أصبح مقياس الاشياء وكل معرفة نسبية بالنسبة للروح التي تعرف . فلا يخرج الانسان من ذاته . والحكيم كطبيب النفس لا يمكنه أن يخلق فيها أفكاراً أصح وأصدق من الافكار الموجودة بها ولكنه يمكنه أن يوجد بها أفكاراً أنفع وأجمل فالحكمة هي صنعة الاسعاد

وجورجياس ولد عام ٤٢٧ وجاء الى اثينا سفيراً لمدينة ليونتيم وهي وطنه بصقلية وقد اتخذ تعريف بارمنيد للكائن وطبق هذا التعريف على الكائنات الحساسة ويستنتج ان الكائن ليس في مكان ما لانه لا شيء يوافق تعريف الوجود وجملة تعليمه في ثلاثة آراء الاول ان لا شيء موجود وأنه لو

وجد شيء فلا يمكن معرفته ولو فرضنا وجود الكائن وأمكن معرفته فلا يمكن له أن يعرفه لغيره . قال بروتاجوراس أن كل حكم يصدره الانسان حق وقال جورجياس أن لا حكم حق: يقول لو كان كل حكم حقا فهو قاصر على التعبير عن الظاهر واذا كان كل حكم غير حق فمعني هذا أننا لا نستطيع الا فهم الظواهر

يقول السفسطائيون الذين انتقدهم أفلاطون وسقراط انتقاداً مراً أنه ليس هناك علم انما هناك آراء وليس هناك حقيقة انما هناك ما يشبهها وأن الخير نسبي كالحق وروح الادب هى فن الفوز ومن أقوالهم ان الارباب اخترعها واضعو القوانين ليرهبوا البشر وأنه ليس هناك عدل ولا ظلم ولا حق ولا باطل وان القوانين ما وضعت الا للضعاف الذين لا يستطيعون مخالفتها وأن الخير هو القوة وهو فرح السيادة على الاشياء والفوز على الموجودات وكون القانون الوحيد الذي يقيد الرجل هو ارادته

وظهور السفسطة دليل على اضمحلال الفلسفة اليونانية القديمة وبداية تقدم فى الفكر وأول عهد للبحث فى مسائل معضلة لم تخطر للاقدمين على بال

(سقراط العظيم والفلسفة السقراطية)

لم يكن سقراط فيلسوفا فقط بل كان فيه من صفات الرسل والانبياء وكان يعتقد أنه تسلم من الارباب رسالته فتفرغ لتلك الرسالة وكانت نفسه تحدثه باصلاح وطنه اصلاحا أدبيا ودينيا وأنه ما كان يستطيع أن يرد لبلاد الاغريق مجدها بدون أن يستردوا فضيلتهم . فنشر طريقة جديدة للاهتداء الى الحقيقة واخراجها واحدة ثابتة من كل المظاهر المتعددة قليلة الثبات . وكل ما يحبه فى الحق هو الخير الذى هو الشرط الاول للحق . والمنطق مرتبط فى نظره بالآداب لانه اداتها

ولد سقراط فى اثينا عام ٤٧٠ واشتغل بصنع التماثيل كأبيه ثم تركه واشتغل بالحكمة والوعظ وكان قوى البدن شجاعا يقابل الاخطار بصدر رحب وكان يعتقد أنه يوحى اليه بما يقول وكان يعادى سائر الطبقات فاتهم الشعراء بانهم يقولون ما لا يعلمون واتهم رجال السياسة بانهم ضيعوا مجد الوطن واتهم السفسطائيين بفساد الاخلاق . وقد ذهبت به شجاعته الى هلاكه فأتهموه بالثورة ونسبوا اليه السخط على نظام حكومة وطنه وقد اتهمه ملتيوس وليكون وانيتوس وأرادوا عقابه

بالموت ليكون مثلا فيتقوي الدين الوطني ويظهر مبدأ الديموقراطية على غيره من المذاهب وليراجع دفاعه عن نفسه أمام القضاة في محادثات افلاطون (ابولوجى - كريتون - فيدون) فانه من أجمل وابلغ ما نطق به الانسان

ولم يكتب سقراط شيئا انما نعرف تعاليمه بالنقل عن تلاميذه ومن قرأوا عليه. على اننا نجد في محادثات أفلاطون نظريات أفلاطون ذاته وضعها على لسان معلمه اما زينوفون في «الباقيات» و« المائدة » فهو يشرح بدقة أتم أراء سقراط ويهتم عما يهمه ويلذه من علم الاخلاق وقواعده العلمية فافلاطون فيلسوف متغال وزينوفون ليس كذلك فينبغي لنا والحال هذه المقارنة بينهما والرجوع الى ما كتبه ارسطو في هذا المعني . ان الفلاسفة الاول ارادوا ان يعرفوا كل شيء فلم يقدروا واعطوا الناس حلولا متناقضة. اما سقراط فقدكان أكثر منهم تواضعا وبديلا من أن يلفت الانسان الى الاشياء يكفيه أن يلفته الى ذاته . فأول قاعدة من الطريقة السقراطية هي أن يعرف الانسان نفسه لان الحقيقة ليست بعيدة عنا انما هي فينا ومنا وعلى كل فانه في نفوسنا يمكن وجود الطريق المنطقية الكافية

للوصول الى الحقيقة. كان السفسطائيون ينكرون العلم ومع ذلك كانوا يجدون لكل مسئلة جوابا . اما سقراط فكان يقول كل ما أعرفه هو أنى لا أعرف شيئا ومعرفة جهل الانسان صفة كبيرة لانها عبارة عن الالمام بالعلم وعرفان حدوده والاقتدار على التمييز بين الحق والباطل وقد اكتشف سقراط طريقتين للوصول الى الحقيقة الاولى سلبية وهي الهزء وهى تنجى من الخطأ وتطهر وتسهل لنا التمكن من الحقيقة والاخري ايجابية وهى الميوطيقي أو التوليد وهى تمكننا من الحقيقة التي لا يمكن أن نكتشفها الا فينا والخلاص من الغلط واكتشاف الحقيقة شكلان من عرفان النفس

ولم يكن سقراط يقصد تثبيط همم الناس بالهزل انما يريد تخليصهم من الغلط ويعدهم للوصول الى الحقيقة فأن اكتشاف الانسان جهله هو بداية عرفانه ذاته انما المعلم لا يسلم زمام الحقيقة لتلميذه ولكنه يساعده على استخراجها . قال سقراط « أن صنعتي كصنعة المولدة ولكني أولد الرجال لا النساء واعتني بالنفوس لا بالاجسام » فالعلم لا يسلم قياده ولا يوهب انما هو حاضر فى النفس البشرية التي لا تملكه الا اذا تركته

يفيض منها والعلم يكمل المعرفة التي يصل اليها الانسان أذا عرف ذاته فعمل الاستاذ هو مزاولة الموطيقي أو التوليد أي صنعة معاونه النفوس على «وضع الحقائق» التي لاتحتاج الا لأن تولد فما هي أذن الطرق المنطقية التي تسهل توليد الحقيقة اجاب إرسطو على هـذا السؤال ان هناك امرين ينسبان الى سقراط الأول المقالات القياسية (الاستدلالية) والثاني التعريفات العامة فكان سقراط بطريقته يظهر غرور الفصاحة السفسطائية بتعيين معانى الالفاظ تعيينا دقيقا وبوضع تعريفات تعبر عن طبائع الأشياء وتمكن النفس من الحقيقة التي تستخرجها بعمليات منطقية تشبه الاعضاء الطبيعية للذكاء الانسانى ولاجل الوقوف على حقيقة فكر سقراط نرجع الى ما جاء فى محادثة فيدون التي وضعها افلاطون قال سقراط فى هذه المحادثة (ن ٩٦) «واخيرا سمعت واحدا يقرأ فى كتاب قال عنه انه كتاب انا كساجور (ان الذكاء هو قاعدة وقانون سائر الاشياء فانشرح صدرى لأنني فطنت الى حسن تلك القضية فقلت فى نفسي أذا كان الأمر كذلك فأن الذكاء سيحول الاشياء الى الخير العام فاذا أراد الانسان ان يجد

سبب كل شيء وكيف يولد وكيف يهلك وكيف يوجد فما عليه ألا ان يبحث عن احسن حال يكون عليها الشيء)

اداب سقراط ـ القوانين الالهية ـ علم الفضيلة

نظريات دينية

يقول سقراط ان القانون هو العقل وأن العقل هو الطبيعة ذاتها وأن القوانين الحقيقية هي غير المكتوبة بل التي سطرتها الارباب في قلوب البشر أن من لايطيع القوانين الانسانية قد يسلم من العقاب ولكن من يستخف بالقوانين الالهية لايسلم من العقاب والعقاب يتلوا الزلة فتنتظم الحال ويعود الترتيب بالتكفير عن الذنب . أذا كان الخير هو الحقيقة ذاتها وأذا كان من الخطأ يخرج العقاب بضرورة طبيعته فمن المستحيل ان الانسان يعمل الشر بارادته لان الانسان يريد الخير لذاته على الدوام فأذا كان الخير هو الحقيقة بعينها فخير الفرد لايمكن فصله عن خير المجموع . اذن فالانسان عندما يخطيء أنما هو يخطيء لذاته أو يجني على نفسه وحيث أنه لايريد الا الخير فهو كلما يفعل الشر يكون مخطئا وكل خطيئة ادبية هي غلطة ولايمكن انقاذ البشر من الخطايا الا بتعليمهم

ولا لزوم للتمييز بين النظرية والعمل لان من يملك علم الخير يرى وحدة ذاته مع السعادة ولا يمكنه ألا ان يعمل الخير فالانسان يعمل كما يفتكر فالفضيلة هى اذن علم . فالحكيم هو الذى يفتكر فى الخير ويعمل الخير فاذا كانت الفضيلة علما فيمكن تعلمها والحق انه لا يوجد ألا حقيقة واحدة هى الحكمة انما تعددت اسماؤها بحسبما تكون علاقة الانسان مع ذاته ومع امثاله أو مع الله واذا نظرنا الى الحكمة وعلاقتها بالارادة تصير هى الشجاعة والشجاعة هى علم الاشياء التى تخشى والاعتدال علم السرور والعدل هو علم مايستحقه كل انسان والصلاح هو علم واجباتنا نحو الارباب

وهنا نشير الى اراء سقراط فى الصداقة وارائه في العمل وقوله في المرأة التى يريد جعلها رفيقة الرجل ومساوية له (راجع كتاب أيكونوميكوس تأليف زينوفون ١و٣ و٧ و٩)

أما أراؤه فى السياسة فهو يميل الى الارستوقراطية ويريد حكومة أصلح الرجال وأحكمهم وحاجة المدينة الى العلم كحاجة الفرد فلا تحصل على الخير المطلق الامن طريق العلم

وقد أعطى سقراط دليلين على وجود الاله الاول بالعلل

الفعالة والثانى بالعلل النهائية والدليل الاول هو القول بأن مافينا ينبغي أن يوجد فى العلة التى خلقت العالم . قال سقراط «أحط العلم كله بفكرك تستطع ولكن بدنك ليس الاجزءاً ضئيلا من الارض وأقول كذلك عن الرطوبة وغيرها من العناصر التى تتكون منها الارض كلها عظيمة مهولة ولكن من كل عنصر منها يدخل بدنك جزء يسير وانت تظن انك وحدك امتزت بالعقل» وسقراط يظهر اعجابه بترتيب العالم والنظام السائد وهو معجب باعداد كل عضو فى بدن الانسان لما خلق له ثم ينتقل من المصنوع الى الصانع أي من المخلوق الى الخالق أى من العالم الى الله ويرتفع الى فكرة اله أكبر من سائر الالهة ويقول ان الآلهة الاخرى التى تعطينا الخيرات انما تعطينا اياها دون ان نراها اما الذي يرتب العالم بما فيه من اشياء جميلة وخيرة ويحكمه باسرع من الفكر يعمل امامنا أعظم الاشياء ولكن بدون ان يمكننا من رؤيته فرب سقراط هو العين التى ترى كل شيء وتسمع كل شيء وهو حاضر فى كل مكان وساهر على كل مافى الوجود

ألم يكن هذا دليلا على وجود الله فى نفس الفيلسوف كما كان يقول أنه يسمع فى نفســه صوت الله وقد قال سقراط بخلود النفس تبعا للعدل الالهيّ فانّ النفس خالدة لأنها منفصلة عن البدن وسائدة عليه ولان لها حياة خاصة بها وان الانسان يرى البدن ينحل ويفسد والروح لا يراها أحد بعد الموت ولا فى الحياة ولانها أقدس مافينا ولذا ترجع الى الله . كن ذا أمل فى الموت ولا تفكر الا فى حقيقــة واحــدة وهي ان الشر لا يلحق برجل الخير اثناء حياته ولا بعد مماته لأن الارباب لا تتخلى عنه مطلقا

ما كتبه العرب عن سقراط

اسمه ـ معنى سقراط باليونانية المعتصم بالعدل وهو ابن سفرونسقس ومولده ومنشأه وميتته باثينة

وصفه الطبيعي ـ كان سقراط رجلا ابيض اشقر ازرق جيد العظام قبيح الوجه ضيق ما بين المنكبين بطيء الحركة سريع الجواب شعث اللحية غير طويل. اذا سئل اطرق حينا ثم يجيب بألفاظ مقنعة كثير التوحيد قليل الاكل والشرب شديد التعبد يكثر ذكر الموت قليل الاسفار يجد الرياضة بدنه خسيس الملبس مهيبا حسن المنطق لا يوجد فيه خلل مات بالسم وله مائة سنة وبضع سنين

عائلته ـ خلف من الولد ثلاثة ذكور ولما الزم التزويج على عادتهم الجارية فى الزام الافاضل بالتزويج ليبقى نسله بينهم طلب تزويج المرأة السفيهة التى لم يكن فى بلده أسلط منها ليعتاد جهلها والصبر على سوء خلقها ليقدر ان يحتمل جهل العامة والخاصة

ملخص تاريخه ـ قال القاضى صاعد فى كتاب طبقات الامم ان سقراط كان من تلاميذ فيثاغورس اقتصر من الفاسفة

علي العلوم الالهيـة وأعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها وأعلن بمخالفه اليونانيين في عبادتهم الاصنام وقابل رؤساءهم بالحجاج والادلة فثوروا العامة عليه واضطروا ملكهم الى قتله فاودعه الملك الحبس تحمداً اليهـم ثم سـقاه السم تفاديا من شرهم وله مناظرات جرت مع الملك محفوظة

طريقة تعليمه ـ بلغ سقراط من تعظيمه الحكمة مبلغاً أضر عن بعدة من محبي الحكمة لانه كان من رأيه أن لايستودع الحكمة الصحف والقراطيس تنزيها لها عن ذلك ويقول أن الحكمة طاهرة مقدسة غير فاسدة ولادنسه فلا ينبغي لنا ان نستودعها الاالا نفس الحية وننزهها عن الجلود الميتة ونصونها عن القلوب المتمردة ولم يصنف كتابا ولا أملي علي أحد من تلاميذه ما أثبته في قرطاس وانما كان يلقنهم عله تلقينا لاغير وتعلم ذلك عن استاذه طيماتاوس فانه قال في صـباه لم تدعني أدون ماأسمع منك من الحكمة فقال له ماأوثقك بجلود البهائم الميته وازهدك في الخواطر الحيـة هب أن انسانا لقيك في طريق فسألك عن شيء من العلم هل كان يحسن أن تحيله علي الرجوع الى منزلك والنظر في كتبك فأن كان لايحسن فالزم

الحفظ فلزمه سقراط .

سبب محاكمته — ولما اكثر سقراط على اهل بلده الموعظة وردهم الى الالتزام بما تقضيه الحكمة السياسية ونهاهم عن الخيالات الشعرية وحثهم على الامتناع عن اتباع الشعراء عز ذلك على اكابرهم وذوى الرئاسة منهم واجتمع على أذاه عند الملك والاغراء به احد عشر من القضاة في ذلك الزمن فتكلموا فيه بما افسد عليه قلب الملك وزينوا له قتله والراحة منه وخيلوا له انه أن بقى فى دولته افسدها وربما يخرج الملك بأقواله عن يده فقال الملك أن قتلته ظاهرا ساءت سمعتى واستجهلنى أهل مملكتي والمجاورون لي فأن قدر الرجل لديهم كبير وذكره فى الآفاق سائر فقالوا تحيل له فى سم نسقيه فأسجنه أياما فأمر بسجنه

مدة حبسه

لما حبس الملك سقراط بقى فى الحبس أشهراً بعد فتيا قضاة مدينة اثينس بقتله وسبب ذلك أن المركب الذى كان يبعث به فى كل سنة الي الهيكل المرسوم بهيكل ابولون وهو الذى تحمل فيه الهدايا فى كل سنة الى ذلك الهيكل

لا تتلف نفس علانيـة باراقة دم ولا غـيره حتى يرجـع الى اثينس وأنه عرض للمركب فى البحر عارض منعـه من المسير فأبطئ قتله تلك الشهور فلم يقتل حتى انصرف المركب

اجتماع أصحابه به في سجنه عن رواية خفراطيس

«كنا جماعة من أصحابه نختلف اليه نتوانى فى كل يوم فى الغلس فاذا فتح باب السجن دخلنا اليه فأقمنا عنده أكثر نهارنا فلما أن كان قبل قدوم المركب بيوم أو يومين وافيت في الغلس فاصبت اقريطون وقد سبقني فلما فتح الباب دخلنا معاً فصرنا اليه فقال له اقريطون أن المركب داخل غداً أو بعد غد وقد أزف الامر وقد سعينا فى أن ندفع عنك مالا الى هؤلاء القوم وتخرج خفياً فتصير الي رومية فتقيم بها حيث لا سبيل لهم عليك »

رفضه الفرار

«فقال سقراط يا قريطون قد تعلم أنه لا يبلغ ملكي أربعمائة درهم وأيضا فانه يمنع من هذا الفعل ما لا يجوز أن يخرج عنه فقال له اقريطون لم أقل هذا القول على أنك تغرم شيئاً وانا لنعلم أنه ليس لك ولا فى وسعك ماسأل القوم ولكن أموالنا

متسعة لك بذلك وبمثله أضعافا كثيرة وأنفسنا طيبة باداثه
لنجاتك والا تفجع بك فقال ياقريطون هذاالبلد الذى فعل بي
فيه ما فعل هو بلدى وبلد جنسي وقد نالني فيه من حبسي ما
قد رأيت وأوجب على فيه القتل ولم يوجب على لشئ استحقه
بل لمخالفتي الجور وطعنى على الافعال الجائرة وأهلها والحال
التى وجب على بها عندهم القتل هي معي حيث توجهت وأنى
لا أدع نصرة الحق والطعن على أهل الباطل والمبطلين وأهل
رومية أبعد منى رحماً من أهل مدينتى فهذا الامر اذا كان باعثه
نصرة الحق فهي حيث توجهت واجبة على فغير مأمون
هناك على مثل ما أنا فيه ثم لا يعطف واحداً منهم على رحم
يفديني بها فقال له اقريطون فتذكر ولدك وعيالك وما تخاف
عليهم من الضيعة وارحمهم ان لم تشفق على نفسك فقال الذى
يلحقهم من الضيعة برومية كذلك ولكنهم هاهنا أحرى بأن
لا يضيعوا معكم خبرني يا أقريطون لو أن الناموس مثل رجلا
فقال لى يا سقراط أليس بى اجتمع أبواك وبى كان تأديبك
وبي تدبير حياتك أكنت أقول لا أم أقول الحق الذى هو

الاقرار بذلك فقال له بل الحق قال سقراط أفرأيت أن قال لى أفى العدل أن يظلمك ظالم فتظلم آخر ـ أفكان يجوز لى أن أقول نعم قال له اقريطون لا يجوز ذلك قال له سقراط فان قال الخر وجك من الصبر على ما حكم به الحاكم خروج عن الناموس ونقص له أم لا أيجوز أن أقول ليس بنقص وخروج عن الناموس فقال له اقريطون لا يجوز ذلك فقال له سقراط فاذاً لا يجب أن ظلمنى هؤلاء القضاة أن أظلم الناموس

اعتقاده فى الاحلام

ودار بينهما فى ذلك كلام كثير فقال له اقريطون أن كنت تريد أن تأمر بشيء فتقدم فيه فأن الامر قد أزف فقال يشبه أن يكون كذلك لانى قد رأيت فى منامي قبل أن تدخل على مايدل على ذلك .

يوم اعدامه

فلما كان ذلك اليوم الذى عزموا فيه على قتله بكرنا كالعادة فلما جاء قيم السجن فزآنا فتح الباب وجاء القضاة الاحد عشر فدخلوا ونحن مقيمون على الباب فلبثوا مليا فخرجوا من عنده وقد قطعوا حديده ثم جاءنا السجان فقال ادخلوا فدخلنا

وهو على سرير كان يكون عليه فسلمنا وقعدنا فلما استقر بنا المجلس نزل عن السرير ونزل معنا اسفل منه وكشف عن ساقيه فمسحهما وحكهما

اقو اله قبل موته

ثم قال ما اعجب فعل السياسة الالهية كيف قرنت الاضداد بعضها ببعض فأنه لا يكون لذة ألا وتبعها ألم ولا ألم الا وتبعته لذة فأنه قد عرض لنا بعد الالم الذى كنا نجده من ثقل الحديد فى موضعه لذة وكان هذا القول سببا للقول فى الافعال النفسانية ثم اطرد القول بينهم فى النفس حتى أتي على جميع ماسئل عنه من امرها بالقول المتقن المستقصي ووافى ذلك منه على مثل الحال التى كان يعهد عليها فى حال سروره من البهج والمزح فى بعض المواضع وكلنا نتعجب منه اشد التعجب من صرامة نفسه وشدة استهانته بالنازلة التى قد نهكتنا له لفراقه وبلغت منا وشغلتنا كل الشغل ولم يشغله عن تقصي الحق فى موضعه ولم يزل شيء من اخلاقه واحوال نفسه التى كان عليها فى زمن امنه الموت وقال له سيماس فى بعض مايقول له وأمسك بعض الامساك عن السؤال أن التقصي فى السؤال

عليك مع هذه الحال لثقلا علينا شديداً وسماجة فاحشة وأن الامساك عن التقصى فى البحث لحسرة علينا غدا عظيمة لما نعدم فى الارض من وجود الفاتح لما نريد فقال له يا سيماس لا تدعن التقصي لشيء أردته فان تقصيك لذلك هو الذى أسر به وليس بين هذه الحال عندى وبين الحال الاخرى فرق فى الحرص على تقصي الحق.

اعتقاده بالخلود

ثم قال: انا وان كنا نعدم أصحابا ورفقاء أشرافا محمودين فاضلين فانا أيضا اذ كنا معتقدين متيقنين بالاقاويل التى لم تزل تسمع منا فانا نصير الى اخوان أخر فاضلين أشراف محمودين منهم أسلاؤس وأبارس وأرقيليس وجميع من سلف من ذوى الفضائل النفسانية وعدد أقواما غير من ذكرنا فلما تصرم القول فى النفس وبلغوا من سؤالهم الغرض الذى أرادوا سألوه عن هيئة العالم وماعنده من الخبر فى ذلك

رأيه فى الارض

فقال اما ما اعتقدناه وبيناه فهو ان الارض كرية وان الافلاك محيطة بها ومحيط بعضها ببعض الاعظم بالذى يليه فى

العظم وأن لها من الحركات ما قد جرت المادة بالقول به وسمعتموه منا كثيرا فأما ما وصف أناس آخرون فانهم وصفوا شيئاً كثيرا ثم قص قصصا طويلة فى ذلك مما ذكره الشعراء اليونانيون القائلون فى الاشياء الالهية كاوميروس وارفاؤس وأسيدوس وابيذفليس

خطبة الموت

فلما فرغ من ذلك قال اما الآن فأظنه قد حضرت الساعة التي ينبغى أن نستحم فيها فلا نكلف النساء احمام الموتى فى صيوان الحكم فان الارماماني يعنى السياسة قد دعتنا ونحن ماضون الى زاوس

وأما انتم فتنصرفون الي أهاليكم ثم نهض ودخل بيتا يستحم فيه فأطال اللبث فيه ونحن نتذاكر ما نزل بنا من فقده وأنا نعدم أباً شفيقا ونبقى بعده كاليتامى ثم خرج الينا وقد استحم فجلس ودعا بولده ونسائه فأتى بهم وكان له ابنان صغيران وابن كبير فودعهم وأوصاهم بالذى أراد وأمر بصرفهم فقال له قريطون ما الذى تأمرنا به ان نفعله فى ولدك وأهلك وغير ذلك من أمرك .

وصيته بنفسه

فقال لست آمركم بشيء جديد بل هو الذى لم أزل آمركم به من الاجتهاد فى اصلاح أنفسكم فانكم اذا فعلتم ذلك سررتمونى وسررتم كل من هو مني بسبيل فقال له أقريطون فما الذى تأمرنا به أن نعمل اذا مت فضحك ثم التفت الى جماعتنا فقال أن قريطون لا يصدق بجميع ما سمع منى ولا أن الذي يخطب ويخاطبه منذ اليوم هو سقراط ولا يظن ان الذي يفعل ذلك به ليس الا جسد سقراط وأنا أظن الآن انني سأفوز منكم بعد ساعة فان وجدتني ياقريطون أفعل بي ما تشاء

جلاد فيلسوف

فأقبل خادم الاحد عشر قاضيا فوقف بين يدي سقراط فقال له ياسقراط انك حرى معما أري وماعرفته منك قديما أن لا تسخط على عند ما آمرك به من أخذ الدواء اللازم باضطرار لانك تعلم أنى لست علة موتك وان علة موتك قضاء الاحد عشر وأنى مأمور بذلك مضطر اليه وأنك أفضل من جميع من صار الى هذا الموضع فاشرب الدواء بطيبة نفس واصبر على الاضطرار اللازم ثم ذرفت عيناه وانصرف عن

الموضع الذى كان واقفا فيه بين يدى سقراط فقال سقراط تفعل ذلك ثم التفت الينا فقال ما أهيأ هذا الرجل قد كان يدخل الي كثيرا فأراه فاضلا فى مذهبه ثم التفت الى اقريطون فقال له مر الرجل أن يأتى بشربة موتى ان كان قدسحقها وان كان لم يسحقها فليجد سحقها وليأت بها فقال أقريطون الشمس بعد على الجدار وعليك من النهار بقية فقال له سقراط قل للرجل حتى يأتى بالشربة فدعا اقريطون غلاما له فافضى اليه بشىء فخرج الغلام مسرعا فلم يلبث ان دخل ومعه الرجل وفى يده الشربة

تجلده وصبره لدى الموت

فنظر اليه كما ينظر الثور الفحل الى مايهابه ثم مد يده فتناولها منه والتفت اليه وقال له يمكن ان تخنف من هذه الشربة شربة لانسان آخر فقال انما يدق منها مايكفى الرجل الواحد فقال له أنت عالم بما ينبغى أن يعمل اذا شربت فامر بذلك قال ليس هو الا أن تتردد بعد شربها فاذا وجدت ثقلا فى رجليك استلقيت فشربها فلما رأيناه قد شربها رهقنا من البكاء والاسف مالم نملك معه أنفسنا وعلت أصواتنا بالبكاء

فاقبل علينا يلومنا ويعظنا ثم قال انما صرفنا النساء لئلا يكون مثل هذا فاما الآن فقد كان منكم أعظم. فاما أنا فسترت وجهي وكنت أبكي بكاء شديدا على نفسي اذ عدمت صديقا مثله ثم سكتنا استحياء منه وأخذ في التردد هنيهة ثم قال للرجل قد ثقلت رجلاي فامره بالاستلقاء وجعل يمس قدميه ثم غمزهما فقال له هل تحس غمزي قال لا ثم غمزه غمزاً شديداً فقال له هل تحس غمزي قال لا ثم غمز ساقية وجعل يساله ساعة بعد ساعة هل تحس فيقول لا ورأيناه يجمد أولا فأولا ويشتد برده حتى انتهى الى حقويه ثم غمزه فلم يحس بذلك فكشف عنه وقال لنا اذا انتهي هذا البرد الى قلبه قضي عليه ثم قال سقراط لقريطون لسقلابيوس عندنا ديك فأعطوه اياه وعجلوه فقال له قريطون نفعل ذلك وان كنت تريد شيئا آخر فقل فلم يجبه وشخص ببصره. فأطبق اقريطون عينيه وشد لحييه

(الفلاسفة السابقون لأفلاطن من تلاميذ سقراط
ويسمون مجازاً أنصاف سقراط)

كان تعليم سقراط متينا ومركبا بحيث لا يمكن أن تتشعب عنه عدة تعاليم ولم يهتم كل من تلاميذه الا بما ينفعه بالذات فاكتفى الميجاريك من اتباعه *Megarique* بالمنطق واهتم السيرانيك *Cyrènaique* والسينيك[1] بالاخلاق وقد اظهرا وحدة الحق والخير والعلم والفضيلة ولكن لم يستبن هؤلاء الحكماء حاجة الاخلاق الى المنطق وحاجة المنطق الى الاخلاق . ولكن أفلاطن وحده تمكن من فهم مجموع أراء الاستاذ فأضاف الى تعاليمه أراء الفلاسفة السابقين وكون من التعاليم كلها تعليما جديداً محبوك الاطراف وسع المبادئ المتناقضة

(اريستيب مؤسس مذهب برقة الفلسفي «سيرانيك»)

ولد في سيرين عام ٤٣٥ وعاش أمداً في بلاط دينيس

---

(١) الميجاريك علم على مذهب فلسفي من اتباع سقراط نسبة الى بلدهم كذلك سيرانيك علم على مذهب آخر نسبة الى برقة اذ كانت مستعمرة يونانية . أما السنيك فهم الفلاسفة المستخفون بالدنيا وزخرفها وهم أيضاً فرقة من اتباع سقراط العظيم . واصل اسمهم نسبة الى الكلب .

عاتية سرقصة وقد قابل بالبلاط أفلاطون ولكن لم ينل أفلاطون رضى الملك لما كان عليه من الحرية وكرامة النفس بينما نالها اريستيب بتذلله وخنوعه ومبدأ أريستيب أن الانسان لا يعلم الا ما تشعر به الحواس وان ما يسبب شعورنا هو خارج عنا كما أننا لا نعرف كنه ما يشعر به غيرنا من الناس وأنه ليس هناك فكر ولا حكم ولا علم .

كان سقراط يرى أن الفضيلة شرط السعادة وأن العلم شرط الفضيلة وأن السعادة ليست بعيدة عنا لأنها فى السرور الحالى الوقتى أى فى حركة الشعور الحاضر فلا نهتمن المستقبل لأنه ليس لنا وليس شىء أفضل من السرور وليست الفضيلة الا وسائل السرور والحرية الحقيقية كائنة فى تحرير النفس من رغباته

ومن تلاميذه افيمير الذى قال بأن الارباب ما كانوا سوى رجال ممتازين وقد مجدهم الناس بعد موتهم ومن تلاميذه هجسياس قال بأن اللذة غاية الحياة ولكنها ليست تابعة لارادتنا ولكن الالم محيط بنا ويصيبنا بأشكال مختلفة فأفضل الاشياء للانسان أن يموت . وكان هجسياس هذا يعيش فى

الاسكندرية لعهد البطالسة وقد سموه خطيب الردى

مدرسة السينيك (مذهب المستخفين بزخرف الدنيا)

رئيسها انتيستين ولد فى أثينا عام ٤٤٤ ق . م أثرت فيه بساطة سقراط وتواضعه واستغناؤه عن سائر الاشياء القائضة وكان قبل ان يتلقى عن سقراط تلميذا لجورجياس . وكان منطقه سفسطائيا فانكر الفكر العام وسائر الحقائق العلمية ويقول بأن الفضيلة هى الخير الاعلى وكل ماعداها لاشيء وانه لاينبغي الفرار من العمل والالم انما ينبغى بالعكس أن يبحث عنهما وكان هيرقل نموذج الفضيلة

وكان انتستين يلتقى بتلاميذه بمكان اسمه سينوسارج ومن هذه الكلمة كان أول اسمهم (سينك) وتنسب تلك التسمية أيضاً الى لفظ الكلب فى اليونانية وكان يقول ان أعقل الرجال هو أقلهم رغبات وأقدرهم على احتقار الطيبات التى يحبها غيره والحرية هى الخلاص من الشهوات وان من يملك الفضيله لايفقدها بعد ذلك وأن الحكيم يكتفى بذاته لانه يملك كل شيء وقد أدى هذا التفريط في العناية بالاشياء الي تشويه

مبدأ اتباع انتستين وصار علما على ديوجين الكلبي أعظم المستخفين بالدنيا

(مذهب الميجاريك)

اما ايقليد دى ميجار فقد آوي تلاميذ سقراط واتباعه بعد موته واشتهر بالمنطق وتعليمه الفلسفى مزيج من تعليم سقراط وبرمنيد وقد تكلم عنه وفند آراءه أفلاطون في محاورته (السفسطائي) وكان يقول ليس فى العالم الا الخير. توحد فى الجوهر وتعدد في الاشكال (الاعراض) فالواحد هو الخير والعناية هي الخير والله هو الخير والعقل هو الخير وما ليس خيرا فليس له وجود مطلقا وهو ينكر التعدد والصيرورة ويقول بأن العالم ليس فيه الا ما نراه من الظواهر وان الآراء باطلة وتعلمها لا يؤدى بالقائلين به ان يسيروا بعيدا

أفلاطون ـ حياته ـ مؤلفاته ـ فلسفته

ولد أفلاطون باثينا وقال بعضهم باجينا عام ٤٢٨ وكان جده لامه من أولاد صولون وجده لابيه من نسل كودروس آخر ملوك أثينا وبدأ يتلقى العلم على سقراط عام ٤٠٨.

وبعد أن مات استاذه آواه ايقليدس بجواره ثم سافر بعد ذلك سفرة طويلة حملته الى سيرين حيث درس الرياضيات على تيودور الطاطيقي ثم قصد مصر فاسيا الصغرى وسافر فى الاربعين من عمره الى ايطاليا فتعرف الى اتباع فيثاغورس ثم ذهب الى صقلية وسيراقصة وتقرب الى ديون صهر دنيس العاتية ولكن حرية فكره لم ترض دنيس فباعه عبدا رقيقا وشراه صديق له ورده الى أثينا ففتح مدرسة للفلسفة في حدائق أكاديموس (اكاذمية) وبعد أن مات دنيس العتيق بقليل عاد أفلاطون الى سرقصة طمعا بعودة دنيس الصغير لانه كان فى وطنه وحيدا مرتابا فى أمره بلا تأثير لذا هاجر ظنا منه أنه يلقي بصقلية مجالا للعمل لانه كان يريد صنع الخير وكان ذا ثقة بنفسه وخيل له أنه سيعيد الى سرقصه مجدها اذا

حقق فيها مبادئه السياسية وقد استقبله دنيس استقبالا حسنا ثم ما لبث أن مل أفكار الاصلاح التي شرحها له أفلاطون وبعد قليل نفى ديون صديق أفلاطون واضطر أفلاطون للفرار ثم سافر عام ٣٦١ مرة ثالثة الى صقلية وأراد أن يوفق بين ديون المنفى ودنيس الصغير ولكنه لم ينجح فى مسعاه وكان فى خطر الموت لولا تداخل ارخيتاس دى تارنت أحد اتباع فيتاغورس. فعاد أفلاطون من سفرته وقد انقشعت عنه غيوم الخيالات والآمال فى البشر فتفرغ الى الحكمة وذهب الى الفلسفة بكليته ومات عام ٣٤٧.

محاورات أفلاطون

توجد باسم أفلاطون خمس وثلاثون محاورة بعضها مشكوك فى صدق نسبته اليه والبعض ترجح نسبته وبعض كتب ورسائل سابعها أحقها بالنسبة اليه ويمكن ترتيب محاورات أفلاطون حسب ترقيه الفكرى فقد كان فى أول الامر تحت تأثير سقراط فاشتغل بمسائل الاداب وكتب خلال تلك الفترة اتريفون ومينون واحتجاج سقراط على أهل أتينا وكريتون وبروتاغوراس وجورجياس

وفي الفترة الثانية بدأ يكون تعليمه وكذلك أخذ يكتب محاورات نصيبها من النظريات الفكرية أكثر من نصيب الاولى وهى تيتونس والسفسطي وفيلبوس وبارمنيد وكراتيل ومدبر المدينة.

وفى الفترة الثالثة تمكن من أفكاره تمام التمكن وأخذ يكتب النوع الثالث من محاوراته وهى التى جمعت بين دقة المنطق وجمال الشعر وهي المائدة وفيدون وتيماوس والنواميس والجمهورية أو السياسة المدنية

نظرية المعرفة ـ درجاتها الاربع ـ المنطق الصاعد ـ التذكر ـ المنطق الهابط ـ التقسيم

اشتغل أفلاطون قبل كل شيء بالعلم وغاية العلم فى نظره أى الشيء المدرك هو الوجود بعينه أما المنطق وماوراء الطبيعة فلا يمكن فصلهما والمعرفة هي العمل ومن يعرف الخير يفعله ولا توجد الا فضيلة واحدة وهي الحكمة ومنطق الافعال لا ينفصل عن منطق الافكار. فتعليم افلاطون كله قائم على نظرية المعرفة

قال هيراقليط أن الموجودات تسيل وأن معنى الميلاد هو الموت فمن المستحيل على العقل فى تلك الحركة الدائمة أن يحيط بمعجزة أوظاهرة من ظواهر الطبيعة لانه لايوشك أن يحيط بها حتى تفر قد يكون هذا حقا فيما يشمل ظواهر الحياة أي الحياة الحسية ولكن هل يصبح كل علم مستحيلا وكل معرفة حلما ؟ كلا أن كل ما يمكن أن نوافق عليه السفسطائى هو القول بعدم العلم بالموجودات الحسية ومن يتعلق بالحواس لايمكن له الا الحصول على ظن أي عادة انتظار حدوث ظاهرة بعد أخرى والظن يشمل نوعين من المعرفة الايمان وهو يقع على المحسوسات الظاهرة فنعرف به الاشجار والاحجار والحيوانات والاشخاص الثانى هو التخمين وهو يقع على صور الاشياء المحسوسة والظن حكم غير مسبوق بالتأمل والذي يعول عليه يكون علمه محدودا به ولكنه لايرى ومثله كمثل المنجمين الذين يقولون بالغيب ولا يعلمون عما يقولون شيئاً وقد يفيد الظن من وجهة عملية ولكنه غير موثوق به وهو فى تحول مستمر لان موضوعه هوما يولد وما يهلك

ولكن فوق العالم الحسي يوجد العالم الفكرى وفوق

ماعر يوجد مايبقى وفوق الظواهر الاصول الثابتة التى لا تتحول والحقائق الازلية . فالعالم العقلى هو موضوع العلم الحقيقى والعلم الحقيقي يشمل نوعين من المعرفة الاولى قوة التعليل أو الفكر وهى تبتدىء بمعنى وتنظر فى سائر نتائجه وغايتها الانتقال انتقالا منطقيا من معنى الى معنى بدون اهتمام بقيمة المعنى الاول وهذه القوة تعد وتحقق الذكاء الخالص أو البصيرة الذى هو فعل بسيط مباشر والمشاهدة الفعلية تصل الى المبادىء والقواعد وتستعين بالفروض التى تقدمها قوة الفكر والفهم للوصول الى المعانى الفعلية وغايتها القاعدة العليا والمبدأ الاول المستغنى بذاته غير المحتاج للفروض

فتعليم افلاطون يشمل امرين هما غاية المعرفة الاول العالم الحسى والثاني العالم المعقول الاول يدرك بالظن والثانى يدرك بالعلم وكل من الظن والعلم له نوعان من المعرفة

وعمل الانسان هو أن ينتقل من المنتقل الى الثابت ومن الظواهر الى الكائنات ومن الظن الى العلم وهذا مشكل يظهر أنه مستحيل الحل مادمنا فى عالم الحس ولا نحيط فيما حولنا الا بالظواهر وكيف ونحن مساجين فى الزمان نستطيع الارتفاع

الى الازل

على أن طريقة افلاطون فى الوصول عن طريق المعلومات العادية من الظاهر الى الكائن طريقة معقولة وليست طريقة صوفية ولكنها لا تتم لنا الا بانتقال بطيء منطقى وبين الظواهر والحقائق المعقولة عدة وسائط ترشدنا من الواحدة الى الاخرى ولكن بين المحسوسات والمعقولات هوة لا يمكن أن يملأها المنطق وملاحظة الظواهر يمكن أن تعلمنا قوانين الظاهر ولكن لا يمكنها أن تعطينا الوجود المعقول

يقول افلاطن أن المعني غير مستنتج انما هو مشاهد وعمليات المنطق الانتقاليه لا عمل لها الا اعداد الادراك الذى يكشف لنا عن المعنى ولكن كيف يمكننا ونحن مغموسون في الظاهر ادراك الحقائق الازليه ؟ قال سقراط من قبل أن العلم لا يأتى من الخارج وان الانسان يجد حقيقة ذاته من ذاته وفى نفسه وأن الاستاذ لا يستطيع الا توليد الحقائق التى تحملها نفس تلميذه بواسطة الاسئلة الدقيقة وافلاطون يفسر الميوطيقى (التوليد) بالتذكر فيقول أن النفس عاشت قديما في السماء بقرب الارباب متفرغة الى التأمل فى الارواح فالعالم العقلى هو بيئتها ولكن فى

القوانين السائدة أن النفوس التى تغيب عنها الارواح تفقد اجنحتها وتسقط فى جثة ارضية . فالحياة الارضية هى سقطة وانحطاط وذكرى الوطن السماوى غامضة فينا ولكنها غير ميتة فعندما نرى فى الارض فى نظام الطبيعة صورة النظام العقلى الذى سبق للنفس التأمل فيه تتبدد الظلمات ونجد حالا فى نفوسنا الافكار التى كانت حية كامنة ولم تمت

البصيرة أو الذكاء الخالص (المدرك) يمده الفكر المتنقل وهذا الفكر المتنقل يتبع قاعدة مطروحة كفرض (الواحد — المتعدد الوجود — العدم) الى آخر نتائجه وكذلك العقل المدرك يتبعه العقل المتنقل الذى يمعن النظر فى المعنى لينيره ويكشف عن علاقاتها بغيرها وأسلوبه أن يضع أصلا يفترضه ويستنتج منه نتائجها الى آخرها واكتشاف علاقات الافكار ببعضها البعض أهم اعمال المتكلم ويسبق التعبير عن وحدة المعنى بالتعريف ينبني بالتقسيم تبيين اجزائها فحياة الفكر هي فى الانتقال من وحدة المبدأ الى تعدد النتائج ومن وحدة النوع الى تعدد الاجناس وفى تبيين علاقات الافكار ببعضها البعض. فالوحدة المطلقة التي قال بها بارمنيد هي السكوت والموت

والتعدد المطلق الذي قال به تلاميذ هيراقليط هو الفوضى والاضطراب وفى الحالين يستحيل الفكر والقول والحكم يقتضى الجمع بين الانواع . لاريب فى أن المعنى لا يستطيع أن يصير مناقضاً لذاته ولكن هذا لا يقصد به أن صفتين أى نوعين مختلفين متناقضين لا يمكنهما أن يتحدا فى موضوع واحد بحيث يصير هذا الشىء الواحد فى حين واحد متشابها وغير متشابه واحدا ومتعددا ولا مانع من أن جوهرا يكتسب من علاقته بالجواهر معنى أو صفات أخرى ما دامت هذه الصفات الاخرى لا تلاشى الجوهر الذاتى فاذا كان الانسان انسانا فما الذى يمنعه أن يكون فى الوقت نفسه خيراً أن اكتشاف العلاقات التى تربط المعانى وتتبع المشاركة المتبادلة بين الجواهر هذا هو العلم بعينه

الكلام وماوراء الطبيعة ـ المعانى ـ علاقتها
ببعضها وبالعالم الحسى

المنطق وما وراء الطبيعة لا ينفك أحدهما عن الآخر . وأفلاطن يعتقد أن هذين العلمين غير متعددين بل هما علم واحد . والامر الحقيقي المعقول هو أنهما ممتزجان والحركة

المنطقية التي ترفعنا الى المعانى تمكننا من ادراك الوجود الحقيقى والفكرة فى نظر أفلاطون ليست هي الفكرة العامة وذلك لانهما لا تتكونان بعمليات متشابهة ولاجل التعميم ينبغي مقارنة عدة أفراد فيجرد كل من صفاته الشخصية ثم يعبر عن صورتها العقلية بعبارة واحدة فالتعميم هو فكرة انتقالية والفكرة في نظر أفلاطون تعطى لنا بادراك مباشر تعده العمليات المنطقية ولا يمكن لها أن تحل محله وفي المحل الثانى الفكرة العامة تعبر عن وسط فلا تستطيع أن تتجاوز الحقيقة لانها مستنبطة منها وأضيق منها أما الصفة المميزة للفكرة فى نظر أفلاطون فهي الكمال والنقاء المطلق بدون اختلاط بخلاف الاشخاص المتعددة المتغيرة فان الصفات فيها لا تكون صافية وكاملة والمساواة الحقيقية هي التى لا تقبل غير المساواة والوحدة الحقيقية لا تقبل التعدد والتعميم يقودنا من تجربة الى تجربة الى معنى الكائن غير المحدد وهو أفقر وأفرغ المعانى والامر على عكس ذلك فيما يتعلق بالكلام فانه يصل بنا الي أصدق أنواع الحقيقة والي الكائن الذى هو مبدأ سائر الوجود والي الخير الاعلى. الذى يشمل فى ثروته سائر أنواع الكمالات ثم ان الفكرة

العامة هي إدراك أى فعل من أفعال العقل لا وجود له خارج العقل . أما أفلاطن فيقول ان المعني موجود حقيق بموجود فى ذاته لا فى شئ لا يكون هو الا صفة له ووجود المعنى على هذه الصورة هو وجود أزلي لا يتحول فالظواهر تمضي وهو باق ويوجد على الدوام شئ يجعل فى حيز الممكنات وجود الانسان الذى يولد ويموت وهذه الحقيقة التي يمكن فهمها والتي كمالها سبب سائر الكمالات التي يظهرها الانسان هى فكرة الانسان بل هى الانسانية بذاتها

ان الافكار تكون جملة أو تعدداً ولكن الوحدة هى قانون العقل الذى لا يقف الا عند المعقول الاعلى أى فكرة الفكر وعند المبدأ الذى يجمع بين سائر الكمالات

يقول أفلاطون ان سائر الكائنات المعقولة تستمد من الخير وجودها وجوهرها وفي أواخر حدود العالم المعقول توجد فكرة الخير التي تدرك بصعوبة ولكن متى أدركت يستنتج مدركها أنها سبب كل جميل وكل خير فاذا كانت فكرة الخير هي علة سائر الاشياء الجميلة الخيرة فهي إذن المبدأ الذى يضم سائر الفكر وأنواع الكمالات

فلفظ الكلام هو قاعدة أو مبدأ الوجود والمعني هو الخير هو هذا الشيء المستغني الذى لا يفرض شيئاً آخر بل هو الله

وان اله أفلاطون وان كان فكرة فانه فى عرفه حى وحقيق يقول أفلاطون هل يمكن أن يقنعونا بسهولة بأن الحركة والحياة والنفس والمعني لا تلائم الوجود المطلق وان الكائن لا يعيش ولا يفكر وانه باق بلا حركة وبلا نصيب فى الذكاء العظيم المقدس

ويعطى أفلاطون دليلا على وجود الاله وهو دليل المحرك الاول أى بالعلة الفعالة فيقول كيف يظن ان ما يحركه الغير يكون هو مبدأ التحول والحركة والله هو مبدأ الحركة فى العالم ولكن الذى يثبت وجود الخير الا على هو وجود الخير فى الطبيعة وجودا ظاهرا والدليل الثانى هو بواسطة العلل النهائية — اذا كان من الحقيقي أن الحركات والثورات فى السماء وفى سائر الإجرام السموية تشبه حركة الذكاء وتشبه عملياته وتعليلاته فينبغي أن نستنتج أن روحا مملوءا بالخير يحكم هذا الكون وانه يقوده كما يريد

ولكن لماذا خلق الله العلم ؟ الجواب أن الله خير والخير لا يبخل بخير ما لذا خلق العالم على أحسن حال ولذا جعله على شكله وهذا الآله الخالق هو فى الوقت نفسه عناية ثم يقول افلاطون بمبادىء المستبشرين وينكر الشر المطلق والعالم هو افضل العوالم الممكنة الخلق ويكفي أن نرد مايبدولنا كأنه بغير نظام فى مكانه لنفهم سببه وعلته والذى يعتني بالاشياء كلها قد وضعها بحيث تؤدى الى خير المجموع وحفظه وكل جزء لاياتى ولا يفعل الا ما يلائمه فانت أيها الزائل الضئيل مهما كان صغرك فانك لاشك داخل ضمن النظام العام وتضيف اليه بدون انقطاع فاذا ضجرت فهذا من جهلك أن الخير الخاص بك لا يعود عليك وعلى المجموع حسبما تقتضيه قوانين الوجود العام

الاخلاق السياسية

ان النظريات وتطبيقها مرتبطة ببعضها ارتباطا تاماً فى نظر أفلاطون فأنكار الحقيقة هو أنكار الخير فاذا لم يكن سوى الظواهر والخوارق فليس هناك إذن الا شعور حسي فيكون السرور نهاية الانسان وقد واصل أفلاطون تفنيد آراء

السفسطائين الذى بدأ به سقراط وهو يمهد السبيل لتعليمه فى الاخلاق والمعرفة والوجود بنقض الاغلاط التى شوشت العقل وكان تراسيماك وكاليكليس من تلاميذ السفسطائين يقولون بأنه لا توجد قوانين طبيعية وانما توجد نظامات اجتماعية وان الرجل الماهر القوى يمكنه أن يتحرر من سائر القيود وينطلق فى طريق شهواته فحاربهم أفلاطون وقال بوجود قانون للاخلاق غير معتمد على رغبات المقننين ويمكن للعقل أن يكتشفه بالتعمق وينبغي أن تتجه أنظارنا نحو فكرة الخير وأن نوفق بين الخير وبين أعمالنا لأن فكرة الخير هى الله ذاته وفضيلة الانسان هى فى كونه يشبه الله ومشابهة الله تكون بادخال الانسجام فى سائر عناصر الطبيعة الانسانية وبهذا يحدث تقليد النظام المعقول الذى يكشفه لنا علم الكلام. فينبغي اذن أن نعرف الانسان لنعرف كيف ينبغي أن يكون

النفس مكونة من ثلاثة أجزاء الشهوة وهى تشمل سائر الرغبات وسائر الانفعالات الدنيئة ثم شهوة الغضب التى تؤدي الى الشجاعة وهى قاعدة بين الحس والفكر ثم العقل ولكل جزء من النفس جزء فى الجسم يقابله فالشهوة مكانها فى

أسفل البطن والشجاعة فى الصدر والعقل فى الرأس ويشبه أفلاطون النفس بعجلة يسحبها جواذان الواحد أسود جموح مستعد على الدوام للثورة والثاني أبيض كريم يهدى رفيقه اذا حسنت قيادته ولكنه يجمح معه اذالم تحسن قيادته يد قوية يقظة . فالجواد الاسود العاصي هو الشهوة والابيض الكريم هو الشجاعة والقائد هو العقل فينبغى للعقل أن ينتفع بالشجاعة ويستعين بها على الشهوة يقول أفلاطون أن لكل جزء من النفس فضيلة تقابله فالفضيلة المقابلة للشهوة هى الاعتدال ووظيفتها هى رد الشهوات الى حد الاعتدال والفرار من الافراط وتجهيز النفس بفصلها من الجسم لفهم الحق وفضيلة شهوه الغضب هى الشجاعة ووظيفتها التميز بين ما يخشي وما لا يخشى وهي تولد عند تحويل شهوتها وهي خادمة العقل ضد الانفعالات التى تقلق الذكاء والاعتدال والشجاعة هما شرطا الحكمة والحكمة هى فضيلة العقل ولأجل الارتفاع لدرجة الحقيقة ينبغى الخلاص من أوهام احترام الذات ومن العواطف غير المنظمة التى يولدها فساد الجسم والعدل هو الفضيلة التى تولد من امتلاك الفضائل الاخري فهو الانسجام

الداخلي واتفاق النفس وذاتها أي عند ما يقوم كل جزء من النفس بوظيفته فتطيع الشهوات الشجاعة وتطيع الشجاعة العقل حينئذ يولد العدل

وكثيراً ما يدخلون الى فكرة الفضيلة عنصرين آخرين هما الحرية والعادة فالحرية تبتكر الفضيلة أى تبدأ بممارستها والعادة تمكننا من الفضيلة وأفلاطون يحتقر الفضيلة التى لا ترتكز الا على العادة لانها غير محققة كالظن وهى توافق النمل أو النحل ولا تلائم الانسان والفضيلة غير تابعة لحريتنا انما هي علم ومن يعرف الخير يفعله فكون الانسان فاضلا يرجع الى امتلاك علم الخير . ويعترف أفلاطون بأنه يمكن للانسان أن يكون رأيا دقيقاً عما ينبغي فعله ومع ذلك لا يفعله ولذا يوجد الخلاف بين النظرية والعمل. واذا فسد العمل فلابد من كون النظرية فاسدة وكل من يفهم الخير حق الفهم فهو لاشك خير . ان أشقى الناس حظاً وأجدرهم بالاشفاق هو الظالم الذى يتمتع بدون عقاب بثمار جرائمه . المريض لا يرفض الالم الذي يشفيه بل يلتمسه ويطلب النار والحديد والظلم أشد الآلام

ولا يشفي النفس منه الا العقاب فلا ينبغي للظالم أن يستر داءه كل ينبغي له أن يقدم نفسه للقاضي كما يقدم المريض ذاته للطبيب ان التكفير عن السيئات باحتمال العقاب هو افضل الاشياء بعد براءة الذيل أي ان أفضل الناس بعد البريء يكون الجاني الذي احتمل العقاب

وهذا يدل على اعتقاد افلاطون بحياة مستقبلة وقد ذكر في فيدون سائر الادلة التي استعملها من جاءوا بعده في اثبات خلود النفس فقال أن الموت هو انحلال العناصر المكونه للبدن وأن النفس لاتنحل لانها نقيـة بسيطة ولو قالوا أن النفس ليست سوي انسجام البدن يقول انا ما رأينا الانسجام يجاهد ضد الاداة التي اخرجته على أننا كثيراً ما رأينا النفس تجاهد ضد البدن لتخلص من كثير من شهواته

ثم أن غاية العقل البشرى هي المعقولات والخالدات فلها اذن ميل وارتباط بالله والنفس تشبه ما هو مقدس وخالد ومعقول وبسيط ومتحد بذاته فاذا كانت هكذا وطبيعتها كما ذكرت فاذا خرجت من البـدن بدون أن تسحب معها منه شيئاً تحولت نحو مالا علاقة له بالمادة مثلها فاذا بلغت هـذه

الغاية ملكت السعادة الحقيقية وأخيراً ينبغى مكافأة الاخيار ومعاقبة الاشرار ولا يمكن فصل الاخلاق عن السياسة فواجب الحكومة تكوين وطنيين فضلاء . أن الحكومة لم توجد لاجل الفرد والفرد ليس الا عنصرا من عناصر الحكومة فينبغى أن يخضع لها . وفى المدينة كما فى الكون يسود قانون واحد وهو بذل الفرد فى سبيل المجموع والجمهورية الكمالية هي شخص شركي ووحدة حيه أعضاءها الافراد ويوجد للحكومة نظام أخلاقى وحال نفسية كما للافراد ولا يخالفانهما . وكما أن للنفس ثلاثة أجزاء كذلك فى المدينة ثلاثة أصناف من الناس . الاول صنف العمال الذين يشتغلون ليشبعوا الشهوات ثم فريق المحاربين وعملهم حماية المدينة من الخارج والداخل ثم فريق الحكماء وهم أصحاب حق الحكومة وهذه الاصناف تشبه الشهوات والارادة والعقل ولكل صنف من أهل البلد فضيلة فللعمال فضيلة الاعتدال التى تبقيهم فى حالهم فلا يحاولون الخروج منها وللمحاربين فضيلة الشجاعة وللقضاة فضيلة الحكمة واذا أطاع كل فريق الفريق الذى هو أعلى منه والمعترف له بالسيادة ينتج الانسجام والانسجام

بخروج فضيلة العدل ولأجل أن يأتى أفلاطون على عواطف حب الذات ليجعل المدينة كائناً واحداً ضحى أفلاطن بكل ما يقوى فى الفرد عاطفة الفردية ويعطيه حياة مستقلة داخل حياة الحكومة

وأراضى الجمهورية ملك مشاع لسائر السكان وليس هناك حق الملك ولا الاسرة والاملاك والنساء شائعة والاطفال هم أبناء المدينة وينشأون معاً وحيث أن لاأسرة تصير الجمهورية أسرة كبرى ولكل وطنى حق الابوة على سائر الاطفال عند ما يبلغون سنا معلوما هذا ما شرحه أفلاطون فى جمهوريته ولكنه فى القوانين خفف وطأة تلك الاراء ورضى بعدم اشاعة النساء والملك وقبل وضع قوانين مكتوبة ولكن الحكومة تحتفظ بسائر قواها ولها حق ضمان طاعة القوانين الادبية وسيادة الفضيلة واستعمال القوة فى ذلك ان فشلت فى استعمال الترغيب باللين وليس للفرد حق سوى القيام بواجباته واستعمال فضيلته فى تقوية المدينة التي هو أحد عناصرها واداة من أدوات وجودها وقد ينشأ عن خلط الآداب بالسياسة نوع من الظلم الفلسفى وهو

استبداد يبذل الخير الحقيق الحر فى سبيل خير ظاهر .

***

ويرى مما تقدم أن افلاطون كان شريف النسب من وجهتين فكان حفيد ملك ومشترع . ولولا بغضه للديمقراطيه ولولا التقاؤه بسقراط لكان من رجال السياسة امثال بيركليس . وان عنده تنتهى الحكمة المحكية وتبدأ الحكمة المكتوبة فانه رأى شيخه سقراط يستهين بالكتب ولكنه لم يستهن بها ودون خمسا وثلاثين محاورة ضمنها خلاصة ارائه واراء شيخه وله الفضل الاعظم فى تعليم ارسطو وتهذيبه وارشاد خطواته الاولى فى الفلسفة وقد تعاشرا عشرين عاما على ما كان بينهما من التباين العظيم فى الفكر والخطط ولكن أدب الحكمة وكرامة النسب كفتهما الشقاق وعندنا أن فلسفة افلاطون المدنية والادبية مستمدة مما استفاده من مصر فقد رأى فيها نظاما ثابتا منذ عشر ألاف سنة بفضل تقسيم الأمة الى طبقات معينة واستئثار الطبقات العالية بالملك وتذليل الطبقات النازلة للخدمة والصناعات كذلك ساح في ايطاليا وتأثر باراء اتباع فيثاغورس وبارمنيدوا ميدوكل ولكنه لم يخضع

لا حد منهم لان أثر سقراط كان في نفسه اقوى ولما القى عصى التسيار وعاد الى وطنه وشرع فى التعليم أخذ يطبق الهندسة على السياسة وفي هذا أثر من فيتاغورس. وكان افلاطون أول الفلاسفة النفعيين وقال بان اللذة والالم هما اللذان يحركان الانسان فى كل سبيل. وهو موجد التصوف فى أوربا بكتاباته وكان يعتقد أن حب الفلسفة كحب النساء قوة وقال بالبعث بعد الموت والثواب والعقاب ولا شك عندنا فى أن هذه الآراء استأذنت عليه من سياحته فى مصر. أما نظامه المدنى فى الجمهورية فستمد من حياة مصر وسبرطه ومن آراء أناكساجور .. وله كلمة عالية وهى قوله لن تصلح الدنيا حتى تصير ملوكها فلاسفة أو فلاسفتها ملوكا وقد تحققت رغبته فصار اسكندر تلميذ تلميذه ملكا فيلسوفا ولكن الدنيا لم تصلح. وجاء بعده الرواقى ماركوس أوريليوس الرومانى ولكن الدنيا لم تصلح وجاء المأمون العباسى ولكن الدنيا لم تصلح! لاتباع أفلاطون الحق أن يردوا علينا بان هؤلاء ملوك صاروا فلاسفة ولم يصلحوا ولا يظهر فساد رأى أفلاطون الا اذا رأينا فلاسفة تولوا الملك ولم يصلحوا وهيهات أن يتحقق هذا الحلم!

وكان ينتقد نظام الحكومة فى أثينا ويطعن فى الديموقراطية ويأمر بعقاب الملحدين ويأمر بالاعتقاد بوجود الله . وكان قليل الثقة بالكتب وفى أواخر أيامه عمل نظريته فى المثل الاعلى تحت تأثير تلميذه ارسطو ولو أن أفلاطون استطاع عقاب الملحدين بقانون نظامي لكان أول ضحايا هذا القانون تلميذه الاعظم ارسططاليس .

ما كتبه العرب عن أفلاطون

هو ابن أرسطون أحد أساطين الحكمة الخمسة من يونان كبير القدر فيهم مقبول القول بليغ فى مقاصده أخذ عن فيثاغورس(١) اليونانى وشارك سقراط فى الاخذ عنه ولم يشتهر ذكره بين علماء يونان الا بعد موت سقراط وكان أفلاطون شريف النسب فى بيوت يونان من بيت علم واحتوى على جميع فنون الطبيعة وصنف كتبا كثيرة مشهورة فى فنون الحكمه وذهب فيها الى الرمز والاغلاق واشتهر جماعة من

---

(١) خطأ فان فيثاغورس مات في القرن السادس قبل المسيح وأفلاطون ولد في ٤٢٧ ق. م فبينهما مأئة عام وكان تلميذ سقراط ولم يكن تلميذاً معه

تلاميذه المتخرجين عليه وسادوا بانتسابهم اليه وكان يعلم الطالبين الفلسفة وهوماش وسمى الناس فرقته المشائين (١) وفوض في آخر عمره المفاوضة والتعليم والتدريس الى أرشد أصحابه (٢) وانقطع الى العبادة (٣) والاعتزال وعاش ثمانين سنة وكان أفلاطون من قديم يميل الى الشعر وأخذ منه بحظ متوفر ثم حضر مجلس سقراط فرآه يذم الشعر وأهله ويقول هي خيالات تشعر بالخلائق لاعلى الحقيقة وطلب الحقائق أولى فتركه عند ذلك أفلاطون ثم انتقل الى قول فيثاغورس فى الاشياء المعقولة ويقال أنه عاش إحدى وثمانين سنة وعنه أخذ ارسطاطاليس وخلفه بعد موته وقال اسحاق أنه أخذ عن سقراط وتوفى أفلاطون فى السنة التي ولد فيها الاسكندر (٤)

---

(١) لم يكن يعلم ماشياً ولكن صفة المشى نقلت الى العربية خطأ من اسم مكان المدرسة وهذا قديم ولم يصححه أحد (٢) كان أرشد أصحابه أرسطو ولكنه لم يفوض التعليم اليه ولكن فوضه الى ابن أخته وكان رياضياً فيثاغوريساً (٣) لم ينقطع للعبادة وواصل العمل لآخر لحظة من حياته وقدمات وهو يكتب والقلم في يده .(٤) ولد الاسكندر فى ٣٥٦ق . م . وتوفي أفلاطون في ٣٤٧ق . م . وكان عمر الاسكندر تسع سنين وهكذا كتاب العرب لايكلفون أنفسهم تحقيق شئ (لطفى)

وهي السنة الثالثة عشر من ملك الاوخس وكان ملك مقدونية في ذلك الوقت فليس وهو ابو الاسكندر

وقد ذكر ثاؤن ما صنفه افلاطون من الكتب ورتبه وهو كتاب السياسة فسره حنين بن اسحاق في كتاب النواميس نقله حنين ويحي بن عدي وكان يسمى كتبا باسماء الرجال الطالبين لها وهي في فنون متعددة منها. كتاب الجنس في الفلسفة . كتاب لاخس في الشجاعة . كتاب ارسطاطاليس في الفلسفة. كتاب خرميذس في العفة. كتابان سماهما الفيناذس في الجميل . كتاب اوتوذيمي في الحكمة . كتابان سماهما اقناه. كتاب غورجياس . كتاب أوتوفرن . كتاب أسين . كتاب فاذن . كتاب قريطن : كتاب ثالطلس . كتاب قيلوطوفن كتاب قراطولس . كتاب سوفسطن. كتاب طيماؤس أصلحه يحي بن عدي . كتاب قرمانيذس . كتاب فدرس . كتاب مينس . كتاب ابرخيس . كتاب مانكسانس . كتاب اطليفرس . كتاب طيماؤس ثلاث مقالات . كتاب المناسبات كتاب التوحيد . كتاب في العقل والنفس والجوهر والعرض . كتاب الحس واللذة . كتاب مسطسطس . كتاب

تأديب الأحداث. كتاب أصول الهندسة وله رسائل موجودة

وقال ثاؤن افلاطون يرتب كتبه فى القراءة وهو أن يجعل كل مرتبه أربعة كتب يسمى ذلك رابوعا (١) وعرف أفلاطون وشهر فى زمن ارطخشاست من ملوك الفرس وهو المعروف بالطويل اليد وهو يشتاسف الملك الذى خرج اليه زرادشت والله أعلم

وقال ثاؤن ان افلاطون بن أرسطون بن ارسطوقليس من أهل اثينس وكانت أمه فاريقطيونى ابنة غلوقون وكان من كلا الوالدين شريف الآباء وأمه هذه المذكورة من نسل سولن الذى وضع نواميس لاهل اثينس ورد عليهم مدينة سلمينا التى انتزعها منهم أهل ماغارا وكان لسولون أخ يقال له ذرونيدس يذكره أفلاطون كثيراً فى شعره وكان لذرونيدس ابن يقال له اقريطس وقد ذكره أفلاطون فى كتاب طيماؤس وابن قريطس فلسخروس وابن فلسخروس غلوقن وابن غلوقن خرميذس

---

(١) لا حاجة بنا الى تصحيح ذكر الكتب فقد فصلنا ذلك فى ما كتبناه في صحيفتى ٥٢ و ٥٣ من هذه الرسالة

وأخت خرميدس (١) فاريقطيونى وتسمى أيضا يقطونى وأفلاطون ابنها فأفلاطون سادس من سولن وأما جنس أبيه أرسطون فانه ينتهى فى النسب الى قودرس بن مالنتوس المنتسب الى فيسذون وكان مالنتوس جده شجاعا مقداما ذا رأى وخديعة ولما حارب أهل بواطيا أهل اثينس لفساد جرى بينهم ودامت الحرب فيما بينهم وقتل المقاتلة فيما بين الفريقين مل كل واحد منهم ماهو فيه وكان المستولي يومئذ على ملك بواطيا اقساتتس وعلى اثينس أوموطى فطلب اقساتتس مبارزة أوموطى فذل ولم يبارزه وجبن عن ذلك فخرج مالنتوس جد أفلاطون من اثينس وقال أنا أبارزه على شرط ان غلبته ملكت فرضي أوموطى بذلك فخرج اقساتتس ملك بواطيا وبارزه مالنتوس جد أفلاطون فلما تقاربا قال له مالنتوس انطلق ثم عد الىّ فلما حوّل اقساتتس وجهه ضربه مالنتوس من خلفه خدعة فقتله ومن ذلك الوقت عمل ذلك اليوم عيداً عند أهل اثينس وسمي عيد الخدعة وكان يسمى فى ذلك الوقت باليونانية أباطينوريا

(١) يلاحظ أن نسب أفلاطون الى صولون هو عن طريق أمه. لأنها أخت حفيد صولون وليست عادة العرب رد الانساب الى الامهات.

والآن يسمى أباطوريا وكان هذا الامر سبب هذا العيد وابنه قودرس سلم نفسه الى العدو ليخلص أهل مدينته ورضى بأن يلبس لباسا رثا وأن يموت دونهم (١)

ويونان يبالغون فى أفلاطون ويعظمونه ويقولون كان مولده إلهيا وكان طالعه طالعا جليلا ويحكون فى ذلك حكايات هى بالاسمار أشبه فأضربت عن ذكرها وقالوا انه لما عزم على ترك الشعر الذى يعانيه ويبالغ فى تعلمه

عندما سمع من سقراط ما سمعه فى أمره عزم على المضي الى سقراط والاخذ عنه فلسفة فيثاغورس وقد كان شاركه فيها على فيثاغورس الا أنه لم يبالغ فيها لاشتغاله بالشعر وأن سقراط رأى فى المنام كأن فرخا كركيا قاعد على حجره وأنه زغب وطلع ريشه للوقت فطار نحو السماء وهو يصوت بصوت الهى مطرب جميع الناس فلما جاءه أفلاطون للتعلم تأوله ذلك الطائر وأن صوته وكلامه سيشغل الناس بهما عن غيرهما وقد

---

(١) لم نجد لهذه الخرافة أصلا فى كتب تاريخ الفلسفة فضلا عن أنها خارجة عن حياة أفلاطون ولكن ذكرناها لتظهر فضل القفطى على تاريخ الحكمة (ص ١٥ حرف الهمزة)

قيل أنه فى أول أمره اشتغل بالشعر الى أن بلغ فيه الغاية وصنف
وسمع كلام فيثاغورس وهو ابن دون العشرين سنة ووضع
كتبا فى الالحان ثم بعد ذلك أراد الفلسفة فمشي الى أصحاب
أراقليطوس وكانت لهم طريقة فى الفلسفة وهى اليوم مجهولة
فسمع منهم وتحقق أن طريقتهم فى الحكمة يتعين عليها الرد
وأراد أن يجاهد نفسه فى طلب الفلسفة الحقيقية فقصد
سقراط(١) لأن فيثاغورس كان قدمات وتصدر بعده سقراط
فصادف سقراط وهو يخطب الجماعة المجتمعة اليه وكان قد
جمعهم اليه ذيونوسيوس فلما سمع كلامه حرص كل الحرص
على طلب الحكمة الفيثاغورية وترك ما كان عليه وأحرق
كتب الشعر والاحاديث وأنشأ يقول

يأيها النار أدنى من أفلاطون   فأن به الآن اليك حاجة ما

وهذه طريقة الشعر اليونانى وكان عمره اذذاك عشرين
سنة وسمع من سقراط بعد ذلك ولازمه مدة خمسين سنة
حتى بلغ في الامور العقلية الى منزلة فيثاغورس وفى سياسة

(١) أنظر هذا الخلط وقارن كل الحوادث التى ورد فيها ذكر
سقراط في عرض هذه الرواية .

المدينة الفاضلة الى مرتبة سقراط وشهد له بذلك أهل العلم فى زمانه وكان لرغبته في العلم شديد الطلب له كثير الحث والبحث في تحصيل الكتب بما يمكنه حتى أنه أمر ديون أن يبتاع له من فيلو لاؤس ثلاثة كتب مخزونة عنده من كتب فيثاغورس فابتاعها له بمائة دينار ولشدة طلبه فى العلم وحرصه على جمع الكتب سافر الى صقلية ثلاث دفعات ليحصل منها الكتب ويطلع على اسرار حكمة الامور الالهية فاول دفعة سافر فيها اليها كان لعزمه أن يرى النار التى تخرج هناك من الارض دائما تخف فى الصيف وتزيد فى الشتاء (١) وكان المستولى على صقلية فى ذلك الوقت رجل يونانى قد تغلب عليها اسمه ديونوسيوس وكان جبارا قد ملك البلاد باليد لا بالاصالة ولما سمع بقدوم افلاطون أمر باحضاره فلما حضر اليه صادف عنده سقراط (٢) وقد جمع له علماء الجزيرة وهو يخطبهم على ماتقدم

---

(١) يقصد بركان سترومبولي أو اتنا بصقليه ولكن هذا لم يكن مقصد أفلاطون كما بيناه (٢) ولد أفلاطون في ٤٢٨ ق . م . وسافر الى صقليه لأول مرة سنة ٣٨٨ ق . م . ومات سقراط في ٣٩٩ أى قبل سفره باحد عشر سنة ولم يذكر عنه أنه انتقل من أثينا قط

ذكره وشرحه ولما حضر افلاطون المجلس طلب منه جبار صقليه هذا المذكور أن يتكلم بشيء من خطبه وشعره فخطب خطبا كثيرة بحضرته وكان فصيحا عذب الالفاظ محكما لما يورده في طريقته التي هو عليها وقال في بعض خطبه أن اجود السير وأفضلها التي تكون على الناموس والسنن وظن الجبار ذيونوسيوس أنه قصده بهذا القول لاجل تغلبه بغير استحقاق لما وليه فاسرها في نفسه ولم يدها وكان هذا الجبار يعاني الشعر وشيئا من الحكمة الغير محققة وله تلاميذ في ذلك وأصحاب واذا سمع بعالم تحيل في احضاره ومناظرته واقامة الحجة على صحة قصده الذي هو عليه واتفق أن قال لافلاطون هلا ترى في اصحابي سعيدا وظن أن افلاطون سيقول بحضور الجمع أنك سعيد فيحصل له بهذا القول مرتبة توجب له الاستحاق لما تغلب عليه فقال له افلاطون غير محاش له ليس في اصحابك سعيد فسأله بعد ذلك وقال فهل ترى أنه كان من القدماء سعيد فقال كان فيهم سعداء غير مشهورين واشقياء اشتهروا وعناه بذلك فاسرها الجبار ولم يبدها له ثم قال له الجبار فاراك على هذا القول لا ترى أن ارقليس من أهل السعادة أيضا وارقليس

هذا كان شاعراً من شعراء يونان وكان قد عمل اشعاراً وذكر فيها هذا الجبار ووصفه ولحن تلك الاشعار وجعلها في هيا كل جزيرة صقلية يذكر بها في كل وقت وكان هذا الجبار يعظم الشعر والشعراء لاجل ذلك يثبت لمدحه اصلا فقال له افلاطون. مجيبا عن سؤاله ان كنا نرى أن ارقليس كان كالذى ينبغى أن يكون من كان من نسل اذيا يعني المشترى فباضطرار ينبغي أن تظن به أنه سعيد وأما كان كما وصفتموه انتم معاشر الشعراء. وكانت سيرته على ماتذكرون فانه عندى من الاشقياء وذوى رداءة البخت فلما سمع ذيونوسيوس الجبار من هـذا القول لم يحتمل جرأته وأمر به فدفع الى بوليذس الذى كان من أهل الاقاذامونيا وكان قد وفد على هـذا الجبار ليهادنه على بلاده وامر الجبار بقتل افلاطون فاخذه بوليذ وذهب به الى اغنيا مدينته وابقى عليه ولم يقتله وباعه من رجل من أهل النهروان. اسمه انناقرس وكان هذا الرجل يحب افلاطون ويتشبه باخلاقه وان لم يره قبل ذلك وانما كان يسمع ماينقل اليه من اخباره وكان. الثمن الذى ابتاعه به ثلاثين منافضة وكان لذيونوسيوس الجبار

نسيب اسمه (١) ذيون قد حضر مجالس افلاطون بصقلية وسمع كلامه ومال اليه كل ميل ولما سمع ما جرى على افلاطون عز عليه ولم يمكنه مجاهرة الجبار فسير في السر ثمن افلاطون وهو ثلاثون منا الى النهر واني مبتاعه وسأله بيعه منه فلم يفعل النهر واني ذلك وقال هذا حكيم مطلق لنفسه وانما وزنت المال لا نقذه من اسره وسيصير الى بلاده في سلامة وخير فلما سمع ذيون نسيب الجبار هذا القول استرجع الثمن وسيره الى اقداميا واشترى به بساتين هنالك ووهبها لافلاطون فمنها كانت معيشته مدة حياته ولما تحقق ذيونوسيوس خلاص افلاطون وسلامته ندم على فعله وتحيل في استصلاحه وكتب اليه يستميله وتعذر اليه من فعله ويسأله ان لا يذكره بشر في خطبه واشعاره فاجابه افلاطون بان قال ليس عندي هذا الفراغ ولا يمكنني أن اتفرغ له ولا أجد زمانا خاليا أذكر فيه ذيونوسيوس وسار (٢)

---

(١) ان الذي باع أفلاطون هو ذيون هذا صهر الجبار ذيونوسيوس وليس الجبار

(٢) ان سياحته الثانية كانت بعد موت دنيس أو ذيون العتيق وقد طمع أفلاطون في أخلاق وعقل دنيس الصغير فلم يوفق .

افلاطون الى صقلية مرة ثانية ليأخذ من الجبار المقدم ذكره كتابا فى النواميس كان وعده به ولم يعطه اياه وكان افلاطون قد عزم على تصنيف كتاب فى السير وهذا الكتاب من مواده فلما وصل الي صقلية وجد ذيونوسيوس الجبار مضطرب الامر قد فسدت عليه البلاد والرجال وهو فى شغل عما قصده بسببه فتركه وعاد ثم سار الى صقلية دفعة ثالثة وسببه أن ذيون نسيب الجبار قام عليه وتغلب على اكثر البلاد وكاد أن يستولى وعلم افلاطون بذلك فسار مصلحا بين الجبار ذيونوسيوس ونسيبه ذيون لعلمه بمحبة ذيون له وقبوله من قوله وكان افلاطون يرى ان اصلاح المدن من الفساد الداخل عليها من المتكلمين لازم له من طريق الحكمة والسياسة المدنية ويريد بذلك ايصال الراحة الى الرعية فلما وصل الى صقلية اصلح بين الرجلين ونزل كل واحد منهما منزلته ووعظهما فاتعظا وعاد الى بلاده وقد كان أهل بلاده اتينس على سيرة وسياسة لا يرضاها افلاطون فقيل له لِمَ لَمْ تغيرها فقال هذه سياسة قديمة قد مرت عليها الدهور ونقلهم عنها فيه عناء شديد وربما أدى الي قيل وقال احتاج أن استعين فيه على قوى بغيرهم

فيكون ذلك سبب هلاكهم بوساطتي فلا أفعل ثم جسهم فثاروا فسكنهم وثبتهم وتركهم على ماهم عليه وانبسط عذره عند من قال له ما قال ولازم مدرسته وارتزق من مغل البساتين وتزوج امرأتين احداهما يقال لها الستانيا من بلاد ارقاديا والاخرى اقسوثيا من بلاد فليوس وكانت نفسه فى التعليم مباركة تخرج عليه جماعة علماء اشتهروا من بعده فمنهم اسبوسبوس من أهل اثينس وهو ابن اخت افلاطون واقسنوقراطيس من أهل خلقيدونا وارسطاطاليس من اهل اسطاغيره وبرقلوس من أهل نيطس واستياؤس من بارنتوس وارختس من أهل طارلطيني وزيون من سوراقوساوامقلاس من أهل اصطنادس وارسطوس وقورسقس من اهل اسكبسيس وطيمالاوس من أهل قوزيقوس وأؤذن من لمساقوس ومناديموس من أهل ارائرس واراقيلدس من آبوس وتياثالس وقالبوس من اتنيس وديماطريوس من اتفيبونيس وغيرهؤلاء كثير وكان افلاطون اذا حضره اصحابه للتعلم قام على رجليه والقى عليهم الدروس من العلم وهو يمشي حول البساتين التى وقفها عليه ذيون فيأخذون عنه ما يلقيه عليهم وهم على تلك الحالة فسموا المشائين

بذلك (هذا خطأ وقع فيه القفطى كثيره)

ولما استكمل احدى وثمانين سنةمن عمره مات ودفن بالبساتين فى أقاذاميا وتبع جنازته كل من كان بأثينس والذى خلفه من التركة البساتين المذكورة وخلف مملوكين وقدحا وجاما وقرطا من ذهب كان يلبسه وهو غلام وهو لباس اشراف يونان فى ذلك الزمان وأما ما صار اليه من ذيو نوسيوس جبار صقلية ومن غيره من الاصدقاء فانه انفقه فى تزويج بنات أخته وفى الاحسان الى الاصدقاء لانه كان من أهل الرياضة والايثار يسلم غيره السياسة فكيف لا يستعملها ولما قبر كتب على قبره بالرومى ماتفسيره بالعربية (هاهنا موضع رجل وهو ارسطوقليس الالهى وقد تقدم الناس وعلاهم بالعفة واخلاق العدل فمن كان يمدح الحكمة اكثر من سائر جميع الاشياء فانه يمدح هذا جداً لان فيه اكثر الحكمة وليس فى ذلك حسد) هذا من الجهة الواحدة على القبر ومن الجهة الاخرى (أما الارض فانها تغطى جسد افلاطون هذا واما نفسه فانها فى مرتبة من لا يموت)

الفيلسوف الاعظم ارسطاليس

ولد ارسطو في بلدة ستاجيريا (اسطاغير) في مقدونيا في سنة ٣٨٤ قبل المسيح . وكان ابوه نيكوماكوس عالماً طبيعيا وكان طبيبا لاميناس الثاني ملك مقدونية . وقد تعرف ارسطو صغيراً بفيليب ابن امينتاس في بلاط ابيه فتصادقا ولما مات والداه وهو فتى تولى شأنه بروكسينوس وبعث به في السابعة عشرة من عمره الي اثينا ليتعلم على افلاطون الذي كان قد جاوز حد الستين فلم يجده لان افلاطون كان في صقلية في احدى الرحلات التي سبق الكلام عليها فبقي ارسطو في انتظاره ثلاث سنين قضاها في التعلم والدرس والاستعداد لتلقي الحكمة فلما عاد افلاطون والتقي بتلميذه كان ارسطو في العشرين من عمره وافلاطون في الخامسة والستين . وبقي ارسطو يتعلم على افلاطون سبعة عشرة سنة فان افلاطون مات في الثانية والثمانين من عمره وكان ارسطو انبغ تلاميذ افلاطون وكان يسميه عقل المدرسة ويسمى بيته بيت القارىء . وقيل من حب ارسطو في الدرس انه كان خشية النعاس ليلا يقبض بيده على كرة من نحاس

ويضع تحتها طستا من نحاس فاذا اخذته سنة من النوم سقطت الكرة على الطست فنبهته فيعود الى عمله . وقد بقى ارسطو فى اثينا الي أن مات افلاطون فى ٣٤٧ ق.م وقيل انه مات وهو يكتب وكان ارسطو اثناء هذه المدة يزور وطنه ويلتقى الملك فيليب وقد حفظ لنا التاريخ الكتاب الذى بعث به فيليب الى ارسطو يذكر فيه مولد ولده اسكندر ولما مات افلاطون كان اسكندر في التاسعة من عمره . ومما يجدر بالذكر أن ارسطو أخذ يدرس البلاغة في اثينا فى حياة استاذه. ولما مات افلاطون ترك ارسطو اثينا وكان قد تزوج من بيثياس وهي ابنة متبناة لاحد تلاميذه هرمياس وكان يحب زوجته التي ماتت في عنفوان شبابها واوصي بان تدفن رفاتها الى جانب رفاته. ولما بلغ الثانية والاربعين من عمره دعاه فيليب الى تعليم ولده اسكندر وهو في الرابعة عشرة من عمره فقبل الدعوة وسافر الى بلاط فيليب حيث قوبل بالاجلال والاكرام وقد شيدت لذلك مدرسة خاصة وانضم الى الاسكندر اولاد النبلاء فصارت كمدرسة الانجال التي انشئت في مصر فى القرن التاسع عشر فاحب الاسكندر معلمه حباً جما وتعلم عليه اربع سنين.

ولما بلغ اسكندر الثامنة عشر عينه ابوه خليفة ملكه اثناء غيبته في حملة على بيتنيا واستمر ارسطو فى بلاط فيليب الى أن صار اسكندر ملكا وقد اقام ارسطو فى مقدونيا سبع سنين ثم تركها فى التاسعة والاربعين من عمره وعاد الى اثينا فوجد مدرسة افلاطون يديرها ابن اخته الذى قلبها « مهندسخانة » فمنحت حكومة اثينا لارسطو مدرسة الليسيوم بجوار هيكل ابولون .

وكان ارسطو قصيراً ضئيلا حسن الهندام مصاباً بامساك مستعص وكانت على وجهه النحيل نظرة استخفاف وسخرية لا تفارقه . وقد الف كثيراً فى خلال ثلاث عشرة سنة أي من التاسعة والاربعين الى الثانية والستين وكان اسكندر يعده بالمال فمنحه ثمانمائة تالنت (١) (وزنة من الذهب) وكان يبعث اليه من الهند بعجائب المخلوقات ليستعين بدرسها على كتبه فى التاريخ الطبيعي.

ولما مات اسكندر انقلب أهل اثينا على ارسطو بتهمتى الالحاد وصداقته لاهل مقدونيا وحاولوا قتله فانسحب فى ٣٢٢ق. م . وهو في الثانية والستين من عمره (وهو السن

(١) يكتبها العرب طالنطن

الذي سافر فيه افلاطون من اثينا) الى شالسيس بايوبيا . وكان له بها اقارب وثروة ونفوذ . وهذا لم يمنع أهل اثينا من الحكم عليه بالاعدام غيابياً . وقد مات فعلا في السنة التالية بمرض الملماء وهو ضعف المعدة في الثالثة والستين من عمره

قبل أن يظهر ارسطو بثلاثة أو اربعة قرون نشأت الفلسفة اليونانية على شواطيء أسيا الصغرى كما اسلفنا في أول هذه النبذة أي في وطن الشاعر هوميروس ناظم الالياذة وكان الفضل في ظهورها لتاليس دى ميليه أو الملطي وفيثاغورس دي ساموس وزينوفان دي كولوفون .

واول من اطلق على الحكمة اسم الفلسفة فيثاغورس فهو يدعي بحق ابا الفلسفة وواضع اسمها .

واذا تكلمنا عن سقراط العظيم الذى لخصنا مبادئه واراءه فلا يمكن فصله عن تلميذه وحبيبه افلاطون فاحدهما مكمل للآخر وسقراط ان لم يكن والداً لافلاطون فقد كان والد روحه وموجد فكره ولذا نجد في مؤلفات افلاطون كل اراء سقراط وتعاليمه مشروحة وموضحة ولا يخلو كتاب من كتب افلاطون حتى ولا محاورة صغيرة من محاوراته

من ذكر سقراط والذى يقرأ مؤلفات افلاطن يظن أنها كلها لمؤلف واحد والحقيقة أن بعضها افكار افلاطون على لسان سقراط وبعضها افكار سقراط سبكها افلاطون في اسلوب جميل عذب آية في البلاغة والابداع .

أما ارسطو أو ارسطاليس كما يسميه العرب فهو الفليسوف اليوناني بحق لانه مكمل أعمال اسلافه من الحكماء وقد ارتبط بالفلاسفة القدماء عن طريق أفلاطون أستاذه فكأنه تلقى فلسفة سقراط بعد أن مرت بعقل افلاطن الروحاني الفكر السامي الخيال الشعري الحكمة .

ان الفلسفة اليونانية تمتاز بأمور كثيرة منها ان خدمتها أعظم العقول التى عرفها التاريخ مثل عقول هيراقليط وانا كساجوز وسقراط وأرسطاليس . ومنها أنها لنشأتها فى أمة بغير عقيدة لم تكن خاضعة لانظمة دينية أو لسلطة خفية تعمل على خنقها من وراء ستار مثل ماوقع في أوروبا في القرون الوسطى ولابن رشد .

ولم يكن الفلاسفة اليونان فى حاجة الى النفاق والرياء للتوفيق بين الحكمة والدين كما هو شأن الحكماء فى البيئات

المتدينة . فان الفيلسوف الصادق اذا نشأ فى وسط متدين يكون حتما بين نارين فاما يقول ما تمليه عليه حكمته وعلمه وفيهما ما لا يتفق مع العقائد الدينية تمام الاتفاق واما يسعى فى التوفيق بين الفلسفة والدين وفى هذا ما فيه من الخروج على الحكمة والدين معاً واغضاب أهل الدين وأهل الحكمة معاً كما كانت حال جاليليه الذي القوه من حالق لقوله بدوران الارض وابن رشد الذي بصقوا فى وجهه لحرية فكره

أما الفلسفة اليونانية فكانت حرة طليقة ولم تكن خاضعة لأي مؤثر خارجي ولم يكن الفلاسفة اليونانيون مرغمين على قبول أراء أو معتقدات لم تمحصها عقولهم

لقد شاءت الاقدار أن تنشأ الفلسفة اليونانية بعيده عن عراك الدين والعقل فليس فى آرائهم نضال بين الفكر الحر الطليق والتقاليد الموضوعة المصطنعة . وشاءت الأقدار للفكر اليونانى أن يحلق في سماء الحكمة بغير قيد ولا شرط لانه لم يكن لدي الامم اليونانية كتب مقدسة تنص على أمور معينة وتحدد أصل الخلق وتشرح تاريخ الانسان والطبيعة على طريقة معينة .

قضت الفلسفة اليونانية اثنى عشر قرنا متمتعة بالعقل الانساني وقضي العقل هذا الحين من الدهر متمتعا بالحرية ولم يجرأ أحد على إلحاق الاذي بالعقل بتقييده ولم يجرأ أحد على ارغام العقل على القول بآراء لا يؤمن بها .

ولكن بعد اثنى عشر قرنا من الحرية العقلية جرأ جوستنيان الروماني على مصادرة مدارس أثينا مهد الحكمة ومصدر النور للانسانية باسم الدين . ولعمري ان الحكمة بريئة من العداء والدين كذلك بريء من الاضطهاد وان لكل منهما طريقا يسلكها ودربا يسير عليه ولكن القائمين بالاثنين معاً هم الذين فقدوا ميزان الاعتدال فخلطوا بينهما باسم التوفيق وألحقوا الاذي بهما باسم الحق . وما كانوا يعملون الا باطلا .

ارسطوطاليس اعمق فلاسفة اليونان وابعدهم غوراً . قال شيشرون أن طالب حكمة ارسطو محتاج الى بذل مجهود عقلي عظيم ليستطيع ادراك خفاياها . ولا غرابة اذا رأينا فلاسفة العرب امثال الكندى والفارابي وابن سينا وابن رشد يقضون اعمارهم في تفهم تلك الحكمة الارسطية وتفهيمها على أن اعمارهم وجهودهم لم تذهب سدى فقد صاروا بفضل هذا الفهم والتفهيم

فلاسفة مع انهم لم يعملوا اكثر من أنهم شرحوا بعض كتب ارسطو شروحا وجيزة ومتوسطة ومسهبة واخطأ بعضهم اذ حاول التوفيق بين الدين والفلسفة ولست أدرى لماذا كان ميل حكماء العرب للتوفيق شديداً وقد جداهم مراراً الى الوقوع في الخطأ فقد الف الفارابي رسالة في التوفيق بين الحكيمين ارسطو وافلاطون مع انه لم يقل أحد من الذين درسوا كتبهما ومبادئهما بالتوفيق بينهما الا الفارابى وكأننا به قد عز عليه وجود خلاف بين التلميذ وأستاذه فابي أن يودع العالم دون أن يعقد بينهما معاهدة صلح دائم ولكن هذا الحكيم الجليل نسي ان فى التوفيق بينهما اضراراً بالفلسفة لان افلاطون كان شاعراً ومفكراً اكثر منه فيلسوفا اما ارسطو فكان فيلسوفا عالما بعيداً عن الشعر والخيال لاجل هذا قال شيشرون بصعوبة الوقوف على افكاره بدون بذل جهد عظيم .

كتب ارسطو في ما وراء الطبيعة ولكنه لم ينجز البحث وقضى نحبه قبل تمامه . ولا يمكن القول بان ما تركه ارسطو يعد كتابا انما هو نبذ ومتفرقات وخواطر بدون ارتباط ظاهر بينها ولكن المسائل التي يكتشفها العبقرى ويسعى في حلها

لا تموت بموته بل تحيي . خذ لذلك مثل المواضيع الجليلة التى عالج الفيلسوف بحثها فقد نظر في تعريف الفلسفة وفي نظرية الاعداد التي جعلها فيثاغورس أساساً لفلسفته الشهيرة باسمه. وقد حاول ارسطو ان يهدم اراء فيثاغورس وتكلم في نظرية « المعنى » وحاول فيها هدم اراء أستاذه افلاطون وفاز بغايته لاجل هذا استغر بنا كثيراً رسالة الفارابى في التوفيق بين الحكيمين مع أن ارسطو جعل معظم همه موجها لتصحيح أراء أستاذه ونقدها ونقض ما كان منها مخالفاً لطريقة فكره ونظر ارسطو في فلسفة السفسطائين أهل التمويه والمغالطة وعلى رأسهم بروتاجورلس الذي اسلفنا الكلام عليه في بابه وهم القائلون بعدم استطاعة الانسان الوصول الى الحقيقة وفند آراءهم بكل ما وصل اليه جهده من البحث

وبعد أن فرع أرسطو من تعريف الفلسفة ودحض آراء أسلافه وتصحيح مبادئهم أخذ في شرح آرائه الذاتية فتكلم عن مبدأ التناقض ومبدأ المادة ونظرية الاسباب الاربعة ونظرية النظام العام ثم تكلم عن العدل الالهي (تيوديقى)

فاى عقل انسانى قبل ارسطو أو بعده (بقطع النظر عن

الحكماء الذين استعانوا بالعلوم الحديثة أمثال أوجست كومت) بلغ هذا الشأو في التفكير وألم هذا الالمام بحكمة الانسان وعلومه وأي سلف من أسلافه أحاط بالفلسفة احاطته بها وعرف طبيعتها وعين مجالها ونحن لا نفضل عليه أحداً قديما ولا حديثا

أن ارسطو تناول الفلسفة بحذق وطمأنينة لم يذق لذتهما ديكارت ولا من جاء بعده حتى ولا فلاسفة القرن العشرين أمثال ويليام جيمس بامريكا وبرجسون بفرنسا . ويظهر من درس كتبه التي بلغتنا أن أرسطو كان متعلقاً بالحقيقة الراهنة ومنصرفا الى درسها وتحديدها وتقديرها بقدرما كان أستاذه أفلاطون متعلقاً بالمثل الاعلى ومنصرفا الى تمييزه وتمجيده وتطبيقه على مطالب الحياة المادية والحياة الادبية .

وبعبارة أخرى كان أفلاطون (ايدياليست) وكان أرسطو (رياليست) كان أفلاطون مشتغلا بالنظريات وأرسطو مهتما بالعمل والتطبيق وهذا ظاهر من مؤلفات كل منهم ولذا قال أحد مؤرخي الفلسفة اليونانية ان كل انسان يولد إما أفلاطونيا أو أرسطوياً اشارة الى التباين بين مبدئيهما . وسيرى القارىء

أثناء هذه النبذة الوجيزة أن وصول أرسطو الى ماوصل اليه كان أمراً طبيعياً وترتيباً محتما فى تاريخ الفكر الانساني لابد من الوصول اليه . كان أفلاطون حكيما شعريا وقد وصف فى بعض محاوراته شخصية الفيلسوف الحقيقى التى تنطبق على المثل الاعلي فى نظره فشاءت الاقدار أن يكون هو أستاذ ذلك الفيلسوف وموجده . لان الفيلسوف فى نظر أفلاطون هو الذي يأخذ الاشياء كما هي أي على حقيقتها ويفحصها بحالة وجودها التى هي عليه وكان أرسطو كذلك أى كان أرسطو فيلسوف الحقائق وهو بلا ريب أول حكيم استفاد بالحقائق العلمية واتبع التنظيم والتقسيم والترتيب فى مؤلفاته وسار على القواعد الملائمة للفلسفة الصحية التي هي علم العلوم وأم المباحث والثمرة الناضجة لغرس العقل البشرى أرسطو لا يفكر في شيء بغير تنظيم وترتيب أى انه السابق الى وضع « طرق البحث الفلسفى » وأول راسم لخطة الدرس العلمي .

ان كثيرين من الآخذين من الامور بظاهرها يجرأون على تفضيل أرسطو على أفلاطون كما يفضلون أفلاطون على سقراط وهذا حمق منهم وخرق . لانه لولا سقراط ما كان

أفلاطون الفيلسوف فقد كان أفلاطون مندفعاً بفطرته الى الشعر فربما صار سياسياً عظيما أو شاعراً عبقرياً أو مؤلفاً تمثيلياً لأن مواهبه العظمى كانت تؤدى به الى احدى هذه السبل الثلاث ولكن تعليم سقراط وعشرته ومثاله هى التى شكلت تلك المواهب وحولتها نحو الحكمة وأنتجت ثماره الناضجة وان كان سقراط نجح فى توليد أحد تلاميذه بالطريقة التى شرحناها فى عرض الكلام عليه فقد نجح فى توليد أفلاطون كذلك لولا أفلاطون الذى علم أرسطو أكثر من عشرين عاما لقضي أرسطو عمره فى الابحاث الطبيعية أو فى دراسة كتب الفلسفة والادب لان مواهبه كانت تؤهله الي ذلك ولكن احتكاكه بعقل أفلاطون العظيم فتح أمامه أبواب الفكر العليا وأرشده الى طريقته التى جعلته صاحب العقل الاول .

وكان أفلاطون يسميه عقل المدرسة ويسمى بيته «بيت القارئ» وفى الوصف الاول مدح وفى الثانى قدح لأن أفلاطون كما أسلفنا لم يكن يجعل شاناً كبيراً للكتب ولعلها خصلة كسبها من سقراط الذى لم يدون سطراً . لما صار أرسطو

أستاذاً للاسكندر المقدونى كان موضع الاكرام والاجلال ولكن لدى موت الاسكندر تألب عليه المتعصبون من أبناء وطنه واتهموه بالالحاد وحاولوا الحكم عليه بالقتل فلم يجد بداً من الفرار ففر من أثينا وقد علل فراره تعليلا حسنا اذقال أشفقت على أهل أثينا أن يقترفوا جريمة ثانية على الفلسفة مشيراً بذلك الى ما وقع لسقراط . والحقيقة أن موت سقراط كان ضروريا لختام حياته الجميلة ليكون رمزاً دائما فى تاريخ البشر على جهل الجمهور وغباوة الاغلبية ودليلا على شجاعة الحكماء وقوة روح البذل والتضحية .

وقد لاحظ القارىء فى الصحف السابقة أن أهل أثينا لم يتركوا حكيما يفر من أيديهم بغير عقاب أو دون أن يحاولوا ذلك على الاقل فكان هذا شأنهم مع أناكساجور لولا الصداقة التى كانت بينه وبين بركليس وفعلوا ذلك فى فيثاغورس وأحرقوه ومن معه وقتلوا سقراط وحاولوا ذلك مع أفلاطون لولا فراره وحاولوا ذلك مع أرسطو . والناس تظن بحسن نيتها أن المدينة التى ينشأ فيها مثل هؤلاء الفلاسفة لا بد أن تقدرهم وتجلهم وتعبدهم وتضعهم موضع الآلهة ولكن الحقيقة

على العكس لان الطبيعة الانسانية هى هى فى كل زمان ومكان وكل عبقرى أو نابغ يكون في الحقيقة غريبا فى وطنه ووحيداً بين أبناء عصره لانه يسبقهم بفكره مراحل وأجيالا والذى يجعلنا نتخيل عدل أهل أثينا وكمال أدبهم انما هو وجود هؤلاء الفلاسفة فيها ولكن فكرة العدل وكمال الادب جاءت الى أذهاننا من آثار هؤلاء الحكماء وشخصيتهم العظيمة ومؤلفاتهم الممتعة وأخبارهم الطلية فعممناها بطريق القياس على جميع أهل البلد وجميع أهل العصر والحقيقة أن أهل أثينا فى عهد سقراط أو أفلاطون أو أرسطو لم يكونوا الا جماعة من الجهلاء السخفاء المتعصبين المبغضين للعظماء المحبين للانتقام واننا نستهجن الآن إحراق فيثاغورس وقتل سقراط ومحاولة اغتيال أفلاطون وأرسطو وهذا الاستهجان ليس الا غشا وخداعا منا لانفسنا ولغيرنا لاننا اذا رأينا الآن بين ظهرانينا نابغا أو ممتازاً فلا نلبث أن نكرهه ونحتقره ثم نضايقه لنخمد أنفاسه واذا استطعنا قتله فاننا لا نتردد والا فكيف نفسر تعذيب العظماء والحكماء فى القرون الوسطى والقرون الحديثة واضطهاد رجال مثل جاليليه وميشيل سيرفيه ونبي عظيم مثل

السيد المسيح عليه التحية اذا كانت الانسانية حقيقة طيبة القلب طاهرة الطبيعة وانها قد ندمت حقيقة على ما فرط منها في حق الحكماء الاقدمين الذين ذهبوا ضحية أفكارهم

نقول ان أفلاطون كان يسمى أرسطو القارىء لانه كان كثير الانكباب على الدرس كبير الثقة في الكتب وكان لا يعول على ما يسمع من أفواه الناس لان عقله كان يقوده دائما الى ضرورة التحليل والتمحيص وهذا يتفق مع مباحث الكتب ولا يتفق مع الاقوال المحكية. ويظهر أن أفلاطون في أواخر أيامه استفاد كثيراً من آراء تلميذه الذي نضج ولكن أرسطو كان قد شعر بضرورة الانشقاق عليه فلما مات أفلاطون خلفه في ادارة مدرسته ابن اخته وكان صبيا من اتباع فيثاغورس في الفكر فقلب اكاديمية افلاطون الى « مهندسخانة » تعلم الرياضيات على طريقة فيثاغورس التي حاول ارسطو تفنيدها في مؤلفاته. قلنا انه لولا تعليم افلاطون ما كان ارسطو فيلسوفا لان ارسطو استفاد طريقة التقسيم والتنسيق العلمي من استاذه. ولكنه يخالفه في طريقة التفكير ونتائجه . فان افلاطون يقول بواجب الوجود ويجعله مصدر الخير ومدبر الكون والعلة

الاولى ولكن ارسطو ينكره وينكر ادارته للعالم ويقول أن الكون يسير من تلقاء نفسه وبغير عناية عليا كان هم افلاطون منصرفا الى الادبيات والادارة المدنية وتهذيب النفس عن طريق الموعظة الحسنة ولكن ارسطو يعتبر الكون والطبيعة والحياة الانسانية شيئاً واحداً وكتلة لاتتجزأ الا من حيث كونها مؤلفة من دائرتين الاولى عليا وهى عالم الاجرام والارواح السماوية والثانية سفلى وهى عالم الاجسام والمادة . فافلاطون اختص بدرس الانسان بصفته فرداً وبصفته جزءاً من الجماعة أما ارسطو فقد درسه بصفته جزءاً من الكون وهو الذى اطلق عليه اسم العالم الاصغر الذي أخذه عنه كتاب العرب .

يقول ارسطو أن العالم حقيقى ولكنه غير محكم التنظيم وان للمصادفات في ادارته نصيباً . تكلمنا فى أول بحثنا عن ارسطو فى كتابه فيما وراء الطبيعة الذى لم ينجزه . وقلنا أن الجزء الذى وصل الينا يدلنا على عظم قدر الكتاب كله وقد اتبع ارسطو في وضعه طريقة التقسيم والتنسيق التي كانت سائرة فى كل مؤلفاته بحيث أن الذى يقرأها فكأنه يقرأ فهرستا

مطولا . والشاغل الاكبر لذهنه فى كتاب ما وراء المادة هو تقسيم الكون الى دوائر عليا ودوائر سفلى . وقد ظن بعضهم انه تنبأ بنظرية النشوء والترقى التى اصبح لها اعظم شأن في العلوم والفلسفة. والحقيقة أن هذا يعد مبالغة وان كان بعض الفلاسفة السابقين قد اكتشفوا هذا المبدأ وقالوا به وقد ذكرناهم ولكن ارسطو لم يقل به لانه كان يعتقد بان الحيوانات وجدت منذ الازل على صورتها الحالية وكذلك كان يقول بان الاعضاء تؤدى الوظائف التى خلقت لها وهذان الرأيان يخالفان كل المخالفة نظرية التطور وكان ارسطو ماهراً في التشريح وقليل العلم بوظائف الاعضاء ولا يخفى انه نشأ فى أسرة طبية فحذقه فى التشريح موروث اما تقصيره في الفيزيولوجيا فكان بالنظر لحالة العلم فى عصره .

وقد ختم نظامه في ماوراء الطبيعة بانكار الخالق ولم ينكر الخالق عمداً ولكن جاء الانكار كنتيجة منطقية لنظامه الفلسفي . ومما يدهشنا انه قال فى ماوراء الطبيعة بوجود العلل النهائية . فكيف يوفق بين انكار الخالق وبين القول بالعلل النهائية لانه لايخفى بالطبع أن العلل النهائية لاتكون الاحيث

يكون الخالق الذى جعل كل شيء لحكمة فاذا اختفت هذه الحكمة وهي علة الخلق فلا حاجة حينئذ الى وجود لخالق موجد الاسباب والعلل .

أما رأيه فى المادة فهو يقول انها موجودة ازلية وتقابلها القوة الكامنة وانهما أصل كافة المخلوقات .

وقد اشتغل فلاسفة العرب بشرح فلسفة ارسطو وشرحه ابن رشد ثلاثة شروح وجيز ووسط ومسهب ولكن شروحه مبهمة غامضة واسلوبه معقد ولكن القارىء لا يلبث أن يتعود الالفاظ والتعبيرات فيستفيد بها. واقوال ارسطو التى نقلها ابن رشد خصوصا فيما وراء الطبيعة وهي القسم الرابع من كتبه هي التى أدت بالتنكيل بابن رشد فى بلده قرطبه فصلبوه وبصقوا في وجهه وان هذا فى نظرى اعظم من القتل . وقد عني الافرنج بنقل ما وراء الطبيعة لارسطو عناية تامة ولكنه لم ينقل برمته الي اللغة العربية ولا فائدة فى نظرنا للنهضة التى لا تبدأ بنقل مؤلفات اليونان الى اللغة العربية ودرسها وتمحيصها

وأهم من الميتافيزيقى (ما وراء الطبيعة) في مؤلفات ارسطو مؤلفاته «الانسانية» وكان هذا الوصف يطلق لتميزها

عن الطبيعيات وهي مؤلفاته في علم النفس والمنطق والشعر والبلاغة والاخلاق والسياسة المدنية . وبعبارة أخرى هي المؤلفات المستمدة مباشرة من روح أفلاطون وان كانت تخالفها في النتائج .

أما عن علم النفس فارسطو يقول بوجود الروح ويدعو النفس أو الروح شكلا أى أن الجسم موضوع والروح شكله أو الجسم مادة والروح قوته الكامنة أو الجسم مسبب والروح علته النهائية . وهو ينكر التقمص الذى قال به أفلاطون وينكر الثواب والعقاب في الآخرة وينكر الافتطار أو العلم بطريق رجوع النفس الى الماضى أو إشرافها على المستقبل وهى النظرية التى شرحناها عند الكلام على أفلاطون وهو بذلك يكون خصما للمدرسة الحديثة القائمة على نظرية الافتطار Intuition ومن أعظم أقطابها ويليام جيمس بامريكا وبرجسون بفرنسا. وأعظم ممثل لآراء ارسطو فى العهد الحديث يمكن أن يكون الفردفوييه المتوفى فى ١٩١٤ فهو فى الواقع ارسطو جديد وليس هنا مجال الكلام عليه ولكن أشرنا اليه ليدرس فلسفته من يشاء .

وتلوح على معظم فلسفة ارسطو النفسية مسحة من المادية فهو يقول بأن الحواس هي وحدها مصدر العلم ولذا مجد الحواس ورفع شأنها بعكس أسلافه الذين كانوا يمجدون العقل والمعنى بغير تقدير لقيمة الحواس التي تنقل المعاني الى العقل. وقال أن القلب مركز الحواس ومركز «الذوق المعنوي» ومركز الذاكرة والمخيلة. ويظهر لي أن هذا التعظيم للقلب ونسبة جميع هذه الصفات اليه هي التي جعلت العرب يتغنون به في كتبهم وأشعارهم ويجعلونه مركز الشجاعة والحب والاخلاص أو ضدهما وهذا أيضاً شائع عند الافرنج ولكنه رأي فاسد. وقال بأن التذكر راجع الى فكرة « اجتماع المعاني» التي قال بها أفلاطون وهي أساس البسيكولوجيا الفرنسوية كما يظهر لنا من مؤلفات ريبو . Association d' idées

ويقول ارسطو أن العقل هو أسمى قوى الانسان ولا يوجد في العقل شيء خارجا عن الحواس لانه وصل اليه بطريقها ويقول بأن العقل يهلك مع الجسم عند الموت فلا سبيل اذن للقول بالخلود والبعث وما يتبعهما من عقاب وثواب وهي تلك العقائد الجميلة أو النظريات الادبية التي قال بها أفلاطون نقلا

عن المصريين القدماء ونقلها عنه بعض الاديان ولسنا هنا فى مجال تأييد أرسطو أودحض آرائه ولكننا فى مجال فهم فلسفته وشرحها لان عمل الشارح غير عمل الناقد . وربما بحثنا فى أهمية هذه الآراء على حدة .

أما كتاب ارسطو في المنطق فهو أهم كتبه وقد شرح ابن رشد نظرية أجناس الوجودات وهى البحث فى الهوية والجوهر والعرض والكمية والكيفية والاضافة والذات والشيء والواحد والتام والناقص والكل والجزء والجميع والناقص وقد استفاد بهذا التقسيم الفيلسوف كانط فى تأليفه « نقد العقل القائم بذاته » ولكن ارسطو فى الواقع لم يهتم الا بهوية الشيء . ولم يقصر العرب فى نقل منطق ارسطو لحاجتهم اليه بصفته أداة للتفاهم والاقناع فى المجادلات الفقهية ولا نبالغ اذا قلنا أن علم الكلام مأخوذ معظمه من فلسفة ارسطو أما كتابه فى البلاغة أو الفصاحة فقاصر على فصاحة الخطباء . وقال أن غاية الخطابة تنبيه الانفعالات الرديئة أو المغايرة للعقل وقد دعاه هذا التعريف الى الكلام على الاهواء وعلى تقسيم الناس الي طبقات وأنواع لتبيين قوة التأثير فى كل طبقة منها ويظهر أنه

هو لم يكن يتأثر بفعل الخطابة فقد سمع أعظم خطيب فى عصره وربما كان أعظم خطيب فى كل عصر وهو ديموستين ولم تهتز له أوتار قلبه ولم يذكره الا مرة أو مرتين عرضا .

وكتابه فى الاخلاق « ايطيقا » هو أحسن كتبه شرحا وافصاحا عن الغاية ويقول فيه أن السعادة غاية الانسان وهو لا يختلف فى شيء عن مذهب النفعيين في الفلسفة الحديثة أمثال ستيوارت ميل وسنبسر ولا غرابة في ذلك فهو في اعتبارنا أبو الفلسفة المادية وان أسمى ما يرمى اليه الانسان هو تحقيق انسانيته الذاتية وهذا أمر لا بد فيه من العقل وقال أن الانسان كائن اجتماعى بفطرته وأكثر ميلا للاجتماع من النحل والنمل وأنه هو العالم الاصغر وتكلم عن الاهواء وضرورة الاعتدال فيها لتكوين الخلق الفردى. وهو يناقض سقراط وأفلاطون اذ قالا بأن الفضيلة علم وهو يقول أنها عمل وتعود على الاخلاق الفاضلة وأن الوعظ والارشاد والثناء على العدل لا يجعل السامع عادلا ولكن تدريبه على العدل بالفعل يؤدى به الى اكتساب تلك الفضيلة ولكن اذا وافقنا ارسطو على بعض آرائه فأننا لا نوافقه على هذا لان سقراط وارسطو كانا

مصلحين والاصلاح يتحتم فيه شرح طريقته بالنظريات ولولا نظريات سقراط وأفلاطون ما كانت طريقة أرسطو العملية.

أما كتابه في السياسة المدنية فهو أثمن كتبه وأنفعها لاهل هذا الزمان. وقال ان أفضل الحكومات هي حكومة الفضلاء وهو يفضل الارستوقراطية على غيرها وينصح بجعل العمال والصناع والزراع في درجة منحطة وان يسخروا لخدمة الطبقات العليا ويقول بان الحكم يقسم بين هيأتين الاولي مكونة من الشباب والثانية من الشيوخ (على هيأة مجلس النواب ومجلس السناتو أو الاعيان أو اللوردات لوقتنا هذا) ونصح للطبقات العليا بعدم الاختلاط بالدنيا وعدم المجاملة أو العطف بينهما وقد رأينا في رومه الي أية النتائج أدى تطبيق هذه النظرية في عراك دائم بين الاشراف والشعب.

ونحن نخالف ارسطو في هذا الرأى وننقضه ونقول أنه يؤدى الى أسوأ النتائج وأنه لا يوجد نظام أفضل من العدل والمساواة في حكومة الامم. وقد حاول أن يضع نظاما للمثل الاعلى في السياسة المدنية فالف جزءاً من كتاب قلد فيه أفلاطون في جمهوريته ولم يتمه ولا قيمة لآرائه في هذا الكتاب

على الاطلاق.

وكتب في الشعر والفنون كتابه الشهير باسم «بوطيقا» فقال أن العالم قطعة فنية وأن أرقى الفنون تأليف التراجيديا وأن الكون هو تراجيديا رديئة الوضع وأن نجاح التراجيديا يرجع الى «الحيلة» أو «العقدة» المترتبة عليه بقية الاجزاء وان عاملي الشفقة والخوف هما أهم عوامل الانفعال في التأليف الفني.

وهذا آخر كتبه.

ونتكلم الآن عن أدباء العرب الذين اعتنوا بنقلها من اليونانية فنقول أن (كتاب المقولات أو قاطيغورياس أو كاتيجوري) فقد نقله من اليونانية الى العربية حنين بن اسحق واستنقله أبو ذكريا يحيى بن عدى. وممن فسره من فلاسفة العرب الفارابي وابو بشر متى والكندي واسحق بن حنين واحمد ابن الطيب والرازى.

(باريرمينياس أو بارى ميلياس أو العبارة) نقله القس حنين الى السريانى واسحق الى العربي وتولي تفسيره يحي النحوى وأبو بشر متى والفارابى واختصره الكندى وحنين واسحق وابن المقفع .

(انولوطيقا الاول أو القياس) نقله الى العربى ثياذورس ونقحه حنين وفسر بعضه يحيي النحوى وأبو بشر متى وفسره كله الكندي .

(انولوطيقا الثانى ـ البرهان) نقله متى عن اسحق إلى العربية . وشرحه متى والفارابى والكندي

(طوبيقا — الجدل) نقله الى العربية يحيى بن عدي والدمشقى وابراهيم بن عبدالله وشرحه يحيى بن عدي فى الف ورقة وفسره الفارابى واختصره

(سوفسطيقا المغالطة أو الحكمة المموهة) نقله ابن ناعمة وابوبشر متى ويحيي بن عدي وفسره الكندي وقويري

(ريطوريقا ـ الخطابة) نقله الي العربى اسحق وفسره الفارابي فى مائة ورقة ووجدت منه نسخة بخط احمد بن الطيب السرخسى .

(بوطيقا — الشعر) نقله الى العربي ابو بشر متى ويحيي ابن عدي واختصره الكندى

(كتاب السماع الطبيعى أو سماع الكيان) نقله الى العربي يحيي بن عدي وعبد المسيح بن ناعمة وفسره ابو احمد بن كرنيب

وثابت بن قرة وابو فرج بن جعفر .

(كتاب السماء والعالم) نقله الى العربية ابو بشر متى ويحي بن عدي وكان في زمنه يسمى رأس متكلمي الفرقة الفلسفية.

وشرحه كثيرون منهم يحي وابو زيد البلخي

وشرحه ابو هاشم الجبائى ورد عليه بكتاب طويل سماه «التصفح» ولكن انتقاد ابى هاشم لاراء ارسطو انما جاء بمقدار ما تخيل له فهمه لانه لم يكن عالما بالقواعد المنطقية .

ونقلت غير هذا كتب كثيرة وشرحت مثل كتاب الكون والفساد وكتاب الآثار العلوية وكتاب الحس والمحسوس وكتاب الحيوان والالهيات والخلقيات

وأهم من اشتغل بترجمة ارسطو وشرحه من علماء العرب هم من ذكرنا ويضاف اليهم ابن سينا وابن رشد . وبالجملة فاعظمهم قدرا الكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد ويحي ابن عدي .

ما كتبه العرب عن ارسطو

قال المسعودى ابو الحسن على بن الحسين بن على ان معنى اسم ارسطو كامل الفضيلة ومعنى اسم ابيه قاهر الخصوم. وكان ابوه فيثاغورى المذهب

وارسطو أول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية وصورها بالاشكال الثلاثة وجعلها آلة للعلوم النظرية

وذكر له القاضي ابو القاسم صاعد بن احمد الاندلسى المتوفى سنه ٤٦٣ هجريه الكتب الآتيه المناظر ـ الخطوط ـ الحيل ـ سمع الكيان ـ السماء والعالم ـ الحيوان ـ النبات ـ النفس ـ الحس والمحسوس ـ الصحة والسقم ـ الشباب والهرم ـ مابعدالطبيعة ـ اوذيميا ـ وفسطيقا ـ السلوجسموس ولا حاجة بنا الى القول بان هذا خلط لامعنى له ولا يحتاج الى تفنيد ولكن ذكرناه لان القاضي صاعد من اكبر الثقات فى تاريخ الفلسفة عند العرب وادعي القفطى المتوفى ٦٤٦ هجرية فى اخبار العلماء بان ارسطو خلف افلاطون فى التعليم في مدرستين وهذا غير صحيح فانه لم يخلفه حتى ولا فى مدرسة

واحدة ثم أخذ القفطى ينسخ أقوال صاعد الاندلسى بغير تمييز ويضيف عليها مثلها ثم روى عن محمد بن اسحق النديم أن سبب اهتمام المأمون بكتب اليونان رؤيا رأى فيها ارسطو. وهو ابيض مشرب بالحمرة واسع الجبين مقرون الحاجبين. حسن الشمائل (ولا ينقص الا أن يقول سكرى المبسم) وأن المأمون سأله الى آخر ماجاء به فى هذه الخرافة وذكر ابن اسحق المذكور أن معني ارسطوطاليس محب الحكمة (!!) وان ارسطو لم ينظر فى الفلسفة الا بعد أن جاوز الثلاثين من عمره ! ثم سرد الكاتب العربى وصية ارسطو بشأن اولاده وذكروا سنة عندموته « ٦٧عاما والله اعلم »

وأن مؤلفاته هي قاطغورياس (المقولات)وباريميلياس (العبارة)وانولوطيقا (التحليل) وابوديقطيقا (البرهان) وطوبيقا (الجدل) وسوفسطيقا (المغالطون) أو (الحكماء المموهون) وريطوريقا (الخطابة) وبوطيقا (الشعر)

ونحن لا نريد الغض من قدر هؤلاء الكتاب ولكن الذى يدهشنا منهم القاء القول علي عواهنه وعدم التحقيق من معنى الأسم أو السن أو تاريخ الميلاد والوفاة فان كانت

هذه حالهم في بسائط الامور فكيف حالهم في جليلها ؟

ولم ينج أرسطو من التكفير في نظر بعض كتاب العرب فقد قال الوزير جمال الدين في كتابه أخبار الحكماء ان أرسطو رأى كلام أفلاطون وسقراط مدخول الحجج متزلزل القواعد غير محكم البينة في الرد والمنع فهذبه ورتبه وحققه ونمقه وأسقط ما ضعف منه غير أنه لم يكن مستنداً الى كتاب منزل ولا الى قول نبي مرسل فضل الطريق . . وان الفارابي وابن سينا وافقاه على شيء من أصوله فكفرا بكفره وان أقدامهما زلت كما زلت قدم أرسطو وقد كفر الثلاثة بقولهم في ثلاث مسائل خالفوا فيها كافة الاسلاميين وهي أن الاجساد لا تحشر وان المثاب والمعاقب هي الارواح المجردة والعقوبات روحانية لا جسمانية والثانية في صفة الله عز وجل بأنه يعلم الكليات دون الجزئيات وقولهم بازلية العالم وقدمه

والذي يدهشنا بعد ما تقدم من ذكر الفروق المهولة بين ارسطو وشيخه وهي فروق سحيقة لا يملأ فراغها ولا يسبر غورها أن حكيما عظيما وفيلسوفا جليلا اشتهر بالوقوف

على آراء الحكيمين ونقلها وتفسيرها وهو ابو نصر الفارابي الذي يسميه كتاب العرب المعلم الثاني بعد ارسطاليس المعلم الاول قد تعرض الى عمل من أبعد الاعمال عن الحكمة وأقلها نفعا وأقصاها عن العقل الا وهو التوفيق بين الفلسفتين الروحانية والمادية .

وكتب في ذلك رسالة أسماها «الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون الالهي وارسطوطاليس» قال في مقدمتها « ان الذي دعاه الى تأليفها أنه رأى أكثر أهل زمانه قد تنازعوا في حدوث العالم وقدمه وادعوا أن بين الحكيمين المقدمين المبرزين اختلافا في اثبات المبدع الاول وفي وجود الاسباب وفي أمر النفس والعقل وفي المجازاة على الافعال خيرها وشرها وفي كثير من الامور المدنية والخلقية والمنطقية » .

نقول أن أهل زمان الفارابي قد صدق نظرهم في مشاهدة هذه الاختلافات فانها حقيقية وغريب أنهم يرونها وهو حكيم ولا يراها . ولكن عز عليه أن يكون الاستاذان مبدعي الفلسفة ومنشئيها وأن لا يكونا على وفاق تام .

الفلسفة بعد أرسطو (الرواقيون)

لما كانت الفلسفة محتاجة الى قوة العقل وقوة الخلق فانه لم يظهر بعد ارسطو من هم جديرون بالذكر في تاريخ الفلسفة الا الرواقيين والمشككين والابيقوريين

زعيم الرواقيين أو المستخفين بالآلام زينو ٢٦٤-٣٣٦ق م وهو قبرصي الاصل سامي الجنس جاء الى أثينا ودرس على كراتيس تلميذ ديوجين الكلبي وقد ذكرنا أن مؤسس مذهب الكلبيين أو السنيك هو انتيستين تلميذ سقراط . وتلقى العلم أيضاً على هيبياس وبروديكوس اللذان أذاعا فكرة العود الى الطبيعة وقالا بان الانسان يعد ابن العالم لا ابن بلد واحد. وحاربا الاكاذيب المتواطؤ عليها في المدنية والاجتماع وأرشدا الناس الى الحياة البسيطة . ويمكن القول بالجملة بغير تقليل من فضل أستاذي وحبيبي جان جاك روسوان الفضل في مذهبه يرجع الى هذين الحكيمين وصدق من قال أن فضل فلاسفة اليونان على العالم لا يقدر فانه ما من فكرة وما

من مذهب قديم أو حديث الا وهو غارسو بذرته وواضعو أساسه حتى مذهب نيتشه الالماني يرجع الى قول زينو الرواقي أن التاريخ يعيد نفسه ورأي هربرت سبنسر في الجزء «الذى لا يعلم » Unknowable راجع الى قول بلوتينوس رئيس مذهب الافلاطونية المستحدثة وفلسفة ديكارت خليط من سقراط وفيثاغورس ومذهب برجسون القائل برجوع النفس الى الماضي واشرافها على المستقبل ليس الا طرفا من رأى أفلاطون فى الافتظار وهو ترجمة كلمة Intuition . ونظرية التطور والترقى هي مما قال به طائفة من الحكماء الاقدمين مثل أناكساغور وهيراقليط وارسطو وغيرهم . وفكرة الالكترونات هي فكرة الذرات التى قال بها ابيقور نقلا عن ديموقريط مباشرة وهذه الفكرة هى التى يقول بها العلم الحديث عن أصل المادة ويزداد عجبنا وحسرتنا وأسفنا على جهلنا اذا علمنا أن الفلسفة اليونانية منذ أسسها تاليت دى مليت أو تاليس الملطي كما يسميه مؤرخو العرب ليست الا شعاعا من النور الذى انبثق من مصر فقد رحل اليها تاليس وفيثاغورس وأفلاطون وكل عظيم من فلاسفتهم لم يخط حرفا لم يكن تلقى

أصله عن مصر العظيمة فانظر أيها المصري وقارن وتأمل.

بعد هذا الاستطراد نعود فنقول أن انتستين وديوجين الكلبيين حاولا هداية الناس الى الحياة البسيطة ولكن أهل عصرهما سخرا منهما كما سخر معاصرو روسو منه .

ولكن زينو رئيس الرواقيين اقتدى بهما فى النصح باتباع الطبيعة فى كل شيء . ثم أنه قاوم المذهب الروحاني فى فلسفة أفلاطون وارسطو وقال أنه لا يوجد فى الانسان الا الجسم وقد عاد بذلك الى الفلسفة اليونانية المادية القديمة . وبعث آراء هيراقليط من أن النار أصل كل شيء .

وقال زينو بان كل فترة من التاريخ هى عبارة عن صورة طبق الاصل من الفترة السابقة وهذا المبدأ فيثاغورى فى أصله وهو رأى يقصي الاختيار عن أعمال البشر ويؤيد أننا مسيرون وأننا كائنات ضعيفة في أيدي القضاء والقدر. وهذا هو الرأى الذي انتحله فردريك نيتشه وبنى عليه فلسفته ولم يذكر منشأه . ولكننا لا نسمي هذا سرقة أدبية ولكننا نفسره بتوارد الخواطر. لانه شتان بين هذا الرأي في بساطته وبين البناء الشامخ الذي شاده نيتشه . وليس هنا مجال الكلام

في هذا البحث الجليل اللذيذ

وقال الرواقيون بأن الله مادة تملأ الكون والعالم وأن خلقة العالم ثمرة مهارة فائقة وقدرة لا حد لها كان الكمال والخير رائديهما . وان العالم انما خلق لخير الانسان . بل هذا هو المبدأ القائل بأنه ليس فى الامكان أبدع مما كان المعروف بتليولوجيا وقال به سقراط وأفلاطون وارسطو . ويمكن تسميته بحسب الاصطلاحات الحديثة الاستبشار أو «أوبتمزم» وأفضل من يمثل هذا المبدأ فى المحدثين ليبنتز أحد تلاميذ ديكارت (راجع فلسفة ديكارت تأليف بوليه جزآن طبع ليون) وألطف من هزأ هذا المبدأ وسخر منه فولتير فى قصته البديعة « كانديد » فليقرأها من يشاء.

وقد استمان الرواقيون بكلمة قالها هيراقليط وهي « لوغوس » ومعناها اللفظي كلمة والمعنوى العقل المنتشر في الكون وأطلقوها على معنى الخالق فقالوا أن الكلمة هي الخالق وأن الخالق هو العقل الذي يوجد الاشياء والمادة التى تخلق منها الاشياء وقد نسب بعض المفكرين بعض مبادىء الدين المسيحى الجليل الى هذه المدرسة الفكرية وعينوا ألفاظاً

بالذات قالها بولس الرسول وادعوا أنه اقتبسها من الشاعر أراتوس تلميذ زينون وجار بولس الرسول فى وطنه وهو طرسوس وكانت مقراً لمدرسة رواقية (أعمال الرسل) وقد تأثر الرواقيون بآراء أفلاطون فقبلوا القول ببقاء النفس بعد الموت ولكن حياتها إذ ذاك لا تطول عن حياة العالم التابعة له . ثم تعود كغيرها من الكائنات فتمتزج بالمادة الالهية لتخلق من جديد. وأن كل فترة من حياة العالم تتكرر بحالتها لان الكمال لا يحتاج الى تعديل وهكذا تستمر الفترات تترى الى أبد الآبدين ..

وكان استبشار الرواقيين « أوبتمزم » في اعتقادهم أن العالم مخلوق بفكرة الخير ويقولون أن اللذة ليست خيراً كما أن الالم ليس شراً وقد أخطأ هربرت سبنسر إذ قال أن الاستبشار معناه الاعتقاد برجوح كفة اللذة على كفة الالم في العالم فكأنه يوحد بين اللذة والخير وبين الشر والالم وهى مختلفة ويقول الرواقيون أن الفضيلة هي الخير الوحيد وكانوا يحاربون الرذيلة ويعتقدون أن ما فى العالم من خير أو ضده صادر عن ارادة الخالق وفعله .

وكان أفلاطون أحذق منهم لانه نسب الشر للمادة

وبذلك فر من نسبة صدوره الى الخالق كذلك ارسطو لم تعرض له هذه المشكلة لانه لم يقل بخالق وكانوا ينكرون المعجزات ويعتقدون بان الحوادث متعاقبة متسلسلة غير منقطعة ومتصلة باول الدنيا وأن الحرية الالهية ليست مطلقة وأنها مقيدة بمنطق الوجود الذى عين الأشياء وحددها كبيرها وصغيرها فى سائر دوائر الخليقة ولاجل هذا فان التعبد والصلاة لا يغيران مجرى الحوادث ولا يقلبان نظام الطبيعة لمصلحة المصلى وأن الاقدار سائرة بقوة اندفاع إكتسبتها منذ الازل وتستمر عليها الى آخر الدهر وأن الله عز وجل لا يريد أن يتداخل بنفسه لينقذ رجلا عادلا مما كتب له فى صحيفة القضاء

فاعترض الناس على هذا القول وقالوا كيف يرضى الله سبحانه وتعالى فى هذا العالم الذى تقولون عنه أنه أفضل العوالم وأعمها خيراً أن يهلك الفاضل العادل ويسعد الشرير فقالوا انما قلنا أن هذا العالم أفضل العوالم امكانا وأن هناك ضرورات منطقية لا تدركها عقولنا تقتضى أن يظهر الشر بجانب الخير وربما كان حدوث الخير متوقفا على وقوع الشر ! وان قانون التناسب الخلقي يقضى باجتماع الاضداد لتتميز الاشياء فلا

يعرف الخير الا اذا عرف الشر كما أنه لا يعرف النور بغير الظلام ولا الحر بغير البرد وأنه ان لم يكن فى العالم باطل فلا محل للحق !!

ولما كان الرواقيون قدريين فقد حدث أن رقيقا لزينون سرق فلما مثل بين يديه قال له العفو يامولاى فانى سرقت لانه مقضى على منذ الازل انى أسرق ولا أستطيع رد القضاء فأجابه زينون وأنا أيضا مقضي على أن أجلدك عقابا لك ولا أستطيع رد القضاء ! وهذه الحادثة البسيطة تجعل حق العقاب على الذنوب مرتبطا بالمنفعة العامة. وهذا هو الرأي الذى قال به بعد ذلك بنتام بعشرين قرنا وأكثر (راجع ترجمة كتابه لفتحى زغلول)

ولكن الذى جعل تعليل زينون فى جلد عبده مقبولا هو أن العقاب على الذنوب قاصر على الحياة الارضية لأنهم لا يعتقدون فى نعيم ولا جحيم ولا خلود ولا بعث ولا حياة بعد الموت. والذى يحير العقول فى مذهبهم أنهم لم يعرفوا الفضيلة واكتفوا بالأمر باتباع الطبيعة.

لما توفى زينون خلفه كليانت ٣٠٠ – ٢٢٠ فى زعامة الفرقة

الفلسفية الرواقية وهو أغريقي من ترود وقد حل أثينا معدما فاستعان على مطالب الحياة بتوزيع المياه على النواطير المجاورة وكان فى أوقات فراغه يدرس الفلسفة وان صحت هذه الرواية أو كذبت فانها تدل على أن العامل فى بلاد الاغريق كان لا يعدم حب الفلسفة ولا الفراغ للدرس. وقد روى المؤرخون أن فيلسوفنا الشهير أبا نصر الفارابى كان بستانيا. وكان كليانت السقاء حكيما وشاعراً أيضا وقد نظم نشيداً لتمجيد الاله زفس معبودهم فى ذلك الحين جاء فيه :

«أيها القوى! تعددت أسماؤك وعظم مجدك بين الخالدين. ياجوف يامصدر الطبيعة الأول . يامن ترشد الأشياء بالقانون ان عبادتك فعل مقدس . نحن الناطقين أبناءك على الارض قد فضلتنا على جميع المخلوقات. ان الكون المحيط بالعالم الارضى يطيع اشارتك لان سيفك حاد وقوى ولا يغلب أنك مالك الدنيا ومديرها وأنت الكلمة وصاحب العقل المدبر (لوغوس). لا قادر الا أنت ولا خالق الا أنت . أنت الحكيم تقوم المعوج وتنظم الفوضى وتجمل الدميم. ان الذين لا ينظرون اليك ولا يسمعون أمرك لا ينالون شيئا من هناء الدنيا وخيرها .

إن الناس قد ضلت فعبدت المال والحب والطمع . فانقذهم يا جوف العظيم من وهدة الجهل انك بذلك جدير وعليه قدير! »

ويظهر أن هذا التعبد الحار كان صادراً عن قلب السقاء الفيلسوف باخلاص فأدى به الى التعصب الذميم فلما ظهر أريستارخوس العالم الذي قال بدوران الارض حول نفسها وحول الشمس (قبل جاليليه بخمسة عشر قرنا) أمر كليانت باتهامه بالالحاد لمعاقبته أمام جميع أهل أغريقيا ولا يذكر التاريخ مقدار ما وصل اليه من تهييج الرأي اليوناني ضد العالم الفلكي ولكن نظرية النظام الشمسي قتلت في مهدها بفضل ذلك السقاء الفيلسوف المصلي . .

وخلفه خرسيبوس وسار على سنة أساتذته فى سمو الفكر وبساطة العيش وقد قوي المذهب ودعمه حتى استطاعت مبادئه المقاومة خمسة قرون إلى أن ظهر بلوتينوس وحطم آراء الماديين وهو زعيم مذهب أفلاطون المستحدث وسيأتى الكلام عليه

وظهرت آثار الرواقيين فى اهتمام الناس بجمال الطبيعة

وحب النساء وفى السعي وراء الملاذ وهذا أدى بهم الى نظم الشعر التمثيلى وتحولت ميول الناس نحو حب الأرض والتمتع بزرعها وضرعها وهذا أدى بهم الى الاشتغال بسياسة الاراضي فاتحد أحد فلاسفتهم سفاروس مع الملك كليومينيس فى الاصلاح الزراعي الذى تم فى اسبرطه . وقام بلوسيوس بتهذيب الاخين الرومانيين جراكوس ودربهم على طرق الاصلاح الزراعي فى رومه وقد أدى تشبعهما بهذه المبادئ لاحداث الثورة المعروفة باسمها في التاريخ الرومانى وقد انتشر المذهب الرواقى فى رومه فعلم بعض أهلها المفكرين القناعة وبساطة العيش وبذل النفس فى سبيل الجمهورية وظهر من رجاله كاتون الصغير الذي ذهب ضحية مبادئه

وقد أنتج هذا المذهب فى رومة ثلاثة من فحول الكتاب المصلحين وهم سنيكا (مهذب نيرون) وابيكتيت (كاتب أخلاق) ومارك أوريل (أمبراطور فيلسوف) ويرجع الفضل لهؤلاء الثلاثة في نشر المذهب واعلاء شأنه فى العالم المسيحي.

كان سنيكا اسبانى المولد (٣ ق . م - ٦٥ ب.م) جلبته اجريبنا من منفاه ووكلت اليه تهذيب ولدها نيرون الذى

صار بعد ذلك عاتية رومة وأفظع الظالمين فعينه وزيراً ثم عزله فتآمر عليه وكان يرجو من وراء المؤامرة أن يخلفه على العرش

أما ابيكتت فكان معتوقا وعاش فى القرن الثانى للمسيح يرتزق بتعليم الحكمة وهو صاحب المثل السائر « احتمل واصفح » . وفيه من تعاليم التسامح المسيحى ما فيه .

أما مارك أوريليوس (١٢١ — ١٨٠) فيكفى فى ذكره بالفضل انه لم يشبهه فى ملوك الافرنج الا اثنان الملك أرتور المتصوف والقديس لويس المجاهد الصليبي .

ومبادىء هؤلاء الفلاسفة الثلاثة يمكن التعبير عنها بثلاث كلمات « الضمير والواجب والانسانية »

فعبارة الضمير هى أرقى ما وصل اليه البحث العقلى والبحث الخلقى فى فلسفة اليونان وعبارة الواجب مرتكزة على قول الرواقيين بأن لوغوس خلق العالم وفرض لكل ذرة وظيفة تؤديها . فالواجب هو أساس الوجود فالانسان مخلوق ومحاط بظروف معينة تجعله بذاته قادراً على القيام بأعمال معينة لا يستطيعها سواه . وقد أخذ جول سيمون فكرة الواجب وشرحها شرحاً مطولا فى كتاب معروف نقلنا بعضه الى اللغة

العربية ونشر فى احدي المجلات فى ١٩١٢ ثم نقله الى العربية برمته غيرنا . والانسانية معناها حب الناس بعضها بعضا والامتناع عن الحاق الاذى بعضهم وان الرق مخالف للقانون الطبيعي وينبغى محوه من الوجود وقال سنيكا ان الناس تولد بحقوق متماثلة وقد بنى رجال القانون على هذا الرأى مبدأ تحرير الناس .

والذى ساعد على نشر هذا المبدأ الرواق فى رومة وفى المسيحية هو كونه فلسفة دينية غايتها القول بوحدة الوجود الطبيعي والمادى والروحانى.

السينيك المشككون أو « المرتابون »

بعد أن مات افلاطون حل محله فى الأكاذيمية رجال تعلقوا بدراسة محاوراته الأولى وهم يمتون بجبل الفكر إلى بروتاغوراس وجورجياس اكثر منهم الى سقراط. واعظمهم قدراً ارسيسيالوس (٣١٥ – ٢٤٠) وكارنياديس (١٢٨-٢١٣) وقد حولا قوة انتقادهما الي خريسبوبوس مصلح الرواقية وزعيمها بعد زينون ومما قالاه عبارات تشكك فى كافة الحقائق المعلومة سعياً وراء هدم نظرية المعرفة التى أساسها العلم بالحواس والشعور بالعالم الخارجي.

والذى سوأ مركز الرواقيين هو أنهم كانوا يؤمنون بالهة اليونان ذكوراً واناثا ويصدقون بالوحي والتنبؤآت. لاجل هذا هجم كارنياديس علي الرواقيين ونقد فلسفتهم ووضع أساس فلسفة التشكيك. وكان مبدأهم الترجيح فى خطط الحياة. وقد نجحوا فى هدم غرور خصومهم واوصلونا الى اوريل وسينكا وابيكتيت.

الابيقورية او «فلسفة الملاذ»

مدرسة فلسفية مركزها وسط بين السابقتين وهي اقرب الى المشككين منها الى الرواقيين

أما ايقور مؤسسها وزعيمها فكان جاهلا بمبادى العلوم الطبيعية وكان لا يعتقد بكروية الارض ولا بان الشمس والقمر هما فى الحقيقة اكبر مما نراهما ويظنهما بحجمهما الطبيعي !! ولا ندرى كيف هيء له أن ينعش نظرية الذرات التى ظهر فضله فيها بعد موته بتسعة عشر قرنا وكان من أهل ساموس (٢٧٠ ـ ٣٤٢) وعاش فى اثينا وكان محدود العقل ويرى رأى افلاطون فى أن غاية الحقيقة الوصول الي السعادة وهو يفضل اخف الضررين واهون الشرين ويكره العقائد الدينية لانها تشغل نفسه عن اللذة الناتجة عن «خلو البال» ويقول انه لايجوز للانسان أن يخاف من المستقبل بعد الموت لانه لا حياة هناك وانكر تداخل الالهة فى شؤون البشر وانكر الحياة بعد الموت وكان لا يؤمن بها ويذكر القارىء أن ذيموقريط قال بمذهب الذرات وهذا المذهب يؤدى بطبيعته

الى الالحاد فانتحله أبيقور لا تقديراً لقيمته العلمية ولكن لان انتحال هذا المذهب ينقذه من الاعتقاد الالهي الذي يؤدي الى الاعتقاد بتداخل الله فى أحوال الدنيا وهذا الذي لا يريده أبيقور لا من وجهة علمية ولكن ليريح فكره ولما كان أبيقور جاهلا جداً بمبادئ العلم الطبيعي فقد حور فى مذهب الذرات تحويراً ظنه يوفق بينه وبين تطور العلم الطبيعي منذ عهد ديموقريط صاحب هذا المذهب الى عهد أبيقور بعد أن مرت الفلسفة والعلم بارسطاليس العظيم

وقوة الابيقورية ليست مستمدة من المبادئ الطبيعية ولكن من بحثها الاخلاقى وجعلها اللذة غاية كل خير ومقصد كل حي فى الوجود ولكن هذا المذهب أيضاً وهو تمجيد اللذة لم يكن حديثاً بل قال به من قبل ديموقريط نفسه صاحب مذهب الذرات وان كان لم يفه حقه من الشرح والتفسير فقد وفاه حقه أفلاطون نفسه فى محاورته « بروتاغوراس » ونقحه وهذبه وأيده فى «كتاب النواميس». وخلاصة هذا المبدأ فى رأيي أبيقور وأفلاطون أن الفضيلة فى الانسان نتيجة

الحذر وليس مقصدنا بالفضيلة إسعاد الناس أو إسعاد العالم ولكن مقصدنا هو ابعاد الاذى عن ذواتنا وضمانة خيرنا الذى هو في حدوث اللذة وانتفاء الالم وهذا المذهب الذى يسميه الانجليز « هدونيزم » وكان الاقدمون يزيفون هذا المذهب بتمثيل اللذة في الشهوات البدنية ويطعنون على اللذة ويمقتونها من طريق الطعن على تلك الشهوات ولكن شرح أفلاطون وتفسيره نظرية اللذة لم يبق مجالا لهذا الاعتراض لاسيما وان ابيقور نفسه بين أن اللذة ليست قاصرة على الاحساسات المادية بدنية أو غير بدنية بل ان للشعور المعنوى منها أوفر نصيب

فذكر قبل موته بيوم واحد أن تذكر محادثة فلسفية جرت له مع صديق خففت ألمه في داء من أقسى الادواء وأشدها وطأ. ولذا كان الابيقوريون يمجدون الصداقة ويعلون شأن الوفاء فيها وربما قد استعاضوا بلطف العشرة عن قوة الادراك والبحث العلمي لأنهم كانوا بالفعل جهلاء لدرجة أنهم لم يجرأوا على تعديل كلمة واحدة مما رسمه « الاستاذ الاكبر » ابيقور وكانوا يعدون التحريف كفراً لا يغتفر لأنهم كانوا قد

ألهوا زعيمهم وعبدوه وهذه المدرسة الفكرية تدل على الحالة العلميه والعقلية التى وصلت اليها الحكمة بعد زعمائها الاول على أن لمذهب ابيقور أنصاراً عظماء منهم جيو الشهير الذى مات فى مقتبل العمر بفرنسا فقد كتب عنها كتابا عظيما نال جائزة من جمعية العلوم المدنية والسياسية بباريس وهو يذكر أن كثيراً من المذاهب الحديثة تمت الى الايقورية بحبل النسب (راجع كتابه La Morale d' Epicure et ses rapports avec les doctrines contemporaines طبع فليكس الكان سنة ١٩١٠)

الافلاطونية المستحدثة

لما تغلبت مقدونية على بلاد الاغريق وفازت القوة الغشوم ببطشها المادى على مبادىء الذكاء والعدل والعلم الصحيح،

ولما استولت دولة الرومان بجيوشها الجرارة على ممالك العالم — خفت صوت الفلسفة وانطفأ مصباح العقل تحت تأثير العاصفة وذهبت من النفوس عاطفة الشجاعة المعنوية والتفاني في سبيل الحق والعدل واتجهت النفوس بعد استضعافها نحو العقائد الدينية التي من شأنها تعزية العاجز وتعويده على الصبر والاستسلام ولايخفى أن تلك العقائد تجلب خلفها طائفة من الاوهام والخرافات وتغرى الشعوب بالعيش الرخيم في ظلال الجهل والكسل والتوفر على الراحة والنفور من بذل كل مجهود عقلى غايته رفع الغشاوة عن البصائر. كل هذا يجلبه الاستسلام للعقائد بغير فحص ولا تمحيص وأشد من هذا فى نظر الفلاسفة اعتقاد العامة في الخلود الانسانى ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن القول بخلود النفس ليس رأيا دينيا وانما هو رأى

ابتدعه افلاطون وصاغه في قالب بلاغتـه وكان استفاده من المصريين والفيثاغوريين . وان الامم الجاهلة الضعيفة التي تفقد املها فى هذه الدنيا وتبحث عن النور فلا تجده في عقولها التي خيمت عليها الاوهام تبحث عن عزاء خيالي فتلتمسه في فكرة الخلود . هذه هي الحال المعنوية التي بعثت فلسفة افلاطون من مرقدها لانها فلسفة دينية بشكلها وموضوعها وفيها كل ما تحتاج اليه النفس المتدينة من عقيـدة التناسخ الى عقيدة الخلود بما في ذلك مذهب التصوف وفكرة الثواب والعقاب فى عالم غير العالم الارضي

وكان افلاطون ذاته شبه فيثاغورى فلما بعثت فلسفته كان من نهضتها نصيب لفلسفه فيثاغورس فنفضت عن اردانها غبار النسيان ونشرت على العقول شبابا كاعتيقة ولكنها قوية من الاعتقاد بالتقمص وسر الاعداد والتنجيم (ولا يزال كثيرون من الشرقيين يعتقدون في سر الاعداد ويستعملونها فى السحر والرقى كما تدل علي ذلك مقدمة ابن خلدون وكتب التنجيم وتخوت الرمل وحساب الجمـل وهى أثر من الفلسـفة الفيثاغورية انتحلها بعض المشعوذين وتبعهم بعض الجهال من

ابناء بلادنا)

لما طارد المقدونيون والرومان الفلاسفة من أروبا لجأوا الى الاسكندرية وهي اذذاك عاصمة يونانية فى مصر ومدرستها المشهورة باسمها قد اطلقت علما على مبادىء كثيرة من الفلسفة والادب ومكتبتها الجليلة كانت حافلة بكل انواع الكتب وهي التى احترقت بفعل قنابر (لا يقال قنابل) يوليوس قيصر لدي حصاره الاسكندرية فى عهد كلوبطره . هى تلك المكتبة التى اشاع بعض المتعصبين ان العرب بقيادة عمرو بن العاص احرقوها بامر من عمر بن الخطاب . واصل هذه الاشاعة نبذة كتبها عبداللطيف البغدادى وكان رجلا عصبيا ضعيف التحرى قليل العقل وقد سماه أهل عصره بالتيس الملتحى ، كان هو أول من نشر تلك التهمة المكذوبة ونقلها عنه بعض المؤرخين الذين اعماهم سوء النية عن الحقيقة . ولكن جميع المؤرخين العقلاء من الافرنج كذبوه في هذه الدعوى ومنهم جيبون المؤرخ الانجليزى الشهير فقد اثبت أن الذى احرق هذه المكتبة قنابر ومقذوفات يوليوس قيصر وان العرب لما فتحوا مصر كانت هذه المكتبة فى عالم العدم منذ اكثر من ستة قرون .

في مدينة الاسكندرية ظهر مذهب الافلاطونية المستحدثة على يد بلوتينوس ٢٠٥ — ٢٧٠ ب . م . وهو الذى يسميه الشهرستانى بالشيخ اليونانى وفى هذه النقطة خلاف لم يحقق .

وكان بلوتينوس مصريا وكان متشدداً في المعتقدات الروحانية لدرجة أنه كان يخجل من كون روحه محاطاً بجسد لاجل هذا لم يقبل أن يدون عن تاريخه المادى شيئا ولهذا لا نعرف عن تاريخ حياته الارضية قليلا ولا كثيراً . ولكن الذى يعلمه معاصروه أنه درس جميع المذاهب الفلسفية التى كانت معروفة لعهده وأنه تلقى دروسا فى الحكمة على أمونيوس ساكاس الافلاطوني الذى كان يعلم فى الإسكندرية وقد دام تلقيه عليه ١١ سنة ولما مات استاذه سافر مع الرومان الى بلاد الفرس مدفوعا برغبة الوقوف على الحكمة الشرقية ولكن الرومان فشلوا فى حملتهم على الفرس فعاد أدراجه الى رومه وهناك أخذ يلقى دروسا عامة فاحتفي به الرومان ومجدوه وكانت أخلاقه الفاضلة القوية تعادل علمه وكان الناس فى رومه يحتكمون اليه ويكلون اليه الوصاية المختارة على أولادهم القصر . ومات فى السادسة بعد الستين من عمره وهو يقول

« انى أحاول مزج الجزء الالهي الذى فى نفسي بالقوة الالهية السائدة على العالم »

وقد قام تلميذه برفيرى (فرفريوس صاحب مقدمة ايساغو لكتب ارسطو المنطقية) بتنظيم كتبه فى ستة أجزاء وفى كل جزء منها تسع مقالات اسمها انياد. وقد ترك برفيري ما يدل على تاريخ تدوين هذه المقالات. ويستدل من تاريخ تدوينها أن بلوتينوس بدأ في تدوين مذهبه لما بلغ الخمسين من عمره وأن مذهبه كان إذ ذاك قد كمل فى ذهنه ولم يعوزه الا الكتابة فكتبه. وخلاصة مذهبه مزيج من أفلاطون وارسطو والرواقيين وغايته فى فلسفته دحض الفلسفة المادية التى وضع أساسها الفلاسفة المرتابون (سبتيك) وابيقور وخريسبوس ورأيه في الشخصية الانسانية أنها روحانية ولما حاول نقض فلسفة ابيقور انتقدها من حيث عجز صاحبها عن تعليل وجود العقل المدبر الذى يحرك الذرات

وبلوتينوس يتفق مع أبيقور في القول بان الانسان مخير وكلاهما يخالف رأى الرواقيين فى أنه مسير. وقال بلوتينوس أن اختيار النفس نتيجة طبيعتها الروحانية. فلما أذ قضي بولتينوس

وطره بانتقاده على المرتابين والرواقيين والابيقوريين أخذ فى تأسيس فلسفته فقرر أنه يتفق مع ارسطو فى رأيه فى المادة بصفة كونها « قدرة ممكنة » ثم اتجه الي فلسفة أفلاطون الاصلية واستعار منها فكرة « الواحد الذى يدل على التعدد والذي لا يوجد بغيره مع أنه مستقل عنه وسابق له ومرتفع عن سائر الوجدات التي يتكون منها التعدد »

وجعل بلوتينوس هذه الفكرة مفتاح فلسفته ودرة تاجها . وكان بلوتينوس ميالا بفطرته الى البحث الفكرى البحت فنتج عن قدرته الفلسفية وعن اختياره لفكرة أفلاطون التي تخلى عنها هذا الاخير أنه صار أول واضع لاساس التصوف فى الغرب بعد أفلاطون الذى ابتدع الفكرة !

ثم يقول بلوتينوس أن جميع الارواح واحدة (وهذه نظرية وحدة النفوس التى قال بها الفارابي وابن باجة وابن رشد)

ثم يقول بلوتينوس أن « نوس » هو العقل المدبر وأن « الواحد » الافلاطونى « والارواح المتحدة» المتعددة تكاد تكون ثالوثا مقدساً أوجد أفلاطون فكرته قبل الثالوث

المقدس المعروف ولكن البحث فى تحقيق هذه النظرية ليس من اختصاصنا فى هذه الرسالة. ويقول بلوتينوس أن الانسان مكون من روح عليا وهى العنصر الروحانى الذى سبق الكلام عليه ومن روح سفلى وهى التى تدنى الانسان من عالم المادة . ويقول ان الروح هى التى أوجدت المادة ويقول بلوتينوس أن النفس الانسانية بالرغم من كونها محاطة بالمادة تتصل بالعالم الاعلى فى حياتها الارضية وتتحد «بالواحد» وقد بلغ هو هذه الدرجة من الاتصال والاختلاط عدة مرات ولكن تلميذه بروفير لم يتمتع بهذا الاختلاط الروحانى الا مرة واحدة ومن هذا القبيل « انجذاب » الصوفيين والاولياء الذين يقولون أنهم صعدوا الى السماء الاولى أو الثانية أو الثالثة كما قال سيدنا بولس الرسول وهذه هى حالة « الاجزتاز » الجميل الذى لا يناله الا السعداء وهى حالة التجرد من الجسم والارتقاء بالروح الى أسمى درجات الوجود الروحانى ومعنى القول ان الروح « تسرى » بالانسان الى السماء والعلم الحديث يفسر هذه الحالة بأنها نوع من الغيبوبة المغنطيسية (راجع ص ١٤٨ من تاريخ الفلسفة القديمة تأليف و . بن طبع

لندن ١٩١٢)

وقد استمرت هـذه الفلسفة ذائعة لمدة ٢٥٠ عاما بعد موت مؤسسها وخلفه بروكلوس (٤١٢ — ٤٨٥) ب. م ومن آثارها نشر فضـل أفلاطون ومناصرته وتقديم مذهبه على مذهب أرسطو.

وفي سنة ٥٢٩ أمر الامبراطور جوستنيان (معناه العادل !) الروماني باغـلاق مدارس أثينا ومصادرة أوقافها التي أسسها ماركو أوريليوس وبذلك قطع هـذا الحاكم الروماني المشوم لسان الفلسفة وأخفت صوتها وقد ذكرنا اسمه هنا لنستنزل عليه لعنة كل ذي عقل لانه من الافراد الذين حاولوا خنق الفكر الانساني والتضييق عليه باسم الدين تارة وباسم السياسة طـوراً ولـكن الفكر الانساني كالنور الازلي الابدي ويأبى الفكر أن يطفأ نوره !

خاتمة وخلاصة ما تقدم

يتلخص الفصل الذي عقدناه لتاريخ الفلسفة اليونانية ليكون مقدمة لمائدة افلاطون وليكون حلقة اتصال بين القارىء الخالي الذهن وبين هذا الكتاب الجليل الجميل فى أن الاغريق أخذوا عن اليونان مبادىء الفلسفة والعلوم الرياضية وعلم الفلك وسواها من العلوم وأنهم توسعوا فيها وزادوا عليها واشتهروا بها واستنار العالم بهديهم وبنبراس حكمتهم الى وقتنا هذا.

وأنهم بدأوا بالاشتغال بالحكمة والعلوم فى القرن السابع قبل المسيح أى منذ ٢٦٠٠ سنة تقريبا ويلاحظ أن مصر التى ترجع أثار مدنيتها الى خمسة ألاف سنة (تاريخ نحت تمثال ابي الهول) كانت علومها زاهرة وحكمتها ظاهرة وانظمتها سائدة وعظمتها ثابتة وطدة قبل اشتغال اليونان بالفلسفة بثلاثين قرنا.

واول من اشتغل بالفلسفة تاليس وجاء فى الاخبار الصادقة انه قصد مصر وساح فيها مدة لانها كانت مصدر العرفان الوحيد في العالم وكسب منها فوائد جمة ثم عاد الى

وطنه لينشر العلم بين ابنائه فأسس مدرسة وكان له الفضل فى نقل علم الهيأة عن المصريين وتوسيع دائرته فقسم السنة الى فصول وهو أول من نزع من افكار أهل وطنه خرافات كثيرة كانت سائدة عليها كاعتقادهم ان الكواكب آلهة فاثبت لهم بالبرهان انها اجرام كارضنا لاحياة لها . وقال إن للعالم مبدعا لاتدرك صفته العقول من جهة جوهريته وانما يدرك من جهة آثاره (الملل والنحل للشهرستانى طبع لندن صحيفة ٢٥٥)

وجاء فى القفطى عن ثاليس صحيفة ٧٥ أن ثاليس دي ميليت أو الملطى قال ان الوجود لاموجد له (تعالى الله العظيم « القفطى ») واعتذر له اصحابه ان الذى حمله على ذلك ما شاهده فى هذا العالم من الاختلاف فتحقق أن الموصوف بالصفات الحسني لاتصدر عنه هذه الامور المختلفة فقال بذلك

ونقل عنه ان المبدع الاول هو الماء لانه قابل لكل صورة ومنه ابدع الجواهر كلها وهو علة كل مبدع وانه من جمود الماء تكونت الارض ومن انحلاله تكون الهواء ومن صفوة الماء تكونت الذار (الذرات أو «اتوم») ومن الدخان

والابخرة تكونت السماء ومن الاشتعال الحاصل من الاثير تكونت الكواكب فدارت حول المركز دوران المسبب على سببه بالشوق الحاصل فيها اليه . وميز بين الجسم والجرم فقال أن الجسم ما كان لطيفا ظاهراً والجرم ما كان كثيفا دائراً وكان يقول أن فوق السماء عوالم مبدعة لا يقدر المنطق أن يصف تلك الانوار ولا يقدر العقل على ادراك ذلك الحسن والبهاء . وقال الشهرستانى عن تفسير الماء الذي قال تاليس عنه أنه المبدع الاول « وفى التورية فى السفر الاول مبدأ الخلق هو جوهر خلقه الله تعالى ثم نظر اليه نظر الهيبة فذابت أجزاؤه فصارت ماء ثم ثار من الماء بخار مثل الدخان فخلق منه السموات وظهر على وجه الماء زبد مثل زبد البحر فخلق منه الارض ثم أرساها بالجبال » . وأظن أن مؤلف الملل يقصد بقوله السفر الاول سفر التكوين فى التوراة المقدسة فقد جاء فى الاصحاح الاول « وكانت الارض خربة وخالية وعلى وجه القمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه » (آية ٢)

وجاء بعد ذلك « وقال الله ليكن جلد فى وسط المياه . وليكن فاصلا بين مياه ومياه . فعمل الله الجلد وفصل بين

المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد (٦و٧) وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء (٩) ومجتمع المياه دعاه بحاراً (١٠) »

أظن هذه الآيات المقدسة هي التي حللها الشهرستانى وأوجزها ثم أنه استمر فى استنتاجه فقال (ص ٢٥٦ من الطبعة السابقة الذكر) « والماء على القول الثانى شديد الشبه بالماء الذى عليه العرش وكان عرشه على الماء » وجعلنا من الماء كل شيء حي.

ولا نعلم قصد الشهرستانى فى قوله أن تاليس الملطي انما تلقى مذهبه من المشكوة النبوية وأن الذي أثبته من العنصر الاول الذى هو منبع الصور شديد الشبه باللوح المحفوظ المذكور فى الكتب الالهية ويدهشنا هذا القول من الشهرستانى لان تاليس من أهل القرن السابع قبل المسيح.

وجاء بعد تاليس انكسمندر وسار على درب تاليس فى الابحاث الفلكية فاخترع الساعة الشمسية وقسم النهار الى ساعات وهو أول من بين سبب زايد القمر من هلال الى بدر ونقصانه من بدر حتى يصير كالعرجون القديم وله الفضل فى التعليل العلمي على كل من عداه

وجاء بعده انكسمين ويسميه العرب انكسيمانس وقال

في أصل العالم قولا مثـل سلفه ثاليس ان أول الاوائل ليس الماء كما قال ثاليس وانما هو الهواء ومنه يكون جميع ما فى العالم من الأجرام العلوية والسفلية وقال ان ما كون من صفو الهواء المحض لطيف روحانى لايدثر ولا يدخل عليه الفساد ولا يقبل الدنس والخبث وما كون من كدر الهواء كثيف جسماني يدثر ويدخله الفساد ويقبل الدنس والخبث . ولعله جعل الهواء أول الاوائل لموجودات العالم الجسمانى كما جعل العنصر أول الاوائل لموجودت العالم الروحانى وقلنا أن انكسمين يرجح أن يكون تلميذ انكسمندر

ثم ظهر فيثاغورس دى ساموس فى أواخر القرن السادس قبل المسيح وقيل عنه ايضا انه قصد مصر واستقى العلوم من منابعها العذبة بفضل الكهنة فى المعابد وقد اشتغل بالرياضيات والفلك وكان للاعداد فى نظره اعظم شأن حتى انه بني فلسفته عليها ولارسطو كلام طويل فى تفنيد نظرية الاعداد ولكن يلوح لاهل الفكر ان ارسطو لم يدرك تماما نظرية الاعداد أو تظاهر بذلك ليسهل عليه نقدها . أما فيثاغورس فقد قال بدوران الارض حول الشمس واظهر فى علم طبقات الارض

حقائق ثابتة لم تنقض الى هذا الوقت كقوله أن البحر كان يابسة وان اليابسة كانت ماء وان الوديان تكونت بفعل الانهار وعلل وجود الآثار البحرية كالمحار والاصداف وغيرها في اعالى الجبال وهـذا مفتاح طبقات الارض (كما اثبت شارل ليـل الانجليزي في القرن التاسع عشر) وهو أول من عرف الفلسفة واطلق عليها اسمها واول من سمي فيلسوفا وكان بفضل علم الاعداد وعلم الفلك أول من شد أوتاراً بحسب السلم الطبيعي في الموسيقى وقد أسس مدرسة وفلسفة باسمه وكان فيثاغورس يعتقد بالبعث والخلود ويقول بان فوق عالم الطبيعة عالما روحانيا نورانيا لا يدرك العقـل حسنه وبهاءه وان الانفس الزكية تشتاق اليه وان كل انسان أحسن تقويم نفسه يصير أهلا لهذا العالم الروحاني النوراني . وكان يعلم تقديس الحواس ومذهبه أن يعـلم الرجل الرجال وأن تعلم النساء النساء وكان معتدل المزاج ولا يفـرح بأفراط ولا يحزن بأفراط ولا يسمن ولا يهزل ولم يره أحد باكيا ولا ضاحكا وكان يعـالج الامراض بانغام الموسيقى (وهذه طريقة أحياها بعض المحدثين في أوربا

لمعالجة الامراض العصبية والعقلية) وكان فيثاغورس تلميذ انكسمندرا الذى سبق ذكره وتعلم عليه الفلك والرياضة ولما زار مصر تعلم الهيروغليفيه على أساليبها الثلاثة وبعد أن عاد الى وطنه واقام به وبغيره سنين طويلة حن الى مصر وعلومها فوردها وقصد كهنة عين شمس (مدرسة كانت بمصر الجديده المعروفة لعهدنا هذا بهليو بوليس وبها نكتب هذا الكتاب) فامتحنه كهنتها ثم بعثوا به الى منف ثم الي ديوسبولس ليمعن الكهنة فى امتحانه واكرمه الملك اماسيس الى أن عاد الى وطنه وكانت زوجته تعلم سائر النساء وابنته البتول تعلم سائر العذارى واضطهده أهل وطنه وطاردوه وقتلوا بعض تلاميذه واضطروه للفرار وتبعه الاضطهاد حيثما حل الى أن لجأ الى هيكل الموسن فتحصن فيه اربعين يوما فضربوا الهيكل بالنار فلما أحس اصحابه بذلك عمدوا اليه فجعلوه في وسطهم واحدقوا به ليقوه النار باجسامهم فلما امتدت فى الهيكل واشتد لهيبها غشى على الحكيم من ألم حرارتها ومن الجوع لانه قضي معظم أيام الحصار جائعا فسقط ميتا ثم احترق جميع انصاره (راجع ص ٣٧ وما بعدها من ابن ابى اصيبعة وراجع كتاب مختار الحكم

ومحاسن الكلم لمحمود الدولة ابى الوفاء المبشر بن فاتك)

ونسبوا اليه ثمانين كتابا وقالوا مائتين وثمانين كتابا .
(هذا احصاء كتاب العرب) ولا تخفي علي القارىء أن معظم ما رواه العرب عن فيثاغورس هو من قبيل الاساطير الموضوعة كأنهم لم يدركوا أولم يشاؤا ذكر الحقيقة . فالثابت فى التاريخ الصحيح أن فيثاغورس الف حزبا علميا واشتغل بالسياسة وكان اتباعه من الخواص أو الارستوقراطية وانهم لم يأتوا من هضم حقوق الشعب فتعقبتهم العامة واضطهدتهم الي أن احرقتهم بوصف كونهم اعداء الشعب لا بصفة كونهم فلاسفة ولم يدرك العرب حقيقة فيثاغورس ونسبوا اليه علوم الدنيا والآخرة مع أنه كان رياضيا لا زيادة وفضله راجع الى مزجه الحساب بالهندسة كما فعل ديكارت بمزج الجبر بالحساب.
وتفوق فيثاغورس فى الرياضيات هو الذى جعله يعلق شأنا كبيراً علي الاعداد واسحارها. أما فلسفة فيثاغورس التى كانت دعامتها البعث وتقمص الارواح وحلولها فى اجسام غير اجسامها الاولى فقد محيت من عالم الفكر الانسانى فى القرن الرابع وذهبت تقريبا بذهاب القائل بها الا من اعمال المشعوذين من

العرب الذين تمسكوا باسرار الاعداد وسحرها الى وقتنا هذا ومن العجيب ان العرب ذكروا بالتفصيل مأكل فيثاغورس ومشربه ولم يذكروا تاريخ مولده ولا تاريخ وفاته. وقد ذكرناه معتمدين على مؤلفي الافرنج وفى هذا كفاية ولولا ما كتبه ارسطو عن فيثاغورس في عرض نقده اراءه الفلسفية أو فلسفة الاعداد ما اهتدينا الى شيء حقيقي عن حياة هذا الحكيم . ولا عبرة بما عدده العرب من كتبه فقد نسبوا اليه ٢٨٠ كتابا وروو عنه الف مثل وحكمة مع اننا لم يقع لنا سطر واحد من مؤلفات فيثاغورس واتباعه ويمكننا تعليل ذلك بان معظم ابحاثهم كانت رياضية وكفى انه وضع كلمة ماطيماطيقي (رياضيات) وآثار الرياضي في الارقام والاشكال والمعادلات وهي آثار زائلة . وسيأتى الكلام على الرد على نظريته فى الاعداد فى عرض الكلام على ارسطو وهو أول من اهتم بها ونقدها .

وكنا نود أن نأتى على نظرية فيثاغورس في الاعداد بشيء من الاسهاب ولكن ذلك يصعب لاننا نكتب وجيزاً لامطولا . على أن تلك النظرية مهمة جداً لان لمذهب صاحبها شأنا كبيراً فهو أول من فرق بين ادراك الانسان

والحيوان بعبارة وجيزة اذ قال أن هداية الحيوان مقدرة على الآثار التي جبل الحيوان عليها وهداية الانسان مقدرة على الآثار التي فطر الانسان عليها . فكأنه يقول ان الحيوان يعيش بالغريزة والانسان يعيش بالعقل لان الفطرة هى الحالة الفكرية التي تحصل للانسان من التأمل والتعليل ثم يتوارثها الابناء عن الاباء ولا يوجد فرق عظيم بين هذا الرأى وبين العلم الحديث . ولكن نظرية فيثاغورس فى الاعداد هي التى جعلت له شأنه العلمي الحقيق واهم مافيها انه جرد العدد عن المعدود تجريد الصورة عن المادة وقال مبدأ الموجودات هو العدد وهو أول مبدع . وقسم العدد الى زوج وفرد ثم قال ان المتحركات السماوية ذات حركات متناسبة لحنية هى اشرف الحركات والطف التأليفات . ويدعى فيثاغورس انه سمع حفيف الفلك ووصل الى مقام الملك وقال ما سمعت شيئا ألذ قط من حركاتها ولا رأيت شيئا ابهي من صورها وهيأتها . وعندى ان هذا التخيل البعيد المدى الذى جعله يشهد العالم بحسه وحدسه ويسمع حفيف الكواكب انما نوع من الانجذاب اللطيف الذى يعلله العلم الحديث بانه غيبوبة مغنطيسيه فيخيل

اليه اتباعه انه صعد الى السماء وحادث الملائكة الى آخر ماروى عن فيثاغورس وامثاله . وهذه « الحال الانجذابية » هي التى تجعل لذويها اتباعا وانصاراً يفدونهم بحياتهم ونحن لا نريد تكذيبها أو دحضها انما نحاول تعليلها تعليلا علميا لتفسيرها وادراك حقيقتها. فقد حدث مثلها في عهدنا هذا السويدنبورج الذى قال أنه رأى شبحاً قال له «أنا الله ـ الخالق ـ مخلص العالم — اخترتك لتنشر للناس معنى الكتب المقدسة — سأملى عليك بنفسى كل الذى تكتبه » (ص . ٢١٩ كتاب اعتلال العبقرية تأليف نيسبت طبع لندن) وقد صار سويد نبورج بعد ذلك مصلحا دينيا عظيما وكان يقول عن نفسه ويقول عنه أتباعه أنه نبي .

نعود الى فيثاغورس فنقول ان أتباعه تغالوا فى أهمية العدد فأوقعوا الالف فى مقابلة الواحد والباء في مقابلة الاثنين الى غير ذلك . وقالوا ان مبدأ الجسم هو الابعاد الثلاثة. ومن أحكم أقوال فيثاغورس ان الانسان بحكم الفطرة واقع فى مقابلة العالم كله وهو عالم صغير والعالم انسان كبير (أنظر بعد ذلك فلسفة سبنسر الاجتماعية (سوسيولوجيا) فانه أخذ فيها في

شرح هذه النظرية وتطبيق أحوال الكائن الحي على المجتمع)
ولذلك صار حظ الانسان من النفس والعقل اوفر فمن أحسن تقويم نفسه وتهذيب اخلاقه وتزكية احواله امكنه أن يصل الى معرفة العالم وكيفية تأليفه ومن ضيع نفسه ولم يقم بمصالحها من التهذيب والتقويم خرج من عداد العدد والمعدود وانحل عن رباط القدر والمقدور وصار ضياعا هملا . وقال فيثاغورس فى سياق نظرية الاعداد النفس الانسانية تأليفات عددية أو لحنية ولهذا ناسبت النفس مناسبات الالحان والتذت بسماعها .

وجاء بعد فيثاغورس فلاسفة مدرسة ايليه وهم پارمنيد وزينون دى كولفون وتلاهم الفلاسفة الطبيعيون المحدثون وأولهم هيراقليط وهو فى طليعة الحركة الفلسفية التى اهتمت بتحول الاشياء وتغيرها أكثر من اهتمامها بمادتها .

واشتغل بالسياسة وحرب الديموقراطية وكان يقول بوجود الانسجام فى وسط الفوضى .وكان هيراقليط يخالف پارمنيد .

ثم تلاهما أناكساجور وهو من نوابغ القرن الخامس قبل المسيح واشتغل بالفلك ورصد الكواكب وهو أول من

علل الخسوف وفضله على فيثاغورس ظاهر فقد تنبأ هذا الاخير بكسوف حصل في عهده ولكنه لم يستطع تفسيره ولكن أناكساجور علل الخسوف والكسوف معا وأنكر ألوهية الشمس واضطهده أهل عصره لاجل هذا وقد سمى أناكساجور حكيم الذرات (الذار) لانه قال بأن المادة وجدت منذ الازل على صورة ذرات غير مرتبطة ثم تناولها العقل الازلى فنظمها ورتبها حتي أخذت أشكالها المرئية .

وأشرنا الى أن أراء أناكساجور بقيت صادقة الى أن قال بها باسكال وليبنتز ونقول انه من عهدها الى الآن لم ينقض رأى أناكساجور فقد ثبت للعالم الحديث أن المادة مكونة من ذرات وان جزئيات المادة لا تدركها العين المجردة لشدة صغرها وانها من نوع واحد لا فرق بينها وقال علماء هذا العصر بنظرية الالكترونات وهى قريبة جداً من نظرية أناكساجور فضل أناكساجور على العلم عظيم وكلامه فى أصل الوجود ينطبق على العلم الحديث وهو راجع الى رغبته فى تعليل مبدأ الموجودات فقال ان مبدأها متشابه الاجزاء وهي أجزاء لطيفة لا يدركها الحس ولا يناله العقل منها كون الكون كله العلوى

منه والسفلى لأن المركبات مسبوقة بالبسائط والمختلفات أيضاً مسبوقة بالمتشابهات. هذه النظرية التى انتحلها دروين وأطلق عليها اسم « Differenciation »

وهو أول من قال بالكمون والظهور حيث قدر الاشياء كلها كامنة فى الجسم الاول وانما الوجود ظهورها من ذلك الجسم نوعا وصنفا ومقداراً وشكلا وتكاثفا وتخلخلا كما تظهر السنبلة من الحبة الواحدة والنخلة الباسقة من النواة الصغيرة والانسان الكامل الصورة من النطفة والطير من البيض وكل ذلك ظهور عن كمون وفعل عن قوة وصورة عن استعداد مادة وانما الابداع واحد ولم يكن لشيء آخر سوى ذلك الجسم الاول . ولاهمية هذه النظرية القديمة ألفت نظر القارىء الى كيفية تجديدها ونشرها كأنها مستحدثة فى الفصول الخمسة الاول من كتاب «لغز الكون» تأليف أرنست هيكل.

وقال انكساغور إن الاشياء كانت ساكنة ثم ان العقل رتبها وقال ان المرتب هو الطبيعة وظهر بعد انكساجور الفلاسفة السفسطائيون (المغالطون) وأشهرهم بروتاجوراس وجورجياس ولهم آثار عظيمة في تكوين الفلسفة وهم أول من

قال بوجوب الشك وعدم امكان وصول الانسان الى معرفة الحقيقة وقالوا بنسبية الاشياء وعدم وجود المطلق في الحق والجمال والعدل وغيرها وفضل هؤلاء الفلاسفة كائن فى أن فلسفتهم كانت حداً فاصلا بين الفلسفة القديمة والحديثة ولولاهم ما تمكن سقراط وأفلاطون وارسطو من الظهور لان هؤلاء الثلاثة لم يقوموا الا على انقاض الفلاسفة المغالطين .

ثم ظهر سقراط وهو والد الفلسفة الحديثة اليونانية .

وكان عظيما باخلاقه كما كان عظيما بفلسفته وكان عظيما في موته كما كان عظيما فى حياته وقد أتينا على ملخص آرائه نقلا عن أعظم مؤلفى الافرنج أمثال زيلر مؤلف كتاب « تاريخ أقطاب الفكر في بلاد اليونان » واعتمدنا على ما تلقيناه عن أستاذنا جوبلو أستاذ تاريخ المذاهب الفلسفية فى كلية الآداب بجامعة ليون (١٩٠٩) ولا ريب فى أن اسم سقراط أعظم أسماء الفلاسفة السابقين لارسطو . وهو أستاذ أساتذة هذا الاخير ويوجد شبه بين سقراط وبين ابراهيم الخليل فقد كان والد كل منهما صانعا للتماثيل وقد ترك كل منهما عبادة الاصنام وتعلق باهداب الحكمة وتوصل بها الي الايمان وربما كانت

قصة الخليل مأخوذة عن تاريخ سقراط. وكان سقراط يعتقد أنه تسلم رسالة من الارباب وكانت صفاته صفات المصلحين الثوريين فقد عاش في حياته عيشة نقية ولم يتردد في مخاصمة جميع الاحزاب والفرق في سبيل الحق ونشر مذهبه.

والفرق بينه وبين ابراهيم الخليل أن سقراط لم يقتن ثروة ولم يقدم زوجته مراراً بصفة كونها أخته للملوك ليحصل على قطعان الغنم والابل.

ولقد لخصنا مذهبه الفلسفي تلخيصا وجيزاً ونقول أن سقراط لم يؤثر فى الناس بفلسفته ليس الا بل أثر فيهم بشخصيته ومن العجيب انه لم يؤلف كتابا ولم يدون سطراً ولكنه خلق رجالا الفوا الاف الكتب كتب لندسى (ص ٩ ترجمة مؤلفات زينفون) «أن سقراط لم يترك أثراً مدونا ولكن زينفون وافلاطون خلداه بما كتباه عن حياته ومذهبه كما ان اريستوفان المؤلف الهزلى الذى هزأه فى رواية « الغيام » لم ينكر انه اعظم رجل فى اثينا وناهيك ببطل احدى روايات ارستوفان المر القلم واللسان». وبالرغم من أن سقراط لم يكتب فانه اوجد اربعة مذاهب فلسفية كان لها اعظم شأن فى العالم

أولها مذهب الميجار (ميغاره) ومذهب سيرانيك (القوريني) ومذهب سنيك (الكلابية) واذا نظرنا الى كل مذهب من تلك المذاهب الثلاثة نرى اثرا جليا من شخصية سقراط وفلسفته واهم منها رابعها وهو مذهب افلاطن وما تشعب عنه حتى فلسفة ارسطو نفسه فانها لم تكن الا نقداً للمذاهب المذكورة وشرحا لها وتنقيحا لما جاء فيها وتطبيقا لمبادىء العلم الصحيح على ما انتجته قريحة سقراط وتلاميذه الذين هم اساتذة ارسطو .

ثم نقلنا ملخص ما كتبه مؤرخو العرب عن سقراط وهم ابن أبي اصيبعة والقفطي والقاضي صاعد وغيرهم وقد نقلنا هذا الملخص ونسقناه على طريقة حديثة ليكون لذيذاً في مطالعته ولكن الناظر اليه يدرك الفرق بين طريقة العرب وطريقة الافرنج . ونحن لاننتقص هؤلاء فهم اجدادنا واساتذتنا وبلغتهم نكتب ومن فضلهم نتغذى عقولنا وقد غذوا أروبا ذاتها بلبان العلم والحكمة منذ آلاف السنين. ولكن انظر ماذا جاء في كلامهم عن سقراط : مجموعة حكم وامثال وقد بالغ ابن ابي اصيبعة في التقصي فنسب الى سقراط شعراً عربيا ! ! وكل ما كتب عنه رواية عن حبسه وموته . وهو مشوه مختلط .

ولم يفقه العرب معني تهمة الثورة التي نسبت الى سقراط ولا طريقة المحاكمة ولا تنفيذ الحكم ولا دفاع سقراط مع أنهم بدون شك وقفوا على كتاب احتجاج سقراط على أهل اثينا تأليف زينوفون Memorabilia وفي آخره دفاع سقراط وهو من ابلغ ما نطق به لسان وفيه أن ملتيوس وانيتوس وجها الى سقراط تهمتين الاولى « عدم الاعتقاد بآلهة المدينة ومحاولته تقديس سواها وترويج عبادتها والتهمة الثانية افساد اخلاق الشبيبة ». وكان سقراط لا يريد الدفاع عن نفسه ولكن هير موجونيس صديقه الحميم توسل اليه أن يدافع فدافع بعد أن سمعت شهادة الشهود عليه وكلهم شهدوا زوراً بايعاز من المدعى العام انيتوس وقد دحض سقراط التهمتين بطريقته القياسية البديعة وكان في كل جملة يرغم انيتوس على التسليم بصحة قوله ولكن الحكم كان مدونا قبل سماع الدفاع والنية كانت معقودة على اعدام هذا الحكيم قبل الجلوس على منصة الاحكام فلم تفده حكمته وبلاغته ولكن مؤرخي العرب ذكروا أنه كان لليونان ملك وأن هذا الملك تآمر مع القضاة الاحد عشر على قتل سقراط خفية وأنهم سجنوه لهذه الغاية وأنهم اتفقوا على تقديم السم

اليه ليتقوا اقتله علانية الى آخر ما جاء فى كتبهم من تغيير الحقيقة لعدم ادراك الانظمة الاجتماعية والسياسية التى كانت سائدة في اليونان ومن اهتمامهم بالقصص والاحاديث الطلية وانصرافهم عن خلاصة الفكر الحقيقي وعلى الخصوص لاكتفائهم بالرواية عن بعضهم فان ما نجده فى كتاب نجده فى عشرة غيره مع تحريف بسيط بحيث لا يدرى الانسان أى المؤلفين نقل عن غيره لانهم سامحهم الله يأنفون ذكر المصادر وهم هم الذين وضعوا علم مصطلح الحديث والفوا فى صحة الاسناد وأسسوا كتبهم على صدق الرواية وملأوا كتبهم باسماء الرواة مثل كتاب الاغانى وكتاب العقد الفريد وغيرهما . والذى يدهش فى بعض كتبهم عدم التحري فاننا نقلنا عنهم أن سقراط مات بعد المئة مع أن الثابت عن زينفون أنه مات حوالى السبعين من عمره .

هـذا ما أردنا إيراده موجزاً عن سقراط وسنفيه حقه من التاريخ والتمجيد عند نشر « جمهورية أفلاطون » التى أخذنا فى نقلها الى العربية من مدة طويلة وكلها على لسان سقراط فسنفرد له فصلا قائما بذاته نذكر به ما تشتاق اليه

النفوس من تاريخ أحكم الحكماء وأعظم الرجال وأسعدهم حظا
على أننا لا نريد الانتقاص من قدر كتاب العرب فاننا نجلهم ونمجد ذكرهم لان لهم علينا وعلى الانسانية فضلا لا يقدر. وكفانا اعترافا بذلك أن كاتب هذه الاسطر قضي أكثر من عشر سنين فى درس تاريخ الفلسفة العربية وتدوين تراجم حكماء العرب وتفصيل مبادئهم وقد نشر من ذلك الكتاب تاريخ الكندى والفارابى وفلسفتهما (راجع مقتطف يوليو ١٩٢٠) ولكن الذى يغيظ المنقطع للدرس ما يلحقه من خيبة الامل بعد طول العناء فها نحن نقرأ كتاب عيون الانباء ونحث ساعتين أو ثلاثا فنجد شعراً جميلا ونثراً بليغا وسجعا مرصعا ولا نجد تاريخا ولا واقعة معينة ولا اسما علما يركن اليه. ونعثر بنبذ طويلة منقولة بحذافيرها من كتب أخرى بغير اشارة الى مصدرها. فاذا انتقلنا الى غيره وجدنا مثل ذلك هذا الذى يحرج الصدر ويهيج السخط وقد ذكر لنا الاستاذ سانتيلانا أستاذ تاريخ المذاهب الفلسفية فى الجامعة المصرية فى ١٩١٢ انه يقلب عشرين كتابا ويقرأ مائة صفحة ولا يدون الا سطراً أو سطرين. على أن هذا لا يمنع الاعتراف بفضل كاتب

جليل قنع بذكر المبادىء الفلسفية وترك تفصيل التراجم لغيره وهو الخالد الذكر أبو الفتح محمد الشهرستانى (نقول وان أتقن النسخ التى بين يدينا هي المطبوعة فى لندن ١٨٤٢) فياحبذا!

لقد جئنا عن سقراط وفلسفته بالقدر الكافى ولخصنا مبادئه التى كان يقولها ويلقنها لانه كان يأنف الكتابة والتدوين وقلنا أنه كان يعتقد بوجود الله ويقول عنه «اذا رجعنا الى حقيقة الوصف والقول فيه وجدنا النطق والعقل قاصرين عن اكتناه وصفه وتحققه وتسميته وادراكه لان الحقائق كلها من تلقاء جوهره» ويقول عن علم الله وقدرته وجوده وحكمته انها بلا نهاية ولا يبلغ العقل أن يصفها ولو وصفها لكانت متناهية ويقول انه حي وناطق من جوهره أى من ذاته وحياتنا ونطقنا ليسا من جوهرنا ولهذا يتطرق الى حياتنا ونطقنا العدم والدثور والفساد ولا يتطرق ذلك الي حياته ونطقه.

ومذهبه فى أصول الاشياء ثلاثة العلة الفاعلة والعنصر والصورة. وعن النفس الانسانية يقول سقراط كما أسلفنا أن النفوس كانت موجودة قبل وجود الابدان اما متصلة بكلها

أو متمايزة بذواتها وخواصها فاتصلت بالابدان استكمالا واستدامة والابدان قوالبها وآلاتها فتبطل الابدان وترجع النفوس إلى كليتها . أما النفس الناطقة فجوهر بسيط ذو سبع قوى يتحرك بها حركة مفردة وحركات مختلفة فحركتها المفردة نحو ذاتها ونحو العقل وحركتها المختلفة نحو الحواس الخمس .

وكانت له أقوال كثيرة في الحكمة بعضها ظاهر مفسر بلفظه كقوله الذى ينسب الى الامام على « لا تكرهوا أولادكم على آثاركم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم » (الملل والنحل ص ٢٨٢) ولا ندرى لماذا تلقينا هذه الحكمة في المدارس منسوبة الى الامام على بتحريف بسيط فهل قالها الامام على وانتحلها لنفسه أم رواها عنه معجب حسن النية ولم ينسبها الى مصدرها ؟ أم هي كلمة من الحكم التي ينسبها كتاب العرب الى سقراط ولقمان وأرسطو وادريس والامام على ؟ ؟ . . . .

وكان لسقراط أقوال كثيرة من قبيل الالغاز كان يستر وراءها أغراضه وقد روى منها ابن أبى أصيبعة والقفطي والشهرستانى وصاعد مقادير كثيرة فليرجع اليها من يشاء . وقال عنها

الشهرستانى أن سقراط ألقاها الى تلميذه ازخانس (يقصد زينوفون) وان زينوفون أو ازخانس حلها فى كتاب فاذن (يقصد فيدون) فنقول ان الذى بلغ اليه علمنا القاصر هوأن ازخانس أو زينوفون لم يدون كتابا باسم فاذن وان الذي كتبه هو أفلاطون وهو إحدى المحاورات الخمس وثلاثين التى ذكرناها لدى الكلام على أفلاطون وأشخاصها ايشكراط وفيدون ثم سقراط وابولودوروس وسيبس وسيمياس وكريتون وهى محاورة محكمة أما العبارات التى يزويها الشهرستانى فهي نبذ مفككة كقوله « اسكت عن الضوضاء الذى فى الهواء وتكلم بالليالى حيث لا يكون أعشاش الخفافيش » .

نقول وبعد أن فرغنا من سقراط العظيم انتقلنا للكلام على المذاهب الفلسفية التى تشعبت عن تعليمه وذكرنا أهل مغارة نسبة الى بلدهم وأولهم اريستيب أو أرسطيفن المنسوب الى برقة وهي احدى المستعمرات الافريقية فى أفريقا وذكر اسم بلدة قورينا معربا مباشرة من الاسم اليونانى سيرانيك وقيل ان قورينا فى القديم هي رفنية بالشام عند حمص ولذلك يسمونه ارسطيفن الرفني . وكان أتباعه يعرفون بالقورينائيين

نسبة الي البلد ويعرف له العرب كتبا رياضية غير المبادي، التي ذكرناها . وفرقة اريستيب قد سميت من اسم البلد الذى كان فيه الفيلسوف الذي يكتب اسمه اريستيب وأرسطيفن وأرسطبس.

ومن اتباع سقراط أيضاً فرقة ديوجين وتعرف بالكلبية أوالكلابية وسبب تسميتهم فى الحقيقة نسبة الى المكان الذى كانوا يجتمعون فيه ولكن العرب قد شرحوا ذلك بأنهم كانوا يرون اطراح الفرائض المفترضة فى المدن على الناس ومحبة أقاربهم وبغض غيرهم من سائر الناس وقال القفطى بغير حياء ولا حرمة للحكمة « وانما يوجد هذا الخلق فى الكلاب » وكل هذا الخلط جاءه من التسمية ومن جهله باللغة اليونانية فان مكان الاجتماع اسمه سينوسارج وكلمة سينو باليونانية معناها كلب فصارت نسبة الى كلمة سينو فسمو «سينيك لا لان أخلاقهم تشبه أخلاق الكلاب فتأمل جهل القفطي وسوء الاستدلال وغرابة التعليل . ولما شمر القفطي عن ساعديه ليدوز فلسفة ديوجين واتباعه وزعيمهم انتستين وكلهم تلاميذ سقراط قال « كان أحدهم يتغوط غير مستتر عن الناس

وينكح فى الطريق ويقبل الحسناء من النساء قدام الجمع » .
فاين هـذه السخائم والسخافات التى اخترعها الذهن المريض لمناسـبة تسمية أدى اليها الجهل من الحكمة العالية والتواضع المعروف والقناعة النادرة التى بثها ديوجين وانتستين . أيقال هذا عن ديوجين وقد كان حكيما فاضلا متقشفاً لا يقتنى شيئا وهو الذى استدعاه الملك الاسـكندر الى مجلسه يوما فقـال للرسول قل له ان الذى منعك من المصير الينا منعنا من المصير اليك منعك عنى استغناؤك بسلطانك ومنعنى عنك استغنائى بقناعتى . أيقال هذا أيها القفطي عن ديوجين وهو الذى سئل عن العشق فقـال سوء اختيـار صادف نفساً فارغـة (٢٢٣ شهرستانى)

ثم انتقلنا الى اقليدس المغارى نسـبة الى بلده مغارة أو مجيار وقلنا أن أفلاطون فند آراءه فى « محاورة المغالط » .

ثم تكلمنا على حياة أفلاطون بما ليس وراءه غاية على قدر ما يطيقه مقتضى الحال . وهو أفلاطون الالهي وآخر المتقدمين الاوائل الاساطين وكان تلميذ سقراط ورأيه القول بوجود محدث مبدع للعالم واجب بذاته عالم بجميع معلوماته .

وتكلمنا عن رأيه فى العقليات والمعانى والصور ولجنا الى نظريته فى المثل فقد اثبت لكل موجود مشخص فى العالم الحسى مثالا موجوداً غير مشخص فى العالم العقلى ويسمى ذلك المثل الافلاطونية وهى ترجمة لكلمة Prototypes الافرنجية فالمبادئ الاول بسائط والمثل مبسوطات والاشخاص مركبات فالانسان المركب المحسوس جزءى ذلك الانسان البسوط المعقول وكذلك كل نوع من الحيوان والنبات والمعادن والموجودات فى هذا العالم آثار الموجودات فى ذلك العالم. وقال أن العالم عالمان عالم العقل وفيه المثل العقلية والصور الروحانية وعالم الحس وفيه الاشخاص الحسية والصور الجسمانية كالمرآة المجلوة التى تنطبع فيها صور المحسوسات فان الصور فيها مثل الاشخاص كذلك العنصر فى ذلك العالم مرآة لجميع صور هذا العالم يتمثل فيه جميع الصور.

ويتفرع عن نظرية المثل الافلاطونية أن النفوس الانسانية متصلة بالابدان اتصال تدبير وتصرف وكانت موجودة قبل الابدان ومن أقواله المأثورة «أن النفوس كانت فى سم .تذكر مغتبطة مبتهجة بعالمها وما فيه من الروح والبهجة

والسرور فاهبطت الى هذا العالم حتى تدرك الجزئيات وتستفيد ما ليس بذاتها بواسطة القوى الحسية فسقطت رياشها قبل الهبوط وأهبطت حتى يستوي ريشها وتطير الى عالمها باجنحة مستفادة من هذا العالم » (١) ومما هو جدير بالذكر أن أفلاطن يقول بالبعث والنشور والخلود والثواب والعقاب ويلحق هذا كله بأفكار شعرية جميلة بعيدة المدى ولكنها غير منطبقة على المنطق ولاجل هذا ضرب تلميذه ارسطو عرض الحائط بمعظم آرائه فى المثني والصور والمثل والبعث والنفس ولكن فضل أفلاطون على الحكمة لا ينكر ومن الغريب حرية فكره وتعصبه فقد كان فى جمهوريته يبيح أن يكون الملك والنساء شائعة ولكنه يعاقب على الالحاد بالسجن لمدة غير معينة وقد نظم لمحاكمة الملحدين محكمة أفظع من محاكم التفتيش ولكن (الله) سلم .

ثم انتقلنا الي الكلام على ارسطو وهو اكبر عقل رآه العالم فى

(١) هذا يذكرنا بقصيدة ابن سيناء التي مطلعها

هبطت اليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

فليراجعها من يشاء .

الازمنة القديمة والحديثة بلا ريب وبه ابتدأت الفلسفة العلمية واليه انتهت ومن كانوا قبله قد مهدوا له السبيل ومن جاءوا بعده انما كانوا يأكلون من فتات مائدته وقدسموه المعلم الاول لانه واضع التعاليم المنطقية ومخرجها من القوة الى الفعل وحكمه حكم واضع النحو وواضع العروض فان نسبة المنطق الى المعانى التى فى الذهن نسبة النحو الي الكلام والعروض الى الشعر والمنطق ميزان لاذهان المتعلمين يرجعون اليه عند اشتباه الصواب بالخطأ والحق بالباطل وقال عن النفس الانسانية مخالفا افلاطون انها حدثت مع حدوث البدن لا قبله ولا بعده وانها تهلك بهلاك البدن وانه ليس هناك ثواب ولا عقاب ولا بعث ولا خلود وهذه الاقوال هي التى أدت الى تكفير من قال بها من فلاسفة العرب الذين نقلوا حكمته مثل ابن رشد ويمكن القول بحق أن باب الفلسفة الحقيقية قد اغلق بعد ارسطو لانه قال كل ما يمكن ان يقوله انسان

وقد طبع الشيخ السيد على الطوبجي كتاب السعادة فى الاخلاق لابن مسكويه وفى آخره ملخص جليل لمؤلفات ارسطو آثرنا نقله برمته زيادة فى النفع قال ابن مسكويه :

«إن الحكيم ارسطو هو الذي رتب الحكمة وصنفها وجعل لها نهجا يسلك من مبدأ والى نهاية كما ذكره بولس فيما كتبه الى انوشروان فانه قال كانت الحكمة قبل هذا الحكيم متفرقة كتفرق سائر المنافع التي ابدعها الله تعالى وجعل الانتفاع بها موكولا الي جبلة الناس وما اعطاهم من القوة على ذلك مثل الادوية التي توجد متفرقة فى البلاد والجبال فاذا جمعت والفت حصل منها دواء نافع وكذلك جمع ارسطو ماتفرق من الحكمة والف كل شيء الى شكله ووضعه موضعه حتى استخرج منه شفاء تاما يداوى النفوس من اسقام الجهالة وكان من ترتيبه ذلك أن نظر فى جزئى الحكمة اعني النظري والعملي فوجد النظرى فيها اما أن يكون في الاشياء التي فى مواد وأما فى الاشياء التي ليست فى مواد وكل واحد من هذين القسمين ينقسم ايضاً قسمين لان الاشياء التي فى مواد منها ما هو تحت الكون والفساد ومنها ماليس تحت الكون والفساد والاشياء التي ليست فى مواد منها ماهو منتزع فى المواد ووجوده فى الوهم ولا وجود له من خارج ومنها ما ليس بمنتزع من المواد بل له وجود في ذاته خارجا عن الوهم فهذه الاربعة هي الاقسام الاول التي ينقسم اليها الجزء

النظري ثم ان الامور التى فى المواد منها ماهو مشترك لها كلها ومنها ماهو خاص ببعضها منها مايخص الاشياء السرمدية ومنها ما يخص الاشياء الكونية وما يخص الكونية منهـا ما هو مشترك لها كلها ومنها ما يخص بعضها وما يخص بعضها منها ما يخص الاشياء التى فوق الارض ومنها ما يخص الاشياء التى فى الارض وما يخص التى في الارض منهـا ما يخص الاشياء التى لا نفوس بها ومنها ما يخص الاشياء التى لها نفوس وما يخص الاشياء التى لها نفوس منها ما يخص ذوات الحس ومنها لا حس له(١) فصنف ارسطو فى كل قسم من هذه الاقسام هذه الاشياء كتابا فاشتملت كتبه على جميع ماسطر فيه حسا عقلا ولم يفته شيء ولما كانت عنايته مصروفة الى تصحيح الارادة فى هذه الامور كلها واعطاء اليقين والاقناعات الكافية فيها وان يسلم من الخطأ والغلط في المعقولات اضطر الى أن يبحث عن مراتب الاقناعات وينظر فى الاشياء التى لا يمكن أن يغلط فيها ولا يأمن أن يقع فى باطل يظنه حقا ويعتقد فى حق أنه

(١) راجع كتاب السعادة تأليف ابن مسكويه طبع سنة ١٩١٧ الذى ذكرناه في صحيفة ١٦٧ .

باطل ماهي مراتب هذه ايضا وجعل لها صناعة وقوانين يوقف
بها على مراتب هذه الامور ومنازلها من اليقين وغيره ليسدد
الإنسان طريق الصواب في كل مطلوب لئلا يجرى في الحكمة
جرى اصحاب المذاهب في التخييل والأهواء فان هؤلاء
غلطوا وهم لايشعرون وربما شعروا وانتقلوا عن رأي الى رأي
ولا يأمنون أن يسنح لهم في الرأي الثاني ما كان سنح في الاول
فهم ابداً اما على غلط واما في شك وحيرة فاذا عرف الانسان
الاشياء التي من شأنها ان يغلط فيها تحرز منها وتيقن فيما انه
قد صادف فيه الحق ولم يغلط فان تخيل له في شيء انه يسهو
فيه رجع الى قوانين الصناعة فعلم للوقت بموضع غلط ان كان
فتلافاه بسهولة ويمكنه مع ذلك أن يصحح ذلك الرأى لنفسه
ولغيره فان بدله وتبينه له وهذه صناعة المنطق واقرب مثال
اجده لها في الصناعات العروض والنحو فان كل واحد منهما
يناسب المنطق بوجه وذلك أن ههنا اوزانا من الشعر صحيحة
وربما غلط فيها ولم يكن صاحب صناعة فظنها مكسورة وربما
ظن بالمكسور منها أنها صحيحة واذا رجع الى القانون الصناعى
عرف موضع الشك وقدر على ما يجب وتيقن موضع الغلط

ان كان واصلح ماسها فيه ويناسبه ايضاً صناعة النحو بوجه آخر وذلك أن نسبة صناعة النحو الى الالفاظ كنسبة صناعة المنطق الى المعانى وكما أن النحو يسدد اللسان نحو صواب القول ويعطى القوانين التى يعرف بها الاعراب فكذلك المنطق يسدد الذهن نحو صواب المعانى ويعطى القوانين التى تعرف بها الحقائق وكما أن النحوى وان كان غرضه اصلاح الالفاظ فانه ينظر ايضاً في المعانى ليصحح بها المعاني والنحوى ينظر فى الالفاظ بالذات وبالقصد الاول وينظر فى المعانى بالعرض وبالقصد الثانى والمنطقى ينظر فى المعانى بالذات وبالقصد الاول وينظر فى الالفاظ بالعرض وبالقصد الثاني فقد تبين غرض الحكيم فى صناعة المنطق وان من جهل هذه الصناعة عرض له بالضرورة انه لا يقف على صواب من اصاب كيف اصاب ومن أى جهة اصاب ولا على سهو من سها أو غلط كيف وفى أين سها أو غلط وتحير فى الآراء فمنها ما يصححه من غير ثقة ومنها ما يزيفه بغير بصيرة ومنها ما يتوقف فيه لا يدرى بماذا يحكم له ثم لا يأمن فيما صححه اليوم أن يرد عليه فى غد ما ينقضه عليه وتشكك فيه وفيما زيفه أن يصح عنده فى

وقت آخر فينظر فيما هو عنده صحيح انه يجوز أن يفسد وفيما هو فاسد انه يجوز أن يصح وعسى أن يرجع الى ضد ما هو عليه فى الأمرين جميعاً أما لخاطر يرد عليه من نفسه عن اعتقاده الاول وأما برأى غيره فاذا عرض من يدعى الكمال فى العلم والثقافة بالجدل ويصيره ببراعته لم يكن عنده ما يمتحنه به وأما أن يحسن الظن به فيقبله واما أن يتهمه فيرده وليس يخلو فى حاليه من أشياء ترد على عقله فيوهمه فى شىء أنه حق وفى آخر أنه باطل والمنطق يدله على هذه المواضع ويصحح له الصحيح ويعلمه لم صار صحيحاً ويزيف الباطل ويريه لم صار باطلا فنحن مضطرون الي تصحيح المعانى فى أنفسنا بقوانين صناعية تنفى عنا بحوطنا من الغلط والى تصحيح الالفاظ التى تدل بالمواطأة على تلك المعاني لئلا يعترض لغيرنا ما يغلطه فيها فكلا هذين يسمى صناعة المنطق الا أن أحدهما ينظر فيه بالذات والآخر بالعرض كما بينا ولما تأمل ارسطو مراتب اقناعات النفس وأراد أن يرتبها ويجعل لها قانونا صناعياً ليتوصل بها الى حقائق الاشياء قسم ذلك كما قسم العلوم التى تقدم شرحنا لها(١) ونظر فاذا أنواع

(١) كتاب السعادة تأليف بن مسكويه طبع بمصر سنه ١٩١٧ وهو الذى ذكرناه في صحيفة ١٦٧ .

القياسات والاقاويل يلتمس بها تصحيح رأى ويتوصل بها الى حقيقة مطلوب أما عند أنفسنا واما عند غيرنا تنقسم الى ثلاثة أقسام اما أن يكون صدقا كلها ويقينا لا شبهة فيها وأما أن يكون كذبا كلها وشكوكا واما أن تكون صادقة فى البعض وكاذبة فى البعض الآخر وهذا النوع الاخير ينقسم ثلاثة أقسام اما أن يكون صدقه أكثر من كذبه وأما أن يكون كذبه أكثر من صدقه واما أن يتساوى فيه الأمران فصار جميع أنواع القياسات خمسة يقينية وظنونية ومغلطة ومقنعة ومخيلة فصنف لكل واحد من هذه الاقسام كتابا وعلم تناول هذه الطريقة بقوانين لا يمكن أحد أن يؤدى الاخلاف جوهر الشيء المطلوب ولا يمكن أحد أن يرجع عنه ولا يقع فيه تهمة ولا شك وسماه كتاب البرهان وأما القياس الذى هو كذب كله فهو ما يخيل فى الشيء أنه على صورة وليس هو عليها بالحقيقة ومثاله ما يعرض للعين عند النظر الى المحسوس وربما تخيل الإنسان فى الشيء خيالا فاسدا ثم يبادر الى العمل بما يقتضيه ذلك الخيال فتجيء الأفعال رديئة قبيحة فصنف فيه كتابا دل على وجوه هذه التخيلات من أن يقع وكيف

يقع وسماه كتاب الشعراء والصناعة الشعريه وأما الذى صدقه اكثر من كذبه فهو ماتوجد قياساته من اشياء مشهورة ليست ذاتيه ولا جوهريه للمطلوب ولا بها قوامه فيلتمس الإنسان ابداع ظن قوى اماعند نفسه واماعند غيره حتى يقع له وان لم يكن يقينا فصنف فيه كتابا ودل على وجوه هذه الظنون وانه تصدق ومن اين وكيف وانها تكذب ومن أين وكيف وسماه الجدل والصناعة الجدليه واما الذى كذبه اكثر من صدقه فهو الذى يغلط فيتوهم فيما ليس بحق انه حق وفيمن ليس بعالم انه عالم وهذا الغلط يكون علي وجوه وعلى ضروب فصنف كتابا دل فيه علي وجوه التلبيسات والتمويهات والاغاليط كيف تقع ومن أين وسماه صناعة السوفسطائيه وهى الحكمة فى اللغة اليونانية مشتقه من سوف وهو الحكمة ومن اسطيس وهو التلبيس والتمويه فكان معناه الحكمة المموهه وكل من كان قادراً على التلبيس والتمويه أما فى نفسه بان يوهم انه حكيم وليس بحكيم فهو سوفسطائى وليس كما يظنه معلمو الاسلام انه كان في الزمن القديم رجل يقال له سوفسطا وكان يدفع حقائق الموجودات وانه له شيعة ينصرون مذهبه ويسمونه به فان هذا

ظن لا أصل له ولم يكن قط رجل فيما سلف يقال له سوفسطا ولا سمي به أحد ولا نصر هذا الرأي قوم بأعيانهم وانما ينسب الى صناعة الجدل فيقال جدلي ليس أن هناك رجلا يقال له جدل وأما الذي كذبه مساو لصدقه فهو الذي يلتمس به اقناع ما في أي رأي كان وأن يسكن السامع الي ما يقال له ويصدق به تصديقا ما وهو دون الظن القوي فصنف فيه كتابا دل فيه على وجوه هذه الاقناعات ومن أين وكيف تقع وسماه كتاب الخطابة وهذه هي الكتب الخمسة المنطقية لكن ارسطو لما نظر في القياس وجد منه ما هو مشترك بهذه الفنون ومنها ما هو خاص كل واحد منها فعمل للقياس الاول العام المشترك لجميع الصناعات الخمس كتابا سماه كتاب القياس وهذا الكتاب يوجد في النقل القديم أحدهما كتاب القياس والآخر كتاب البرهان وهو باليونانية أنولوطيقا الاولى وأنولوطيقا الثانية ثم نظر في القياس فاذا هو مركب من ألفاظ ومعاني وأقل الاقاويل القياسية ما كان مركبا من لفظتين لفظتين وأقل المعاني القياسية ما كان من معقولين معقولين وأكثرها غير محدود وهذه الاقاويل المركبة من لفظتين أجزاؤها ألفاظ مفردة لا محالة فبالضرورة انقسمت

له الصناعة الا ثمانية أقسام ذلك على طريق التحليل فلما سلكه على طريق التركيب بدأ بالالفاظ المفردة الدالة على أجناس المعاني المفردة فعمل فيها كتابا وحصر هذه الألفاظ في عشرة أجناس من المعاني ثم قسم كل واحد فيها الى أنواعها وسماه كتاب المقولات وهو المعروف بكتاب قاطيغورياس ثم ثنى بكتاب ذكر فيه الاقاويل المركبة وسماه كتاب بارمينياس أي العبارة وثلث بكتاب القياس الذي ذكرناه فعلم فيه قوانين الأقاويل التي يبين بها القياسات المشتركة للصنائع الخمس وسماه أنولوطيقا الأولى وربع بالكتاب الذي سماه البرهان وهو أنولوطيقا الثانية فعلم فيه قوانين القياسات التي لا تغلط ولا يمكن فيها ذلك وهي اليقينية وخمس بكتاب ذكر فيه قوانين القياسات المأخوذة من الامور المشهورة وكيف يكون السؤال أو الجواب على هذه الطريقة وعلم فيه القوانين التي تتم هذه الصناعة على أفضل وأكمل ما يمكن وسماه طوبيقا وهو كتاب الجدل وسدس بالكتاب الذي ذكر فيه قوانين هذه الاشياء التي يغلط عن الحق وغيره وأحصر الامور التي يقصدها المموه وبين الاشياء التي تظهر فسادها وكيف يتحرز منها وسماه

سوفسطيقا أى الحكمة المموهة وسبع بكتاب ذكر فيه قوانين
الاشياء المقنعة بالخطاب واحصى جميع ما يتم به هذه الصناعة
ليكون الانسان فيها اكمل وانفذ وسماه ريطوريقا وثمن بكتاب
ذكر فيه قوانين الالفاظ المخيلة واحصى جميع ما يتم به هذه
الصناعة وقسمها إلى انواعها واصنافها وسماه بويطيقا أى الشعر
لتتم هذه الصناعة على هذه الاقسام وكان غرضه الاول فيها القياس
البرهانى ولكن اوجبت القسمة والترتيب ماذكرناه وايضاً
فان الاشياء التى تعرف بطريق البرهان يسيرة بالاضافة الى
ما يعرف بالقياسات الاخر فواجب ان يرتبها ويسلم طرقها
وايضاً فان بعضها طرق البرهان وبعضها تحميه وتذب عنه أما
الثلاثة التى فى اوائل الصناعة فهى التى تؤدى اليه الاربعة
الاخيرة هى التى يحامى عليه لئلا يشتبه به ماليس منه واشرف
هذه الكتب كتاب البرهان لانه المقصود الاول فوقع فى
القسم الرابع بالضرورة كما ذكرنا فيما سلف وباقى الكتب انما
عملت اما مداخل اليه وتوطئات له واما حامية عنه اما الثلاثة
التى تقدمه فهى المداخل واما الاربعة التى بعده فهى التى تحرزه

وتميزه وتحميه من الطرق التي يوهم انها تؤدى الي ما يؤدى اليه هو ومع ذلك اذا قصد الانسان أن يكون مجادلا قويا أو خطيبا مصقعا أو شاعرا مفلقا نحا نحو ما يلتمسه واقتنى من الكتب الذي صنف فيه قوانين الصناعة ليصير بها فى اعلى درجة منه وارفع رتبة فيه وان اقتصر انسان على الكتب الاربعة كفاه ذلك فى تعلم الحكمة وقراءة الكتب بعدها وهى الكتب التى عددناها وشرحنا قسمة الحكيم لها فبدأ منها بالكتب التي من ذوات المواد وهى من الامور الطبيعية واخر الكتب التي فى الامور المجردة فى المواد اذ الطبيعيات محسوسة لنا وهي الينا اقرب ونحن لها آلف وبها اعرف ومنها يمكننا الترقي الى ما بعدها فصنف فيه كتابا ذكر فيه الامور المشتركة لجميع الاشياء الطبيعية ما كان منها تحت الكون وما ليس تحت الكون وسماه السماع الطبيعى وصنف كتابا فيما يخص الاشياء التى ليست تحت الكون وسماه كتاب السماء ثم قسم الاشياء التى تحت الكون فعمل كتابا فيما هو مشترك للاشياء ذوات الكون كلها وسماه كتاب الكون والفساد وعمل كتابا فيما يختص فى الارض مما له نفس ولا حواس له وسماه كتاب النبات وكتابا

فيما يختص بذوات النفوس وله حواس وسماه كتاب الحيوان
ولما اراد أن يرتقى فى الطبيعيات وهى الامور ذوات المواد
الى الامور التى لامواد لها وجد بين هاتين المنزلتين امورا لها
شركة في الطبيعية وشركة فيما بعد الطبيعية فعمل فيها كتابه فى
النفس وكتابه في الحس والمحسوس ثم عمل فيها بعد الطبيعة
كتبه التى رسم عليها الحروف وهى المعروفة بالالف ياء وما
بعدها فمنها مانقل الى العربية ومنها مالم ينقل الا أن فيما نقل
غنى كثيرا وكفاية تامة ولما عمل فى الجزء النظرى
هذه الاعمال العظام ونظمها هذا النظام كمل ايضا فى
الجزء العملى هذا العمل بعينه وذلك انه قسم الى ماهو
خاص بالانسان في نفسه والى ماهو خاص بما كان خارجا عنه
وهذا الثانى ينقسم الى قسمين أحدهما تدبير المنزل والآخر
تدبير المدن فعمل فى كل واحد كتابا أما فى ما يخص الانسان
بذاته فكتابه فى الاخلاق وهو كتاب عظيم جداً كثيرً المن
يعلم كيف يكتسب الانسان هيئة فاضلة وسجية محمودة يصدر
الافعال الجميلة والاعمال المرضية وأما كتبه فى تدبير الم
والمدن فلم ينقل الى العربية الا ما وجد من كتابه في تد

المدن وهو مقالتنا وقد ذكرت فى فهرست كتبه وله بعد هذه
الكتب رسائل وكتب سماها التذاكير وهى كثيرة على ما
يذكر ويحكي في فهرست مصنفاته وله كتب فى التعاليم ولم ينقل
منها شيء الا أن في النظام الذى خرج الى العربية والترتيب
الذى رتبه غنى عظيما وراحة تامة لمن أحب أن يكمل ذاته
ويتوجه الى مقصده ليصل اليه بسرعة فاما مقدار الزمان الذى
يفرض لمن أراد تعلم الحكمة على ما رتبه هذا الحكيم المحسن
الينا المنعم علينا فعلى مقدار عنايته واهتمامه ومعونات الاتفاق
اياه أعني بها أن يكون ذكيا حفوظا واجداً للكتب والاستاذ
الفاتح والكفاية فى المعيشة لئلا يشتغل بها عما يقصد فزوال
العائقات التى لا يحتسبها الانسان فى عوارض الدنيا وهمومها
وأمراض النفس والبدن واجتماعها وحذر العوام مرة والسلطان
أخرى ومراقبة أهل البلد فان الناس كما يقول القائل أعداء
ما جهلوا ومن شأنهم الوقيعة في أهل الفضل ومعادات كل من
خالفهم فى مذاهبهم وأغراضهم وقصد بكل مكروه وأذى (١) فاذا

(١) تعد هذه النبذة من أبلغ وأحكم وأصدق ما كتبه حكيم في
وسائل تحصيل العلم وهى تصدق على كل الناس في كل زمان ومكان

لم من هذه العوارض وكانت القريحة والأسباب التي ذكرناها مجتمعة له فما أقرب وصوله الى بغيته وراحته من تعب أبناء جنسه وظفره بالكنوز التي زخرت ومدة ذلك على التقريب ما بين عشر سنين الى عشرين سنة وهذا اذا شغلته الدنيا ببعض الشغل فانه لا يجوز أن يظن بانسان أنه ينفرد وينكمش على العلم ولا يجعل لبدنه راحة ولنفسه حظاً من اللذات فيما يحسن ويجمل ولو تعاطى ذلك لخسره أو انقطع دون غايته وقد رأى بعض أصحاب ارسطو ومدرسي كتبه أن يبتدىء المعلم لها بكتب الاخلاق (١) لتهذب نفسه وتصفو من كدر الشهوات وتخف عنها انفعال عوارضها فتتمكن من قبول الحكمة ويعترف بعض الاعتراف بترك الانهماك فى الشهوات وهجران اللذاذ الجسمية ويعلم أن أكثرها خسيسات ورذائل فيتنزه عنها ثم ينظر فى شيء من التعاليم ليعرف طريق البرهان ويتدرب بها ويأنس بطرقها ويترك الايغال فيها الى وقت آخر فان بين يديه غرضا بعيد وشوطا بطيئا ثم ينظر فى المنطق الذى هو آلة فى جميع مايقصد

(١) قال هذا ابن مسكويه لانه حكيم أخلاقي راجع كتابه (تهذيب الاخلاق) وبحقيقة الواجب هو الابتداء بالمنطق

يمكن» انتهى كلام ابن مسكويه فى كتاب السعادة

* * *

توفى أرسط أو أرسطو فى ٣٢٢ ق . م . وبوفاته انقطع حبل الفلسفة وارتج باب الحكمة. ولدى موته كان زينون مؤسس الفلسفة الرواقية فى الرابعة عشرة من عمره لانه ولد كما أسلفنا فى ٣٣٦ .

وقد تلقى العلم على أتباع الكلابيين واختار من مذهبهم حب الطبيعة والدعوة الى العودة الى رحابها والاقتداء بها والاستسلام الى أنظمتها وكان زينون مفكراً عميقاً ولو انه وجد قبل أرسطو وأفلاطون لكان له شأن يذكر لكن ظهوره بعد هذين الحكيمين يقلل كثيراً من قدره .

ومن دلائل فطنته وعلو كعبه معارضته لاراء الحكيمين فى الروحانيات ودحضه ذلك وقوله ان سائر الاشياء مكونة من عنصر واحد وهو الجسم أو الكيان المادى الظاهر . وهذا رجوع الى المادية الاولى وإحياء لطبيعيات هيراقليط وقال ان العالم والسماء من حين الى حين يهلكان ثم يتجددان واستعار من اتباع فيثاغورس القول بأن التاريخ يعيد نفسه

ثم ينظر فى الطبيعيات وما بعدها على الترتيب الذى تقدم فاذا وصل الانسان الى المرتبة الاخيرة اطلع على حقائق الموجودات ونزلها منازلها وتصورت نفسه بها فاذا تصورت النفس بحقائق الامور عقلها عقلا تاما فاذا عقلها تصور بالصور العقلية وزالت عنه رسوم الاعراض التى فى الامور الطبيعية أعنى الاشياء الدائرة وحصلت صور الاشياء العقلية السرمدية واتحد بها العقل فصارت هي وهو شيئا واحداً ومن شأن العقل أن يصير جزؤه كلا كما يتبين ذلك له اذا وصل اليه فاذا فارقت نفسه بدنه انتقل الى الوجود الثانى(١) الذى هو غايته الاخيرة وكماله الاقصى وهذه الحالة عسرة التصور جداً بعيدة فيما نشاهده ونعتاده ولا يمكن النطق بها ولا يسعها الا بالطريق الذى يصل اليه من سلكه على الجادة التى بيناها واذا مثلت بالامثال المحكية لها مما اعتدناه وألفناه عرضت فى الامثلة مناقضات ومحالات لاجل أن المثال ليس من الممثل فى شيء فلذلك عدل عن ذكره وقد عملت فيه على كل حال كل ما اجتهدت فيه أن يلوح منه أجلى ما

(١) هـذا ما لم يقل به ارسطو من انتقال النفس الى الوجود الثاني بل قال بهلاك النفس بعد الموت أى أنه لم يقل بالخلود .

وهذه نظرية استعارها فردريك نيتشة وسبكها فى قالب جديد ولم ينسبها الى صاحبها. وينشأ عن القول بأن التاريخ يعيد نفسه التسليم بالقضاء والقدر بأكمل معنى لانه ما دام تكرير الحوادث على نسق واحد معين أمراً محتما فكل حوادث الحياة اذاً لا بد واقعة كما سبق تنظيمها بارادة الاقدار وفى هذا المبدأ ما انتحلته بعض الأديان وسارت عليه مستسلمة «مسلمة أمرها لمن بيده الامر». وسنرى بعد برهة تأثير فلسفة الرواقيين فى الاديان. فان مذهباً أساسه الاعتراف بكون الانسان مسيراً لا مخيراً لا بد أن يجد قبولا لدى أرباب الاديان وأنصارها والمتكلين عليها. أما رأى زينون فى الالهيات فظاهر انه مادى لانه يقول بأن الله «جسم» يملأ الكون كله ويبعث فيه القوة والحياة ومثل انتشار الدسم فى وعاء اللبن الذي يضرب به المتصوفون لتقريب معنى وجود الله فى الكون أمر معلوم. ولم يكن ليخفف وقع هذا الاستسلام الفلسفى الا القول بأن العالم مخلوق بمنتهى الكمال والخير وان غايته سعادة المخلوقات وخيرها. وقد انتحل هذا الرأى ليبنتز بعد الرواقيين بعشرين قرنا. وروى عنه الشهرستانى (ص ٢٩٢)

ان العوالم تتجدد فى كل حين ودهر وما كان منها مشاكلا لنا أدركنا حدود وجوده ودثوره بالحواس والعقل وما كان غير مشاكل لنا لم ندركه وقال ان الموجودات باقية دائرة فاما بقاؤها فبتجدد صورها وأما دثورها فبدثور الصورة الاولى عند تجدد الاخرى . اهـ . كلام الشهرستانى .

بجأما نسبتهم الى الرواق فلان زينون اتخذ مدرسته فى رواق مدهون بالالوان اسمه باليونانية Stoa Poikile كما تسمى تلاميذ أفلاطون بالمشائين نسبة الى مكان مدرستهم . وصار اسم الرواقيين علما على الاستخفاف بالآلام وعدم الاكتراث للذة والاذى وقد سارت هذه الكلمة وصفاً فى كل اللغات الافرنجية على تحمل الالم فيقال « تحمل الشدائد بشجاعة رواقية » ولا أعرف لهذا الوصف استعمالا فى اللغة العربية وقد رويت عن زينون أقوال تدل على تلك الحال النفسية التي مصدرها الاستسلام للقضاء والقدر . قيل له اذا مت من يدفنك قال من يؤذيه نتن جيفتي . ونعى اليه ابنه فقال ما ذهب ذلك على انما ولدت ولداً يموت وما ولدت ولداً لا يموت . وقال محبة المال وتد الشر (ويكاد هذا يكون رأيا مسيحيا) .

وكانت مبادئ الرواقيين تعارض مذهب ابيقور عابد اللذائذ. قلت ان فلسفة الرواقيين نالت حظوة الاديان وضربنا مثلا بالتوكل والاستسلام . ولكن ذلك لم يكن الوجه الوحيد الذي جمع بين الرواقية والاديان انما هناك رابطة أخرى وهي ان زينو استعار من هيراقليط الاسم الذي وضعه علما على الله وهي logos اولوغوس ومعناها الكلمة وكان زينو يقول أن المبدع الاول كان في علمه صورة ابداع كل جوهر وصورة دثور كل جوهر فان علمه غير متناه والصور التي فيه من حد الابداع غير متناهية وكذلك صور الدثور غير متناهية فكأن زينون يقول بازدواج المبدع الاول وظهور ذلك في العقل الخالق أو الفعال وفي المادة القابلة للتشكيل . اما كلمة logos اليونانية فمعناها الكلمة. ولذا جاء في الاصحاح الاول من انجيل يوحنا: « في البدء كانت الكلمة (لوغوس) والكلمة كان عندالله وكان الكلمة الله . كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان فيه كانت الحيوة والحيوة كانت نور الناس» ! فتأمل كيف ان رأى هيراقليط ورأى زينو اتفقا بعد عدة قرون مع الكتب المنزلة المقدسة وقد قرر هذا الرأى ووضحه المؤرخ العالم

و . بن فى كتابه تاريخ الفلسفة القديمة ص ١١٤

نقول وبعد زينون جاء كليانت وكان شديد التدين ونظم صلاة نقلنا معظمها الي العربية في عرض الكلام عليه وقد أدى به تشدده في الدين الى التعصب الاعمى فامر بقتل اريستارخوس العالم الطبيعي لقوله بدوران الارض حول الشمس وحدث مثل هذا بعد مئات السنين على أيدى رجال الدين لجاليليه وسيرفيه وبرونو وغيرهم كثيرون وجاء بعده خريسبوس وعاش عيشة الحكماء وبسط الفكر الفلسفى جهد طاقته

ثم ان المذهب الرواقى اشتهر وانتحله الرومان الذين الذين تغلبوا على اليونان وظهر ثلاثة فطاحل لهذا المذهب هم سنيكا ومارك اوريل وابيكتت

أما سنيكا فقد درست تاريخ حياته ومبادئه مذ كنت اعد المواد لرواية نيرون التى مثلت فى القاهرة فى عام ١٩١٩ واظن أن ابلغ واوفى ما كتب عنه ماورد فى كتاب تاسيت وسويتون المؤرخين الرومانيين والمعلوم من حياته انه نفي من رومة على عهد كلوديوس الى أن ردته اجريبينا الى وطنه بعد أن قتلت

زوجها كلوديوس بالسم ووكلت اليه أمر تربية ولدها نيرون وكانت رزقت به (وورثت به الدنيا) من زوجها الاول اينوباربوس وكان سنيكا صديقاً حميماً للقائد بوروس الذي شاركه في تدريب العاتية الغشوم وهو في صباه . ويظهر أن سنيكا كان دساساً أكثر منه حكيماً فقد اشترك في كل المؤامرات التي تمت في قصر نيرون له وعليه واتهمه نيرون اخيراً بالاشتراك في مؤامرة غايتها خلع نيرون وتولية سنيكا مكانه ولم يشأ نيرون أن يقتل سنيكا جهاراً فاكتفي بان امره بقتل نفسه ففعل . وجاء في تاريخ تاسيت عن موته في الجزء الاول صحيفة ٥٠٢ ما يأتي :ـ

« لما بعث اليه نيرون بالجند مزودين بأمر الانتحار قال لاصحابه الذين كانوا حوله ترون أيها الرفاق عجزي عن شكركم انني أترك تاريخ حياتي نموذجا تنسجون على منواله وهو أثمن ما لدي فاعتزوا به . لقد حاولت ان أكون مثال الفضيلة والصداقة والاخلاص . فبكى الحاضرون وهموا بتقبيله فقال لهم أين مبادىء الفلسفة وأين تعاليم الحكمة . ألم تتعلموا بعد كيف تلقون المصائب بصدر رحب وعزم ثابت ونفس مطمئنة هل كانت قسوة نيرون مجهولة لديكم ؟ لقد قتل أمه

وأخاه (ونسى الحكيم ان نيرون اشترك مع أمه أجريبين وآخرين فى قتل زوج أمه كلوديوس وكانت هذه فاتحة عهد المذابح) ولم يبق له الا أن يقضى على استاذه ومشيره. ثم ضم زوجته الى صدره وقبلها قبلة الوداع ثم أمر ففتحت شرايينه فلم تقطر دماً فاعدوا له جرعة من الساج (مثل التى شربها سقراط) فقال وهو فى النزع وافرحتاه انى أموس بالكأس التي مات بها سقراط وأمر خدمه فنقلوه الى حمام البخار فأخذ يرش ارقاءه بالماء ويقول ها أنا اتوضأ اكراما للمشترى الهى ومنقذى من آلام الحياة . » اه كلام تاسيت

وهذه النبذة الجميلة البليغة التى نقلناها عن تاسيت (وهو فى نظرى أعظم مؤرخى الرومان وأعظم مؤرخى الاقدمين ماعدا هيرودوت وبلوطارخ وهما فى صفه) تعطينا صورة ناطقة لموت سنيكا ولكنها تدل على معني المذهب الرواقى كقوله « أين تعاليم الحكمة ألم تتعلموا كيف تقابلون المصائب بصدر رحب وعزم ثابت ونفس مطمئنة » .

وكان سنيكا اسبانيا (أى من أبناء المستعمرات بالنسبة للرومان) ولد فى العام الثالث للمسيح ومات فى سنة ٦٥ ب.م.

على دين آبائه وأجداده . ونحن لا نريد الانتقاص من قدره بقولنا أنه كان دساسا أكثر منه حكيما ولكن يظهر أن حياته السياسية اقتضت اغفال الحكمة والتضحية بها فى سبيل مظاهر الحياة وحب النفوذ حتى أنه حاول فى نهاية أمره أن يكون قيصراً رومانيا وهـذه الفكرة الجنونية لم تخطر ببال أحد من الحكماء .

أما إيبقت أو إيبكتت ومعناه « المشترى بالمال » وليس هذا علما ولكنه يشبه اسم «عبد الخير» فى عرفنا لما كان الرقيق مباحا. هذا الحكيم المسكين الذى لم يستفد من الدنيا شيئا حتى ولا اسما يعرف به غير وصف الرق والابتياع كان رقيقا لرجل من أخبث الناس وأرذلهم وأقبحهم ذكراً فى التاريخ وهو المعتوق ايبافروديت وقد درسنا حاله أيضا فى كتاب تاسيت وكان ايبافروديت هذا رقيق نيرون وصحبه طول حياته وسهل له كل الجرائم حتى جريمة الانتحار التى قضي بها على نفسه. فتأمل أيها القارئ اللبيب كيف أن بلاط نيرون أعظم الظالمين وأشد الطغاة بغيا خرج فيلسوفين معروفين هما سنيكا وايبقت . وكان المسكين أعرج ولعل عرجه نتيجة ضربة من

ابيافروديت اللعين . وقد دفع به الظلم والاذى الى ان يلتمس تفريجا لكروبه فى درس الفلسفة الرواقية التى تعلم احتمال المصائب ولقاءها بصدر رحب . وبلغ منها الغاية فصار شبه أستاذ الى أن طرده دوميتيان الامبراطور فى سنة ٩٠ ب.م. مع جميع الفلاسفة لأنهم ضايقوه بمبادئهم التى تقاوم ظلمه (العفو يا صاحب الجلالة) فلجأ الى نيكوبوليس وأخذ يعلم الحكمة وهو فى غاية الفقر ولكنه بعد موته لم يعدم غنيا متهوسا محبا للظهور اشترى مصباحه الذى كان مصنوعا من الفخار (مسرجة) بثلاثة آلاف دراخم (نحو ثلاثة آلاف فرنك) كما يصنع أغنياء الامريكان لعهدنا فى اقتناص آثار العظماء وكان الحكيم الاعرج المريض الفقير أولى بها يقوم أوده فى حياته. ولم يدون شيئا ولكن تلميذه فلافيوس اريانوس كتب عنه كل مبادئه فى كتابين رأينا لهما ترجمة انجليزية فى ستة أجزاء بقلم اليزابت كارتر .وخلاصة فلسفته استسلام الانسان للالم وتوطيد النفس عليه وقوله بأن ارادة الانسان فوق كل شيء وهى التي تؤدى الي سائر الاعمال وان جميع الناس أبناء الله والمثل الاعلى للحكمة فى نظره سقراط وديوجين الكلابى .

أقول وأول ما علمت شيئاً عن ايبقت ما قرأته من الحكم والمواعظ التي اقتبسها چون لوبوك وزين بها كتبه « سعادة الحياة » و « منافع الحياة » حتى يمكن القول بأن چون لوبوك كان تلميذاً لايبقت فى العصر الحديث وايبقت واضع مثل « احتمل واصفح » وفيه ما فيه من نصائح المسيحية المكرمة. واذا صح ظني كان تولستوى من أتباع ايبقت وبالجملة كانت فلسفته فلسفة استسلام وعدم مقابلة الشر بالشر وتعميم الحب. ولم أر أحداً من حكماء العرب أو كتابه قد اعتنى بآراء هذا الحكيم الذى لا يشبهه فى حكمته وشقائه الا ايثوب الذي كان رقيقا وفيلسوفا وكتابه العيون اليواقظ الذى انتحل معظمه لافونتين ونقله محمد عثمان جلال نظما معروف ومتداول.

أما مارك اوريل الذى عاش ومات فى القرن الثانى للمسيح فكان قيصراً حكيما وقد شبهناه بالقديس لويس والملك ارثور الانجليزى. وفي التشبيهين مبالغة لان ارثور كان متدينا جداً ولويس كان مجاهدا فى سبيل دينه أما مارك اوريل فقد كان حكيما بحق وقد أنشأه أبوه على الحياة البسيطة واحتقار زخارف الحياة وعلمه تحمل الشدائد واختار له أفضل الاساتذة.

ولما تعين قنصلا فأمبراطوراً حارب للدفاع عن مملكته وكان قائداً قديراً ومكللا بالفوز حسن الادارة فى ملكه واتبع الحكمة فى الابتعاد عن أنواع الفساد . ونشر العدل فى بقاع الارض . وسن القوانين لحماية الضعاف وتخفيف مصائب الارقاء وعين ذاته وصيا على الايتام ومنع الظلم عن الولايات ومات على دين أجداده

وبين يدينا كتابه الموسوم بالكتاب الذهبي وهو مقسم الى اثني عشر كتابا الاول خاص بذاته وذكر من استفاد منهم وبقيته تاملات ونصائح وخواطر سانحة فى الخير والسعادة والحق وقواعد الحياة وقد نقلت هذه الكتب الى عدة لغات. وأفضل مارأيت عنها ما دونه ارنست رينان فى المجلد السابع من تاريخ المسيحية وهو خاص بعهد مارك أوريل ومبادئه . (طبع ١٨٨٢) .

ثم تكلمنا عن مذهب المشككين أو المرتابين (١) وزعيمهم

---

(١) صحيفة ١٢٧ من هذا الكتاب وقد ورد اسمهم خطأ « نبنيك » وصحته « سبتيك » كما ورد قبل ذلك وبعده في عدة مواضع من هذا الكتاب والخطأ مطبعي محض فنرجو المعذرة .

كارنياديس الذى بالغ فى التشكك الى درجة القول بعدم التأكد من العلم بشيء على الاطلاق . وهذا قول قديم سبقه اليه ارسطفن القوريني أو الرفني الذى قال ان العلم بالحوادث انما يصلنا عن طريق الاحساس وهو نتيجة التأثر بالامور الخارجة عنا ولما كان الاحساس لايشبه تلك الامور الخارجة حتما فلا يمكن ان نعلم الامور الخارجة علم اليقين وكان همهم محاربة فلسفة اللذائذ الابيقورية ويمكن القول بانهم كانوا فلاسفة وسطا بين الرواقيين والابيقوريين .

ثم بسطنا الكلام على ابيقور بقدر ما وسعه المجال . وقد اهتم به العرب فقال القفطى « ان شيعة افيقورس ويسمون أصحاب اللذة لانهم كانوا يرون الغرض المقصود اليه فى تعلم الفلسفة اللذة التابعة لمعرفتها » وهذا خطأ فاضح لايقترفه الا جهال الدين . وقال الشهرستاني وهو أقرب الى الحقيقة ان رأى ابيقورس خالف الاوائل فى الاوائل (تورية لطيفة) فقال المبادىء اثنان الخلاء والصورة وأما الخلاء فكان فارغ وأما الصورة فهي فوق المكان والخلاء ومنها أبدعت الموجودات وكل ما كون منها فانه ينحل اليها فمنها المبدأ واليها المعاد ورعا

يقول الكل يفسد وليس بعد الفراق حساب ولا قضاء ولا مكافأة وجزاء بل كلها تضمحل وتدثر (ليس في الامر «ربما» انما هذا هو رأى ابيقور بالتأكيد .)

والانسان كالحيوان مرسل مهمل في هذا العالم والحالات التي ترد على الانفس في هذا العالم كلها من تلقائها على قدر حركاتها وأفاعيلها فان فعلت خيراً وحسناً فيرد عليها سرور وفرح وان فعلت شراً وقبيحاً فيرد عليها حزن وترح وانما سرور كل نفس بالانفس الاخري وكذا حزنها مع الانفس الاخرى بقدر ما يظهر لها من أفاعيلها (شهرستاني ص ٢٩٧)

ولا حاجة بنا لتلخيص الافلاطونية المستحدثة لقرب عهد القارىء بها .

وهذا ختام ما أردنا ذكره من فلسفة اليونان وذكر علمائهم الذين علمونا كيف يفكر الانسان ولفتونا الي أصل العالم ونبهونا الى غايتنا من الحياة وفتحوا لنا نافذة تطل على فضاء الموت . وهذا منتهى الحكمة الانسانية !

الانسانية والتقدم

(تأثير الفلسفة اليونانية فى العالم)

وجدت فى اماكن متفرقة عظام مهولة وهي عظام الفيلة الاولى التي انقرضت (ماموث)(١) وعظام الحيوان الذي انقرض ايضاً واطلق عليه كوفيه العالم الطبيعي الفرنسوي مؤلف كتاب « عالم الحيوان » وغيره اسم « مستودنت » أى ذو الاسنان الحلمية .

وهذه العظام وغيرها من الآثار الحيوانية والنباتية التى اطلق اليها علماء أوروبا وصف Fossile ويمكن تسميتها بالعربية احافير كانت معروفة منذ خمسة وعشرين قرناً عند اليونان فقد قال عنها زينوفون الحكيم الاغريقي مؤسس الفلسفة العقلية (التي ظهرت مبادئها في مدينة ايلية اليونانية القديمة ونسبت اليها) أن هذه الآثار وتلك العظام هي بقايا حيوانات ونباتات كانت حية فى الماضى واستنتج من وجود اصداف بحرية في

---

(١) بعد تحرير هذا الفصل قرأنا خبر عثور العلماء على آثار حيوان يعدونه أقدم عهداً من الماموث

رؤوس الجبال ومن انطباع صور السمك والفقم في احجار مقالع ازمير وسرقوصة ان تلك الاماكن كانت مغمورة بالمياه

فاذا وجب رد كل شيء الى مصدره حق على العالم أن يعترف بان زينوفون (١) الاغريقي هو واضع علم البالنتولوجيا أو الاحياء الاولى واذا كان الفضل يرجع الى كوفيه في تنظيم مبادىء هذا العلم في القرن التاسع عشر بعد أن اتسع نطاق المعارف الانسانية فان الفضل الاول راجع الى العالم الذى عاش قبل كوفيه باربعة وعشرين قرناً

كان الناس في العصور الوسطى يحسبون هذه العظام المهولة انها بقايا من طوائف الجبابرة البشرية الذين كانوا يعيشون على سطح الارض قبل الانسان كما كانوا يحسبون احجار السليس Silex التي وجدت في انحاء أوربا قطعا هابطة على رؤوسهم من السماء ويسمونها حجر الصاعقة وقد ثبت من ابحاث العلماء ان تلك الاحجار المنظمة التي وجدت في مجاري الانهار وفى جوف المغاور بين طبقات متكدسة من

---

(١) هو غير زينوفون تلميذ سقراط وهو مذكور في صحيفتي ١٦ و ١٧ من هذا الكتاب

الطمى والكاس وغيرهما من العناصر الحجرية لم تهبط من السماء كما هبطت الارواح من المحل الارفع انما هي ادوات كان الانسان صنعها واستعملها في شؤونه فى العصر الحجري (١)

وان فى هـذا الامر لعبرة كبرى . فان بعضنا يظن أن الحقائق العلمية التى تظهر فى جيل من الاجيال تصبح ملكا عاما شائعا للانسانية فتتلقفها الاجيـال المتتالية ويتوارثها الناس بالتعليم والتلقين فلا تضيع بل تصبح جزءاً من الثروة العقلية التى تنمو بالانتاج والاقتصاد والتوافر

وكان هذا الامر واجباً بل يدهشنا عدم ظهوره ظهور الشمس ويذعرنا عدم انقطاع العلماء لتحقيقه لان اهماله يزيد الجهل تخيما على العقول أن مصيبة الانسانية ليست فى عجزها عن ادراك الحقيقة . ولكنها فى طمس معالم الحقيقة كلما ظهرت ودفنها تحت اكوام مكدسة من تراب الجهل . ان كثيراً من الحقائق التى نكتشفها اليوم ونظن انها حديثة وان لنا الفضل في اظهارها من عالم الخفاء الى نور الظهور كانت معلومة لدى الاقدمين وثابتة لديهم ثبوت الشمس فى رابعة النهار ولكن الجهل

---

(١) راجع مبحث الدكتور شبلى شميل في مذهب النشوء والارتقاء.

الانسانى طمس آثارها وأخفى معالمها وجعل نارها رماداً ونورها ظلاما. خذ لذلك مثلين واضحين الاول مثل اليونان فقد بلغت بحكمتها وتدبيرها وعقول أبنائها وعلومهم وأنظمتها الاجتماعية والسياسية ومظاهر حياتها الادبية والفنية مبلغا جعلها معلمة العالم ومرشدة الامم ويمكن القول بغير مبالغة أن ما وصل اليه ارسطو وأفلاطون وسقراط وابيقور وزينوفون وسوفوكليس وفيدياس وبركليس وصولون وديموستين لم يصل اليه انسان بعدهم فى سائر فروع الحياة العقلية التى نبغوا فيها فقل لى أين آثار هؤلاء وأين علومهم وأين حكمتهم وأين فنونهم وأين ثمرة جهودهم التى جعلتهم آلهة يسيرون على الارض. ان لدينا من كل ذلك نتفا ذات قيمة فى ذاتها ولكنها تافهة بالنسبة لمجموع ثمرات عقولهم التى لو جمعت ونظمت ودرست على حقيقتها لكانت كافية لتنوير الانسانية وتقدمها الى آخر الدهر ودليلى على ذلك أن هؤلاء الحكماء الاوائل لا يزالون ولن يزالوا المصدر الاول لكل من يريد أن يستقى الحكمة من منبعها ولا يزال كل من يجهل آثارهم لا يعد داخلا فى زمرة العلماء أو المتأدبين .

المثل الثاني مصر وهي أشهر من أن تذكر فقد بلغت علومها وفنونها وآدابها منذ أربعين أو خمسين قرنا مبلغا لا تزال آثاره ظاهرة للعيان في آثارها ونقوشها وصحفها . واذا حق لنا أن نذكر حكماء اليونان وننسب اليهم الفضل في اخراج الانسانية من غيابة الجهل وارشادها نحو المثل الاعلى في العلوم والفنون والآداب فيكفينا في التدليل على قدر مصر أن هيا كلها المقدسة كانت مدارس لفلاسفة اليونان أمثال من ذكرنا وفيثاغورس نفسه أقام عدة سنين يتلقى العلم على الكهنة في معابد ثيبة وهليوبوليس . فأين هذا كله الآن وهل نرى في مصر وقد زاد خصبها وزكا زرعها وفاض نيلها وتضاعف عدد سكانها جزءاً من مليون من علوم مصر العظيمة التي فنيت هل أشرق في سماء مصر شعاع واحد من تلك الاشعة التي انبعثت في فجر المدنية فأضاءت اليونان أولا والعالم كله ثانيا

ان كل فكرة وكل خاطر يمر بالنفس وكل سطر يدونه كاتب وكل صورة ينقشها طفل وكل بيت من الشعر تنطق به سجية حساسة على لسان الفطرة بل كل نظرة تدل على الفطنة كلها ملك الانسانية وجزء من ثروتها العقلية وينبغي تدوينها

وتسجيلها على حقيقتها ونشرها بين الناس وتلقينهم إياها ليستفيدوا
منها سعادة عقلية أو لذة معنوية أو خبرة تنفعهم في حياتهم.
ان الطفل يرث من والديه كل المميزات البدنية والنفسية يرث
الفضائل والرذائل يرث الميول والشهوات يرث المحاسن
والاضداد وليس قانون الوراثة بواقف عند حد الوالدين بل
هو يتعداهما الى الاجداد مهما علوا وقد ثبت هذا الرأى
وأصبحت الرجعى Atavisme من المسائل المسلم بها. فكيف
يستبيح الناس أو القانون بأمرهم من العلماء والمرشدين
والمعلمين أن يسلموا الطفل الى العالم وقد ورث كل العيوب
الانسانية وهو مع هذا خلو من كل ما أدركته عقول أسلافه
ووصلت اليه جهود أجداده فى سائر بقاع الارض وفى كل
زمان سابق لمولده.

أليس من أعظم الجرائم أن تترك الانسانية تائهة ضالة
فى مهامه الجهالة أليس من العبث كل ما يحاوله العلماء فى سبيل
البحث عن الحقيقة اذا كان كل ما وصل اليه أسلافهم قد ضاع
واختفت آثاره واذا ذكر فى كتاب على رأس قلم باحث
جديد انما يذكر من قبيل خطرات الافكار أو غرائب الاقوال

أو فكاهات تروح عن النفس وتقطع الوقت وتقتل الزمن ؟

ان العلوم التى تلقن فى المدارس هى أحقر وأضر معلومات البشر وينبغي القضاء عليها ومحوها من سجل التعليم الانسانى . انها عبارة عن مجموعة سخافات تافهة مبهمة قد سبكها فى قالب التدريس قوم جهلاء وقد سارت الدنيا على هذه الاساليب العقيمة الغير المثمرة أجيالا لا تحصي وينبغى أن تزول تلك الاساليب وتلك المعلومات من عالم الوجود . ينبغي احراق كل الكتب والكراسات التى تقدم للتلاميذفى كل انحاء العالم وينبغى أن يجتمع مؤتمر من علماء كل الامم وأن ينتقل فى سائر بلاد الدنيا ويقضي بين الشعوب المختلفة مدة كافية للوقوف على أحوالها وأخلاقها ومواهبها وبيئتها الطبيعية والمعنوية وبعد ذلك يتفرغ هذا المؤتمر لوضع برنامج لتعميم التعليم فى أنحاء الدنيا لا فرق فى ذلك بين الاجناس والملل ينبغى توحيد التعليم وتوحيد المدنية وتوحيد الحياة العقلية فى كل مكان . ينبغى أن يقف كل انسان على أهم ما انتجته العقول الانسانية من المباحث وما وقف عليه العلماء من الحقائق فى كل فرع من فروع الحياة . ان الماضى من هذه

لوجهة أكبر شأنا من المستقبل لانه مجموعة اختبارات جليلة عظيمة تفيدنا في خطواتنا الى الأمام. (١)

ان كثيرين من المفكرين ينسبون الى الإنسانية غريزة البقاء على حالة واحدة. ويقولون ان الانسان ميال بفطرته للمحافظة على كل قديم لا لانه صحيح أو موافق للحقيقة انما للتعود . أن الانسانية أسيرة العادة . وهي كذلك شديدة الكسل . فهي تعودت أن تدرك الاشياء على حال معينة ولا تريد التغير في طريقة التفكير . وتعتقد في صحة أشياء معينة لأنها تلقنت الاعتقاد بصحتها فلا تريد أن تنزع عن عقلها هذا الاعتقاد حتى ولو ثبت أنه فاسد وانه قائم على ضلال قديم حتى ولو قامت البراهين العلمية والعقلية على صحة غيره من الآراء وأصبحت تلك الآراء ملكا مشاعا لكل الناس يمكن الوصول اليها بسهولة . فانك تجدهم يعرضون عن الجديد الصحيح من العلم الموافق للعقل ويتشبثون بالقديم الباطل من العقائد المخالف للعقل لان الانسانية مكسال تريد أن تجلس لتستقبل

---

(١) انني أقترح نقل جميع مؤلفات فلاسفة اليونان الى اللغة العربية ولا أرى وسيلة لتقدمنا العقلي بغير هذا

شمس الصباح دون أن تعرف كنه الحرارة. تريد أن تنظر بخمول الي الكواكب ولا تريد أن تعرف ما وراءها تريد أن تمتع نظرها بالمخلوقات دون أن تعكر صفوها لحظة فى التفكير فى أصلها ومنشأها ومصيرها وموردها. الانسانية أسيرة العادة وحليفة الكسل وهى فوق ذلك محبة للتقهقر ميالة للرجوع الى حالها الاولى حال الحيوانية والتوحش دون أن تبذل جهداً فى السير الى الامام. الانسانية ابيقورية المذهب

واذا خرج من احشاء تلك المكسال ربة الخمول أسيرة العادة وحليفة كل قديم مولود جديد وحاول النظر الى النور أو التنفس فانها فوراً بمالها عليه من حقوق الامومة وبما اكتسبته من الغلظة وحب الاذى حتى فى تأديب أطفالها تبادر الى ضربه وتعذيبه وكم فمه وحجب عينيه فلا يشم الا نتنها وعفونتها ولا يرى الا سواد ليلها وظلام عقلها فان تشدد فى المقاومة وكان طفلا نجيبا شجاعا نابغا تحاول اخفات صوته باللين والملاطفة فان لم يذعن فانها لا تتردد بعد ذلك لحظة واحدة في القضاء عليه انها تضحى به على هيكل العادة والكسل والبهيمية فتوعز الى ابنائها الذين ثبتت طبيعتها فى أفئدتهم

بقتله فتارة يسجن حتى يموت وطوراً يأتى به من حالق، وطوراً يصلب ومرة يحرق . وبعد ان تزهق روحه ويصير جسده ترابا تعود الام فتأخذها الشفقة على ولدها وتقول وأحر قلباه على ولدى كان ذكيا وكان حاضره ينبىء بمستقبل سعيد. فتأمر بتمجيد ذكره واقامة الانصاب على شكله وتأمر بجمع آثاره ولم شعث افكاره وتقيم له مأتمـا فخما فيظن الرائى ان ولدها لو عاد اليها لاحلته محل الانسان من العين . ولكن اذا وصل الي علمها أثناء تمجيد ذكر ذلك الذى بذلته وقتلته ان أخاً له حاله كحاله فانها لا تتردد لحظة فى القضاء عليه لتعود بعد حين فتخلد ذكره . وهكذا تستمر تلك العجوز المكسال الماكرة الذميمة الخلق والخلق تقتل النجباء وتستبقي الجهلاء والسخفاء لانها لا يطيب لها العيش الا فى ظلال الجهل والكذب والخداع ولا تحب النور لانها من بنات الظلام .

مائدة أفلاطون

أشخاص الوليمة الذين دارت بينهم المحاورة

أبو لودورس — صديق له — جلاكو — أريسطوديمس

سقراط ـ اجاثون ـ فيدروس ـ بوسانياس ـ اريكسماكوس

اريسطوفانيس ـ ديوتيما ـ السيبياديس

(ابولودورس) — أظن الموضوع الذي تسألني فيه لا يزال حاضرا في ذهني، لانني بينما كنت أمس عائدا من فاليروس الى داري، رآني صديق فدعاني وقال ممازحا «يا ابن فاليرورس! الا يمكنك ان تنتظر لحظة، حتى تقص علي ما سمعته من المحاورة التي دارت على الحب في مجلس ضم اجاثون، وسقراط، والسيبياديس، وغيرهم؟ وقد سمع بهذه المحاورة صديق رواها له فينيكس بن فيليس، وذكر لي انك تستطيع ان تعيدها باسهاب وجلاء، فتكرم علي باعادة تلك المحاورة فاني أعلك صادق الرواية لما تسمعه من أخبار أحبابك وأصدقائك. ولكن بحق عليك هل سمعت المحاورة باذنك أم رويتها عن سواك؟»

(فاجبته) - يلوح لى ان مخبرك لم يجل لك ما غمض عليك فأنت تسألني ان كنت سمعت المحاورة بأذنى، كأنها بنت أمس وكأنى كنت من أشخاصها!

(جلاكو) - لقد ظننت ذلك

(فأجبته) كيف يكون ذلك ياجلاكو وانت تعلم أن اجاثون غائب عن المدينة منذ أمد بعيد ولم يمض أكثر من ثلاث سنين على ملازمتى سقراط، ومحادثته وتقييد أقواله، ومراقبة أعماله ؟ اما قبل ذلك فقد كنت هائما على وجهى، لا ابتقر على حال، ولا أعرف لنفسي مكانا تسكن اليه، وكنت فى ذلك العهد أشعر بشقاء وغم أعظم من شقائك وغمك اللذين تشعر بهما الآن وكنت أود لوأنني عشقت غير الحكمة التى تشقى من يحبها...

(جلاكو) - مقاطعاً - لاتماحك واذكر لى ما تعلم عن المحاورة!

(أجبته) - لما كنا فى عهد الطفولة، ونال اجاثون جائزة لحذقه فى وضع الروايات التمثيلية الفاجعة، وبعد ذلك الفوز العظيم بيوم احتفل اجاثون وجماعة الممثلين احتفالا فخما قدموا فيه

الضحايا للآلهة ...

(جلاكو) - يظهر لي، أن ذلك الخبر يرجع الي السنين الغابرة ، فمن ذا الذى رواه لك ، وقص عليك القصة باكملها ، وهل سمعت تفصيل الخبر،من سقراط بذاته ؟

(فاجبته)— لا وحق المشترى ! بل سمعته من محدث فينيكس نفسه رجل اسمه اريسطوديمس ينتمي الى «سيداثينا» وهو شخص قصير القامه ، نحيل البدن، كان يسير في الطرق بلا نعال . وكان حاضرا بذاته الوليمة التي أولمها اجاثون اكراما لفوزه ، لان اريسطوديمس كان اعلق أهل زمانه بسقراط، واكثرهم اعجابا به : وقد سألت سقراط عن بعض ما سمعته من مريده اريسطوديمس، فاكده لى .

(جلاكو) - فلماذا اذن، لا تقص على هـذا الحديث الحسن ونحن سائرون الى المدينة ؟ سيما والسبيل سهل لا تشوبه شائبه ، ولا تعتوره وعورة ، ولا شيء أدعي لتسهيل السير من المحاضرة !

فأخذت اقص عليه ماوعته الذاكرة،من المحاورة التى دارت على الحب،وحاولت جهد طاقتى أن لا يفوتني مماسمعت شيء، فاذا اردت انت أيضاًأن اعيد على سمعك هذه المحاورة، فلا أضن عليك بما تريد، فانه لا يسرني شيء مثل الكلام فى الحكمة، أو سماع مايقال فيها. وهذا لسببين: الاول ما استنبطه من الفوائد وما استوعبه من المنافع من احاديث الفلسفة، والسبب الثاني أشباع ما ركز فى نفسى من غريزة حب الحكمة. ولكني كلما اسمع احاديثك عن عجول الذهب وعباد المال اشعر بحزن شديد، واشفق عليك يامن لا تعمل شيئا وتحسب نفسك تقوم بكل شيء ! ربما تظنني مسكينا بائسا وأنت عند ظنك أما أنا فلا أظن بل اعتقد واؤكد انك كذلك !

(رفيق) — انك لا تتغير أبداً ياابولودروس! فانت على الدوام تنتقص الناس وتبخس نفسك، ويلوح لى أنك تحسب سائر الناس اشقياء بائسين وانت فيهم، وليس فى الوجود شخص سعيد سوى سقراط، وهذا ثبات في الرأى يندر فى المجانين وقد ادعى الناس بانك منهم !

(ابو لودروس) — حقيقة الامر ياصاحبي هى أنني

مجنون لامر واحد: وهو تشبثي برأيي فيك وفي نفسي.

(الرفيق) — ليس يجدينا أن نبحث في تلك الامور نفعاً يا أبو لودروس! فتفضل عليّ بالحديث الذي وعدت

(أبولودروس) — سأشرع توا في الحديث، وأتلوه عليك بالترتيب الذي اتبعه أريسطو ديمس.

روي أريسطو ديمس أنه لقي سقراط يوما نظيف الوجه، حسن الهيأة متمثلا على خلاف عادته، فسأله عن حاله ولاي شيء خرج عن حده في التزين والتجمل، فقال سقراط: دعاني أجاثون الى وليمته، فلم أجبه أمس لاجتماع قوم من الغوغاء عنده أثناء بذل الضحايا للآلهة، واليوم قصدت أن أجيبه. اما عن تزيني فاعلم أنه ينبغي لك أن تتجمل اذا أردت أن تدنو من أرباب الجمال، وأنت يا أريسطو ديمس ما قولك في أنك تصحبني غير مدعو الى دار صاحبنا اجاثون؟ فقال أريسطو ديمس اني افعل ما تريده، فقال سقراط اذن هيا بنا! فقد جاء في الامثال «لا كلفة ولا دعوة بين الاخيار» وقد أخطأ هوميروس، ولم يحسن استعمال هذا المثل في الالياذة اذ وصف اغاممنون بالشجاعة والبطش في ميدان الوغى وذكر

عن مينيلاوس أنه جبان عاجز وهيأ له أن يتطفل على مائدة اغا ممنون عملا بالمثل السابق على ما بينهما من الفروق في الاخلاق .

قال أريسطوديمس : واني أري نفسي ياسقراط في مأزق حرج لا يقل مايلحقني من اللوم والذم فيه عما لحق مينيلاوس فاني لي أن أضارع أجاثون فضلا، أو أدانيه فخراً ! افلا تنتحل لي ياسقراط عذراً أركن اليه ؟ كأن تقول أنك أنت دعوتني ؟

قال سقراط لعلنا في طريقنا نوفق الى عذر ننتحله ...

فانطلقا . وكان سقراط في أثناء الطريق قد فتح عليه فأخذ يفكر فيما طرأ له فسار الهوينا وتخلف عن رفيقه أريسطو ديمس فلما رأى أن رفيقه انتظره سأله أن يتقدمه فصدع بأمره .

ولما بلغ دار اجاثون وجد الباب مفتوحا ورأى عبداً يستقبل الاضياف ، فلما بصر العبد به دنا وسار بين يديه الي أن بلغ مجلس الاضياف، فلما بصر اجاثون بأريسطوديمس قال :

(اجاثون) — جئت في وقت حاجتنا اليك، فانت ضيفنا الليلة على العشاء ، فان كانت لك حاجة فارجئها الى فرصة أخرى ، كنت التمسك امس لادعوك ، ولكنني لم اهتد

اليك : ولكن كيف أنك لم تصطحب سقراط؟ (فتلفت اريسطو ديمس لعله يرى سقراط فلم يره لانه لم يبلغ الدار)

(اريسطو ديمس) ـ لقد جئت معه وهو الذى دعاني الى وليمتك !

(اجاثون) ـ لقد احسنت ولكن اين سقراط ؟

(اريسطو ديمس) ـ كان يصحبني في قدومنا، ولكن لاأدرى أين هو !

(اجاثون) ـ لاحد غلمانه ـ اذهب ياغلام واستقدم سقراط أماأنت ياريسطوديمس فاتكيء هنابجانب اريكسماكوس ثم امر عبدا أن يغسل قدميه ليستطيع الاتكاء ثم جاء عبد غير الذي راح يبحث عن سقراط وقال أنه لجأ الى حارة ووقف وأبى أن يدخل غرفة الاضياف فنهر اجاثون عبده وامره أن يذهب ولا يعود بدون سقراط .

(اريسطو ديمس) ـ دعوه ولا تقطعوا عليه تأملاته ! فهذه عادته اذا ادركه التفكير يخلو بنفسه حتى يفرغ من النظر فيما عرض له فاذا ترك وشأنه فانه لامحالة يحضر .

(اجاثون) ـ ليكن لك ماتريد ! لعبيده وخدمه ـ اعدوا

لنا المائدة ايها الغلمان واحضروا لنا ما تريدون لانني لا أريد أن يكون لمائدتي رئيس وكأنني واضيافي ضيوف عليكم فلا تقصروا في حقنا !

ثم شرعوا في تناول الطعام ولما يخرج سقراط من خلوته وكان اجاثون يشدد في استقدامه واريسطو ديمس يلح في تركه وبعد الفراغ من نصف الطعام دخل سقراط ولم تطل خلوته كعادته فلما بصر به اجاثون وكان متكئاً على حدة في مؤخر المائدة قال له:

(أجاثون) — الي يا سقراط واجلس بجانبي لعلني أستفيد بمجاورتك ثمرة ما أوتيته من الحكمة بعد أن خلوت بنفسك أمداً ولا ريب في أنك استنبطت رأياً جديداً أو فكراً صائباً . فجلس بجواره وقال:

(سقراط) — لو كانت الحكمة كالماء تفيض من وعاء مملوء الى وعاء خلو منها حتى يستوى نصيبا الوعائين اذن لعددت نفسي أسعد الناس حالا بمجالستك لانك كنت تملأ وعائي حكمة وعلما . لان حكمتي غامضة مبهمة وهي أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة . أما حكمتك فمتألقة وقد جزيت عنها

بما تستحق من التكريم وقد فقت وأنت لا تزال فتيا الشيوخ في الفضل والادب وانبعثت أنوارهما منك فكنت منبثقا لنور لا تدركه ظلمة وقد شهد بذلك أمس ثلاثون ألفا من الاغريق

(اجاثون) ـ انت تسخر مني ياسقراط وعما قليل سنحتكم في فض هذا النزاع الفلسفي الى باكوس إله الخمر أما الآن فبادر الى تناول ما تسد به رمقك !

وبعد أن فرغ سقراط وصحبه من تناول الطعام واتكأوا على وسائدهم وذرابيهم المبثوثة وصبت السكائب وأنشدت الاغاني للاله وأقيمت سائر الرسوم والشعائر المعروفة أخذ الجماعة يشربون الخمور المعتقة ويحيون شريعة باكوس فتقدم بوسانياس بهذا الرأى

(بوسانياس) ـ أى الطرق احب الى قلوبنا فى معاقرة الخمر ؟ لا أخفى عليكم انني لا أزال مريضا من أثر النبيذ الذي شربناه أمس وأشعر من نفسى بحاجة الى هدنة وأحسبكم جميعا كذلك لان هذا المجلس كان يضمنا جميعاً فانظروا فى أمرنا كيف نشرب فى ليلتنا هذه بحيث تبهجنا النشوة ولا يزعجنا الخمار

(أريسطوفانيس) ـ نعم الرأى رأيك يابوسانياس! فخير لنا أن نمزج كيت الكؤوس بماء الاعتدال فانني كنت ممن غلبهم باكوس على أمرهم فأغرقني هذا الاله القاسي في جرعة لبهيمة!

(اريكسماكوس) — انني على رأيكما وأريد أن أعلم هل ينوي اجاثون أن يعيد الكرة الليلة؟

(اجاثون) — كلا! فانني لا أستطيع أن أنال من الراح ما نلت أمس.

(اريكسماكوس) — ان كان هذا رأيكم وأنتم أئمة الخمر فأخلق به أن يكون رأيي ورأى غيري ممن لم يتعودوا عبادة باكوس حق عبادته أمثال أريسطوديمس وفيدروس وغيرهما على انني أستثني سقراط لانه القادر على كل شيء فلذا يسره مايسرنا ويرضيه ما يرضينا وحيث انه ليس فينا من ينوي الاكثار من النبيذ فقد هيأتم لي بابا ألج منه الى تبيين مضار السكر ونقائصه فأقول ان الطب يدلنا أن السكر مضر فلذا تروني لا أفرط في الشراب ولا أشير على أحد بالخمر ليلة بعد ليلة...

(فيدروس) ـ انك مصيب في قولك، ولي ثقة في

نصائحك الطيبة وسأسير الليلة على خطتك اذا سار سائر الاصحاب .

فاتفقوا جميعاً على أن يشربوا ليطربوا لا ليسكروا

(اريكسماكوس)— حيث الامر كذلك فلن يرغم أحد على أن يشرب اكثر مما يطيق ولا حاجة لنا بالنافخة فى المزمار فاما نرسلها الى خدر النساء تطربهن بانغامها وأما نتركها تنفخ لنفسها وليكن مجلسنا قاصرا على ما يدور بيننا من المحاورات وان أذنتم لى اقترحت عليكم بحثا يدور عليه محور السمر !

فضج الجميع وقالوا «اقترح علينا ما تريد!»

(أريكسماكوس) ـ ان ديباجة حديثى تشبه أسلوب مناليب ليوريبيد لان الحديث الذى سأرويه ليس صادرا عنى لانى وسيط بينكم وبين صاحب الرأي وهو فيدروس فانا انقل لكم ما يريد ابلاغكم اياه ذلك أنه شكا لى مرة بعد أخرى قائلا أليس من العجيب يا اريكسيماكوس أن لا يكون بين الاناشيد والاغانى التى يترنم بها الناس اغنية واحدة أو نشيد مفرد ينظمه شاعر من الشعراء لتمجيد الحب وهو من اعظم الارباب وكيف أن كبار المغالطين امثال

بروديكوس يسبحون فى شعرهم باسم هرقل وليس فيهم من اعطى الحب حقه من التسبيح والثناء . واغرب من ذلك انني عثرت بالامس بكتاب أحد الفلاسفة وقد ذكر فيه محاسن الملح ومنافعه وغير ذلك من السفاسف فمضيت لضياع امثال تلك الدرر الغوالي في تمجيدها ودهشت لاحجام الشعراء والكتاب عن امتداح اله الحب وهو من اعظم الارباب ! !

ثم وجدت قول فيدروس على جانب من العدل فلذا اقترح الليلة عليكم اقتراحا يجدر بكم تنفيذه ولا ريب أن فيدروس يغتبط به اغتباطا عظيما . وهو أن تطرحوا الحب على بساط البحث والمناقشة شريطة أن يمدحه كل منكم بابلغ ما يستطيع وليبدأ فيدروس لانه أول درة في عقدنا بحسب ترتيب الجلوس ولانه صاحب الاقتراح

(سقراط) — ليس هنا من يعترضك أو يخالف رأيك أما أنا فلا أكترث لشيء سوى الحب وكذلك اجاثون وبوسانياس واريسطو فانيس فقد قضوا حياتهم فى تمجيد الزهرة آلهة الحب وباكوس اله الخمر بل كل الجالسين هنا حالهم واحدة ثم ان أماكن اصحابي فى الجلوس تأذنهم بالبداية فى الحديث فلا

تبلغني النوبة حتى يكونوا قد وفوا البحث حقه واستقصوا محسنات البلاغة في ترصيعه وتجميله فيكون قولنا بعدهم فضولا وتطفلا فباسم السعد ادعو فيدروس الى الكلام !

قال ابو لودورس لرفيقه « ولا يذكر اريسطوديمس سائر ماقاله كل بمفرده انما علق بذهنه اهم ماقيل وهاك بعض ماأذكر مما رواه لي اريسطو ديمس » شرع فيدروس في الكلام على الحب فقال :

(فيدروس) — ان الحب رب عظيم قادر وهو موضع اعجاب الارباب والناس لدواع كثيرة اهمها منشأه واصله فهو من اقدم الالهة وليس له والدان ولم يذكر شاعر من الشعراء ان غيره من الارباب يماثله في ذلك وقال هصيود « ان الفوضى سادت الكون ثم خلقت الارض فكانت أساسا ثابتا لكل شيء وتلاها الحب في الخليقة » وقال بارمنيدس عن اصل الخلق « ان الحب كان قبل غيره من الالهة » وقد اتفق آكيوسيليس وهصيود في هذا الرأي فالحب باتفاق جميع الحكماء من اقدم الاشياء دع عنك انه منبع اعظم المنافع لبني الانسان فليس في العالم سعادة ولا نفع أعظم مما يعود على

انسان في مقتبل العمر من محبه أو محبوبه فلا شرف المولد ولا عز الغنى ولا علو الجاه توقظ في نفوس عشاق المجد من العواطف التي تضيء نفوسهم وتنير بصائرهم ما يوقظه الحب منها فمن تلك العواطف عاطفة الخجل من السقوط في هوة العار وعاطفة التفاني في حب العلا التي تؤدي الى القيام بكبار الاعمال وعظائم الامور وليست هـذه القاعدة مقصورة على الافراد بل تتعداهم الى الجماعات والشعوب فانه بدون هاتين العاطفتين لا يتهيأ لاحد اتيان الاعمال الجليلة الجميلة ومما يثبت قولي أن العاشق اذا اقترف اثما أو استغضب ولم يغضب جبنا لا حلما وكان ذلك في حضرة من يحب فان ألمه من الخجل من محبوبه يكون أشد وأقسى مما لو كان سائر أهله وأقاربه وصحبه أو سواهم يشهدون مذلته ويحدث مثل ذلك بين الاصدقاء فيصعب على الصديق أن يلقاه صديق في حال شائنه أو في فعل مهين

وكذلك اذا ارتبطت قلوب فئة قليلة أو كثيرة برباط المودة وكونت حكومة أو جيشاً محاربا فلا ريب في أن ما بينهم من روابط الصداقة والود يدعوهم الى أداء ما يجب

عليهم حق اداء فلا يسود بينهم شقاق ولا تقوم للخلاف فيهم قائمة . كذلك لا يكون للحسد والاحقاد عليهم سلطان فيتنافسون فى حب الشهرة ويتسابقون فى ميدان المطامع الشريفة ويبتعدون عن الشهوات المؤدية الى فساد أمورهم وانحلال رابطتهم وانفصام عروتهم . وكذلك اذا كانوا جيشا فهيهات أن يملكهم العدو أو ينال منهم اربا لما بينهم من التضامن القوى فلا يستطيع واحد أن يفر من الردى أو يستسلم للعدو لان خجله من صحبه أشد عليه وأقسى من ضرب السيوف ورشق السهام ولا يعذب الموت الا فى الحب فيود أحدهم لو يموت ألف مرة وذلك أفضل لديه من الفرار تاركا وراءه أحبابه يجرعون كؤوس الموت الزؤام . وليس فى الوري شخص مهما كان وضيعا لا يوحى اليه الحب أسرار الفضيلة وقد يسمو بهذا الوحي لدرجة من ركزت الفضيلة فى طبيعته وقد قال هوميروس أن الاله ينفخ فى أرواح بعض الابطال ويهبهم من لدنه قوة كذلك الحب ينفخ فى قلوب المحبين من روحه وليست تلك النعمة قاصرة على الرجال بل تتعداهم الى النساء اللائي يحببن فقد تفدى المرأة المحبة محبوبها بنفسها وخير مثال

لتفانى المرأة التى نفخ الحب فى قلبها من روحه السستيس بنت بلياس فقد بذلت نفسها فداء زوجها وقد بلغ حبها اياه مبلغا لم يبلغه حب الوالدين والاهل والاقارب فكانوا حياله كالاجانب الغرباء وكأن لا رابطة بينهم وبينه الا الاسم والكنية فاعجب الناس بذلك الحب العظيم وأعجب به كذلك الالهة أنفسهم فانقذوا نفس السستيس من العذاب الاليم فدل ذلك على تقدير الارباب عواطف الحب والاخلاص قدرها

أما ارفيوس بن اياجرس فقد عاد من الجحيم بصفقة المغبون لان الالهة لم يظهروا له سوى شبح التى جاء من أجلها لانهم اعتبروه أقل اخلاصا من السستيس التى لم تحجم عن الموت واستهانت بعذاب الجحيم فى جنب اتصال نفسها بنفس زوجها أما ارفيوس فقد جبن وأحجم عن الموت وطلب الى الارباب أن ينزلوه الى الجحيم حيا فكان عقابه على جبنه وضعف اخلاصه أن الالهة قضوا عليه بان يموت قتلا بأيدى النساء

وأما ما حدث لاخيل فهو أن الالهة أسكنوه دار النعيم جزاء شجاعته واخلاصه فى صداقته فقد نبأته أمه أن أجله معلق بأجل هيكتور فان قتل هيكتور تبعه آخيل ولو أن آخيل

لم يقتل هيكتور طال عمره ومات شيخا ومع علم آخيل بدنو أجله وصدق ذلك النبأ العظيم فقد راقه الموت بقتل هيكتور انتقاما لصديقه باتروكلس وغيرة على شرفه فمجد اليونان ذلك الاخلاص وتلك الصداقة فى شخص آخيل لانه فضل صديقه على كل شيء وقد جزي الآلهة آخيل جزاءأعظم من جزائهم السستيس لانهم أسكنوه دارالنعيم

لاجل هذا قلت ان الحب هو أقدم الارباب وأفضلهم وأقدرهم على منح الفضيلة والسعادة لبنى الانسان أحياء وأمواتا

هذا ما رواه أريسطو ديمس من حديث فيدروس وقد تكلم بعده غيره حتى جاءت نوبة بوسانياس قال .

(بوسانياس) — انما لو قصرنا بحثنا على التسبيح بمجد الحب وذكر محاسنه لكان ميدان البحث محدوداً ومجال القول ضيقا ولو كان الحب نوعا واحداً لكان لنا عذر فى قصر بحثنا على مدحه ولكن حيث ان الحب أنواع متعددة فسأقصر قولى على تمييز الحب الجدير بالمدح عن غيره حتى اذا ميزته أثنيت عليه بما فى وسعى وامتدحته جهدي. نعلم جميعا ان الزهرة لا تعيش بغير حب فلو كانت الزهرة واحدة لكان الحب واحداً

غير متعدد ولكن الزهرة زهرتان لا زهرة واحدة والحب
كذلك حبان لا حب مفرد اما أولى الزهرتين وكبراهما فهي
اورانيان وهي بنت اورانوس البكر ولم تلدها والدة والاخرى
صغرى الزهرتين وهي بنت المشترى وديون واسمها باندميان
لاجل هذا كان لكل زهرة من تينك الزهرتين (اورانيان
وباندميان) حب خاص بها فحب الاولى لا يتخلى عنها وحب
الثانية يلازمها على الدوام. وغني عن البيان ان سائر الارباب
خليقة بالمدح والثناء ولكن لكل رب صفات تميزه عن غيره
وقد يعلو قدر البعض على البعض وتعلمون أن كل فعل من
الافعال على الاطلاق هو مجرد بطبيعته عن صفتي الخير والشر
فنحن الساعة في شرب وطرب وسمر وليس في شيء مما
ذكرت صفة تقصيه عن الخير أو تدنيه الى الشر ولكن الحال
التي نشرب عليها أو نطرب بها هي وحدها التي تصبغ الشراب
والطرب بصبغة الخير أو ضده. فما تحسن صنعه بقطع النظر عن
طبيعته يعد خيرا وما تسيء فعله بقطع النظر عن طبعه يعد شرا.
لذلك ليست سائر انواع الحب كلها جميلة أو جديرة بالثناء
انما سيد انواع الحب هو الذي لا نهون به بل يزيدنا عزا

وسؤددا . فالحب اللازم لزهـرة بانديموس هو الحب الذى تعرفه العامة وتهيم به كالبهم لمافيه من الشهوات الدنيئة وهذا النوع خصيص بالطبقات النازلة من البشر. وعبّاد هذا الآله يعشقون الابدان ولا يأبهون للنفوس ويفضلون الجهل على العلم ويستهينون بالشرف والجمال ولا يعملون الا لاطفاء نيران شهوات الجسد وهذا الحب مشتق من الالهة الصغرى التى تجمع فى طبيعتها بين الذكر والانثى أما الحب اللازم لزهرة أورانوس التى لا تجمع فى طبيعتها بين النقيضين هو الحب المذكر الذى يوحى الاخلاص والنقاء ويربأ بنا عن مواطن الاندفاع فيما تسوء عاقبته من الشهوات والفساد. وعباد هذه الالهة يعشقون القوة والجمال في العقل والجسم ويمكن تمييزهم عن غيرهم في ابان صباهم بتعشقهم اصحاب العقول الناضجة والنفوس الصحيحة وامثال هؤلاء مهما طرأ عليهم فى حياتهم من التغير والتقلب فى الخير والشر لا يزالون على سنن عهود المودة والاخاء لا يغيرونها ولا يرضون بها بديلا ولا ينبغى لاحد أن يتعشق الاحداث لانه يستحيل عليه أن يتكهن بما يكون لهم

في مستقبل ايامهم من قوة العقل وضعفه وسمو المدارك وانحطاطها سيما وأن هذا الحب الطاهر اشرف وأرق من أن يوضع في مواضع الشك والارتياب والاخيار يضعون لانفسهم حدودا لايتعدونها في تلك الحال أما الاشرار فلا بد من اخضاعهم لتلك القوانين التي يخضع لها الاخيار ارادوا أم لم يريدوا لان من فعالهم المنكرة وطباعهم المذمومة مايدعو البعض من الواقفين على عيوبهم وقبائحهم الى القول بان القيام على مسرات من يحب وخدمتهم هو من العار بمكان مع أن من يقوم على مسرات محبوبه وخدمته حسبما تقتضيه القوانين المقبولة والعادات المستحسنة لا يكون عرضة للوم مطلقا

أن الحكومات المستبدة الظالمة التي يعيش في ظلالها الوحشيون من البربر وغيرهم تحرم الصداقات بينهم وتمنعهم تعليم الحكمة وتعيب عليهم رياضة الابدان لان كلا من تلك الخلال الثلاث يدعو الى الالفة والمودة بين الرعية وفي نينك النتيجتين من اتحاد المحكومين وقوتهم ما يخشي عواقبه الحكام الظالمون وحقيقة الامر هي أن الحب وحده هو مسبب الالفة

وموجد القوة وقد انفصمت عروة الظلم وانفرجت أزمة الاستبداد بفضل الحب الذى نبت ونما فى قلبي هارموديوس وصاحبه اريستوجيتون ولاريب فى أن الجمعية التى تعتبر فيها خدمة الاصدقاء والسعي في نفع الاحباب عاراً أومذمة يستدل بتلك الحال فيها على فساد نية المقننين واندفاع الحاكمين فى تيار المظالم والمطامع الدنيئة ولا يكون هذا الا اذا كان المحكومون من الجبن والضعف والاستكانة بمكان عظيم، كذلك الجمعية التى تعتبر فيها خدمة الاصدقاء والسعي فى نفع الاحباب أمراً عاديا لا واجبا عظيما تحتمه مكارم الاخلاق وتقتضيه الالفة يستدل بتلك الحال فيها على قربها من كمال الاخلاق وان كانت لا تزال بعيدة عنه ويستدل كذلك بها على عجز الحكام والمتشرعين الذين وضعوا القوانين وسنوا السنن عن بلوغ الغاية التى يستلزمها الود الصحيح والمحبة الصادقة.

وغنى عن البيان أن أشرف الحب ما كان جهراً لا سراً سيما لاصحاب النفوس القوية والعواطف المشتعلة. وأشرف أنواع الحب ما كان لاجل الفضيلة وكمال النفس لا لحسن الوجه وجمال الجسم والحب الشريف يقتضى أن يحرص المحب

على المحبوب ويرعاه ليبقى أبداً طاهر النفس نقى القلب مملوءا بالفضيلة ومما يقتضيه شرف الحب أن نسعى جهدنا فى نيل رضى المحبوب ومحبته وقد عاب الفلاسفة من يحب ويغفل ذلك ولتسهيل بلوغ هذه الغاية أباح العرف للعاشق أن يستعطف معشوقه بوسائل عجيبة لا تخطر بالبال لو استخدمها الانسان فى غير استعطاف محبوبه عرض نفسه لأقسى تأنيب وأشد ذم فلو أن شحيحاً محبا للمال صرف عمره فى جمعه وتكويمه أو طموحا ميالا للحصول على القوة والنفوذ سعى أحدهما الى بلوغ غايته بالاستعطاف والتذلل والغلظ فى القسم كما يغلظ المجنون والرقاد على الاعتاب وتقديم ذاته للعبودية التى لا يطيقها أدنا الرقيق فانه لاشك يبعد ويحرم من نيل غايته باعدائه وأصحابه فان أعداءه يذمونه لتمليقه وأحبابه يلومونه ويتحملون عنه ما يلصق به من العيب ولكن اذا كان عاشق يفعل كل تلك الفعال فانه يكون منه مقبولا ولا يخشى على كرامته وشرفه ويقال ان الارباب تصفح عن العاشق اذا حنث فى يمينه . ولو أنه أقسم بالزهرة . وذلك كما صرحت قوانيننا فان الارباب والبشر تمنح العاشق أعظم ما يمكن من

العفو والرحمة.

ان المسألة على ظني هي كما قلت سابقا فالحب لا يمكن أن يعتبر بذاته شريفاً أو غير شريف فاذا كانت طريقه شريفة فهو شريف وان كانت الطريق غير شريفة كان الحب كذلك. لانه مما يحط من القدر خدمة الادنياء كما أن خدمة الشرفاء تعلي القدر. فالعاشق البندي الذى يحب البدن ويفضله على النفس لا قدر له ولا ثبات له ولا بقاء لحبه لانه وقف حبه على الشيء الزائل. لانه اذا ذوت زهرة الشكل التى كانت غاية حبه فانه يتصرف ولا يعود غير مربوط بعهد ولا ميثاق غير خجل من الخلف فى وعوده. أما محب الخلال الفاضلة فانه يثبت مدي الحياة لانه وضع نفسه بانسجام ورغبة مع الشيء الثابت الذى لا يحول. هذان النوعان من الاشخاص ينبغي التمييز بينهما باحتراس فنعاشر الواحد ونخدمه ونبتعد عن الآخر ونذمه

وكذلك يعدون من قلة الشرف الوقوع فى الحب مباشرة لئلا لا يكون الوقت كافيا للتحقق من حقيقة المحبوب والتأكد من خلقه كذلك من المخل بالشرف أن يجذب

الشخص بالمال والقوة أو أن يخشى السب فيترك الحب.

ان لنا رأيا متعلقا بالعشاق مؤداه أنه لا يكون من الذل أو الخجل أن يقوم العاشق بأنواع الخدمة وأن يذل لاجل المعشوق ورأينا فى ذلك كرأى من يقاسى الالم والهوان لاجل الفضيلة. كذلك نحن لا نعتبر ذلا أو هوانا خضوع الرجل ليتعلم العلم أو ليتصف بالفضائل كذلك نحن نعتبر مذلة العاشق مفخرة لان غايتها كغاية الذل فى سبيل الفضيلة اذا كان العشق يعتبر شيئا جميلا. لانه عند ما يبلغ العاشق والمعشوق نقطة واحدة تتميز حال كل واحد منهما فالاول يقدر أن ينمى عقل صاحبه ويساعده على كسب الفضائل والثانى لا يزال طالبا للعلم والنور فباجتماع هذه الشروط دون سواها ينبغى للمعشوق أن يعطى حبه للعاشق. ففى هذه المذلة لا يوجد عار حتى اذا خدعنا وهزمنا فى الحصول على غايتنا مع أن كل هزيمة فى غير ذلك تعد عاراً سواء كنا مخدوعين أو غير مخدوعين.

وعلى هذه القاعدة اذا تطلب احدنا صداقة آخر اعتقاداً منه أنه فاضل رغبة منه أن يصير بقربه كذلك فاضلا مثله ثم يكشف له انه كان مخدوعا لان صاحبه لا قدر له ومجرد عن

الفضيلة فان مثل هذه الخديعة يعد من الشرف . لان هذا الطالب قد وضع نفسه موضع الذل فهو يتحمل أى ألم ليكون فاضلا وحكيما وهذه حال من حالات النفس الجميلة السامية

هذا هو الحب الذى يعبد آله ارانيا وهو اورانى النوع وهو اصل انواع الخيرات للحكومة وللافراد وبتأثيره يصير المشاق فضلاء وعدا هذا من انواع الحب الاخري فهي من عباد فينوس بانديموس . هذا هو ما اردت أن اقوله عن الحب دون استعداد يافيدروس ثم سكت بوسانياس .

(اريسطوديمس لرفيقه) ثم جاء دور اريستوفانوس ولكن يظهر انه كان مصابا بسعال يعوقه عن الكلام فالتفت الى اريكسيما كوس الطبيب الذى كان مضطجعا بجانبه وقال له يااريكسيما كوس من العدل أن تعالج سعالى أو تتكلم مكانى الى أن يزول فقال اريكسيما كوس سأفعل الامرين جميعا فاتكلم فى دورك حتى اذا خف سعالك وجاء دورى أتكلم . وطريق العلاج هي أن تكتم التنفس قليلا فاذا لم يزل فتمضمض بقليل ماء فاذا لم يزل فخذ منها للخياشيم فتعطس وافعل هذا مرة أو مرتين فيزول السعال مهما كان قويا فقال اريسطوفانوس سأتبع نصيحتك اثناء

كلامك. ثم بدأ

(اريكسماكوس) — حيث أن بوسانياس بدأ خطابه ببراعة ولكنه لم يفه حقه ولم يحسن ختامه فسأكمله واملأ الفراغ الذى تركه لقد احسن فى تعريف الحب بقوله أنه ذو طبيعتين . فقد علمنى علم الطب الذى اقطعت له أن الحب الذى يدفعنا نحو ذوى الجمال ليس موجودا فى نفوس الناس فقط بل فى سائر المخلوقات فما اقوى واعجب هذا الاله السائد على الارباب والبشر ! ولتشريف حرفتى سأبدأ بسرد ادلة من الطب. أن طبيعة البدن تحتوى على هذين النوعين من الحب لان السليم والمريض من اعضاء البدن لا يستويان وحب البدن السليم غير حب السقيم ومن الشرف تمجيد الاجزاء الطيبة السليمة فى الجسم وفى هذا مهارة الطبيب وعلم الطب قائم على معرفه اماكن علاقات الحب فى الجسم الانسانى والحكيم الحاذق هو الذى يستطيع وضع الحب حيث لا يوجد وطرده من حيث يوجد دون حاجة اليه وعليه كذلك أن يبدل تنافر العناصر فى البدن بشوق فان أشد العناصر معاداة لبعضه البعض هو ماكان مختلفا على خط مستقيم مثل الحرارة والبرد والمرارة والحلاوة

واليبوسة والرطوبة . وقد روى لنا الشعراء أن ايسكاليبوس والد الاطباء الاعلى قد كون علم الطب بعد أن عرف سر التوفيق بين العناصر المختلفة

ان الرياضة البدنية والزراعة والطب كلها سائرة تحت نفوذ الحب وبفضله وكذلك الموسيقي وهذا الذى اراده هيراقليطس بقوله « واحد مخالف لذاته فى الظاهر الا أنه متفق مع ذاته كانسجام العود والوتر » أنه من الخطأ المحض القول بان الانسجام يختلف اوانه يوجد بين اجسام مختلفة ولكن ربما اراد هيراقليطس أن الاصوات التى كانت تختلف فى اول الامر مثل الحاد والثقيل ثم اتفقت بعد ذلك فنتج الانسجام طبقا لفن الموسيقي لانه لا يمكن صدور الانسجام عن الحاد والثقيل اذا اختلفا . والانسجام هو التوافق والتوافق هو الالتئام والاتحاد والاتحاد لا يمكن أن يوجد بين الامور المختلفة مادامت مختلفة فلا يوجد اذن أنسجام بين الاشياء غير الملتئمة . أن الاوزان فى التوقيع تنتج عن السريع والبطئ فانهما يفترقان أولا ثم يعارضان بعضهما ثم يتم الاتحاد بينهما وهكذا علم الطب والموسيقي فانهما يوجدان وفاقا بين الاشياء فينتج عنهما الحب

والاتحاد بين الاشياء المتخالفة .

فغاية الموسيقي اذن معرفة مايتعلق بالحب في الانسجام والنظام وفي نظام الانسجام والوزن يسهل تمييز الحب والحب المزدوج لا يمكن تمييزه في الموسيقى ولكن ينبغي استعماله في خدمة البشر بواسطة النظام والانسجام وهذا ما يسمى بالشعر وتأليف الانغام أو باستعمال الاغاني والاوزان والاصوات الموجودة استعمالا صحيحا وهـذا مايسمي بالترتيب فيمكن تمييز كل واحد من هذه بفضل حذق المتفنن . والحب الفاضل ينبغي تكريمه وحفظه مراعاة لجانب أهل الفضيلة ولاجـل أن تتحسن طبيعة الاشرار بروحه . هذا هو الحب الاراني الجميل العابد لوحي أران . أما الحب البندعي فهو عابد بوليهمينا الذي يجوز أن نخضع له للحصول على اللذة دون الانغماس فيه كما يجوز بناء على حرفة الطب ان نتمتع بملاذ المائدة دون أن نعرض أنفسنا للعلل . ففي الموسيقي والطب وفي غيرهما من شؤون البشر والارباب ينبغي تمييز هذين النوعين من الحب فان فصول السنه كذلك مؤلفة طبقا لهذه القاعـدة . لانه كلما امتزجت الحرارة والبرودة واليبوسـة والرطوبة

بالحب الطاهر واختلطت بانسجام بالفصول فأنها تجلب النضج والصحة للبشر ولسائر أنواع الحيوان والنبات فاذا ساد الحب الخبيث على فصول السنة ساد الخراب وعم التلف فينتشر الوباء وتصاب الكائنات بانواع الامراض والسقام ويتلف القمح وتسقط الندوة وتهلك الثمار وهذا ناشىء عن الحب المضطرب الذي يجذب فصول السنة بعضها نحو بعض وحركات هذه الفصول وعلم الكواكب اسمها علم الهيأة. ان كل التضحيات والاشياء التي يوجد فيها التخمين (لان هذه الاشياء هي الرابطة بين الله والناس) ليست الاعلم الاحتفاظ بالحب وتنظيمه لان الكفر يظهر اذا لم يعبد الناس الحب الطاهر ولم يخدموه بالاعمال الصالحة. فغاية التخمين هي التمييز بين هذين النوعين من الحب واصلاح آثار كل منهما فالتخمين هو سبب الصداقة بين الارباب والناس وهكذا كل نوع من الحب يملك قوة عظيمة واسعة لاحدلها ولكن الحب الذي يحث على اكتساب غايته بالفضيلة والحكمة يملك الملك الاوسع ويمد لعابديه أعظم السعادات من طريق الشفقة المتبادلة بينهم ومن طريق الخير الذى تستمطره عليهم من

الارباب؟

يجوز انى نسيت أشياء كثيرة في ثنائي على الحب ولكن هذا شأنك ياارسطو فانوس وعليك ان تملأ الفراغ الذى تركته أو تقول قولا آخر لتكريم الرب لان سعالك قد زال ·

(اريسطوفانوس) — (بعد ممازحة وجيزة)أردت ان يكون مقالى مخالفا لما قال بوسيانوس واريكسماكوس يظهر لى أن البشر لم يفقهوا الى الآن معنى قوة الحب فلو فقهوا لملأوا الارض معابد وهيا كل يقدسون ذكره فيها ويقدمون له الضحايا ويقيمون له أجل وافخم الرسوم والشعائر لان الحب هو أحق الارباب بالعبادة ولما يعبد . وهو أصدق الارباب للبشر وهو آسى الجراح التى يكون علاجها أعظم سعادة لبنى الانسان وسأحاول ان اشرح لكم قوة الحب الحقيقية ويمكنكم ان تنقلوا هذا القول عنى لغيركم

ينبغي لكم أولا أن تعرفوا طبيعة الانسان والحوادث التي مرت عليه . لان طبيعته كانت فى قديم الزمان مخالفة لما هي عليه الآن . فى بداية الامر لم يكن النوع مقسما الي

جنسى الذكر والانثى بل كان جنس ثالث مشتركا بينهما ولا يزال اسمه موجوداً وان كان الجنس ذاته قد فنى وكان هذا الجنس المشترك أو الخنثى يشبه فى شكله المرأة والرجل معاً وفى المهد الذى أشير اليه كان شكل الانسان مستديراً وكان الظهر والجانبان ملتصقين باستدارة ولكل جزء أربعة أذرع وأربعة أرجل ووجهان مركبان على عنق مستدير وأربعة آذان مع كل ما يمكن قياسه على هذا النظام وكان هذا الجنس البشرى يسير مستقيما فى أية جهة شاء وكان اذا أراد الاسراع يستعمل أيديه وأرجله ويتحرك حركة دورية سريعة أما سبب وجود هذه الاجناس الثلاثة فراجع الى أن الذكر جاء من الشمس والانثى من الارض وهذا الجنس الثالث من القمر والقمر جرم له طبيعة مخنثة لذا كان مستديراً مشابهة للقمر . وكان هذا النوع قويا مملوءاً بالافكار السامية وأفراده أول من حارب الارباب وما رواه هوميروس عن افيلاتوس واوتس من أنها حاولت الصعود الى السماء لخلع الارباب وازالها عن عروشها كان لا شك متعلقا بهذا النوع . وقد تشاور چوبيتر ومن معه من الارباب فيما ينبغى عمله فى مثل هذه الازمة

لأن الأرباب لم تكن تريد اهلاك هذا النوع لئلا تحرم من الضحايا التي كان يقدمها ولم تكن كذلك لتصبر على وقاحتهم وتعنتهم وكفرهم فطلب المشتري أن يسود السكون ليتكلم ثم قال — : أظنني وجدت طريقة لاضعاف الجنس البشري وتقليل وقاحته دون أن نشرع في هلاكهم فسأشق كل واحد منهم نصفين وبذا يضعفون جميعاً ولكن يبقى نفعهم لكثرة عددهم وسيسير كل واحد منهم على قدميه مستقيما فاذا أظهروا وقاحة بعد ذلك فسأشق كل واحد نصفين فيسير كل على رجل واحدة وقد ألحق القول بالفعل وشق كل انسان شقين كما يشق بعض الناس البيضة بشعرة . ثم طلب الى ابولون ان يأخذ كل واحد ويديره أثناء عملية الشق نحوها ليراها ويعتبر ويخضع ثم يعالجه فكان أبولون يدير الوجه ويسحب الجلد على ما نسميه الآن بطنا ثم يربطه من الوسط وهذا ما يسمى بالسرة ثم انه أخذ في معالجة الصدر بأداة تشبه الاداة التي يصلح بها صناع الاحذية الجلد . ثم ترك بعض الثنايا في البطن لتدل على ذلك التاريخ القديم وبعد تلك العملية كان كل نصف يريد الاتصال بنصفه الآخر فيلقي أحدهم بذراعيه حول النصف الآخر

مؤملا أن يعودا الى ما كانا عليه ثم أنهم عزموا على أن تغتصب الانصاف فلا تقوم بعمل ما دون النصف الآخر فماتوا جوعا وضعفا . فكان الذى يبقى بعد نصفه الآخر يضمه الى صدره ان كان امرأة أو رجلا ويبقي هكذا الى أن يلحق به فلما رأى المشترى ذلك أشفق عليهم وفكر فى حيلة أخري وهى التي ينتج منها النسل بعد انضمام الرجل للمرأة ومن هـذا التاريخ وجد الحب المتبادل بين أفراد النوع وهو الموفق بين طبائعهم الاصلية الذى غايته جعل الاثنين واحداً وتخفيف هول المصاب على الانصاف المنشقة . فكل واحد منا هو نصف ناقص لواحد كامل وغاية كل منا هى البحث عن نصفنا الآخر (١) فالشخص الذى وصفته يكون على الدوام محبا صادقا وصديقا مخلصاً فرحا بما يوافق طبيعته فعنـد ما يلتقي هـذان النصفان فيرتبطان برابطة الحب السابق وبرابطة الحب والرغبة وحاجة الاجتماع لا يريد أن ينفصل أحدهما عن الآخر ولو لحظة هؤلاء هم الذين يعطي كل واحد منهـم حياته للآخر بشوق

---

(١) يقول الرجل الانجليزى عن امرأته أنها Hisbetterhalf أي افضل نصفيه .

ولوعة لا طائل تحتها للحصول على شيء لا يفهمونه لأنه ليس فقط حرصهم الحسي باختلاطهم الذى من أجله يهب كل واحد منهم ذاته للآخر انما نفس كل واحد منهما تظمأ لشيء في الآخر لا يمكن التعبير عنه وتبقى النفس في حيرة بما تطلب وتسود الدنيا في وجهها من شدة ألمها . فاذا قال فولكان لهؤلاء الاشخاص المحبين : يا أيها الناس ماذا يطلب أحدكم من الآخر ؟ فاذا ارتج عليهم فقال لهم ألا تطلبون أشد اتحاد وانفراد بينكم حتى لا يمكن فصلكم بعد ذلك مطلقا . اذا كان الامر كذلك فسأذيبكم جميعا وأعيدكم أفرادا لا يفصلكم فاصل فهل هذا يرضيكم ونحن نعلم انه لا يأبى عليه ذلك أحد بل يعتقد كل أن هذا هو ما كان يتطلب وهو أن يمتزج الواحد بالآخر ويذوب معه ليعودا الي ما كانا عليه وسبب هذه الرغبة أننا كنا فى بداية الامر واحداً فنحن نحب العودة الى الاتحاد . لان انشقاقنا قد أضعفنا فمرانا الاضمحلال كما حدث للارقاديان بواسطة اللاسيدومينان . على اننا لا نزال نخشى عاقبة تمردنا من جديد فنشق نصفين ونبقى كالصور المرسومة على العمدان فينبغى لنا أن نخلص فى عبادة الارباب والتوسل

اليها لننجو من عقابها ونحصل على الاشياء التي يحثنا الحب أميرنا وسيدنا على الرغبة فيها، فان اغضاب الالهة يعد عصياناً لأوامره لاننا اذا حسن سلوكنا نحوها فقد يكشف لنا عن أنصافنا التي نلتمسها ولا نجدها، وهذا حظ يقع الآن للنادرين منا.

فأنا أؤكد أن سعادة الجميع رجالا و اناثاً كائنة فى اتمام غاية الحب، وفى امتلاك كل منا محبوبه وبذا يمكن أن نعود نوعا لطبيعتنا القديمة، فاذا كان فى هذا غاية السعادة فأقرب شيء للسعادة امتلاك الذين توافق طبائعهم وغرائزهم طبائعنا أكثر موافقة والاجتماع بهم.

واذا أردنا أن نمجد الها بصفته خالق هذه السعادة فلابد من تمجيد الحب بأغانى الفرح، لانه فى حالتنا الحاضرة يعضدنا ويساعدنا لدى الضيق، ويعطينا آمالا كبرى فى أن يعيدنا سيرتنا الاولى اذا استمررنا على التقى نحو الآلهة، ويعدنا بأن يهبنا السعادة التامة التي لا يلائم طبائعنا سواها.

هذا يا اريكسما كوس ختام خطابى على الحب »

ثم تلت محادلة فكاهية بين سقراط واجاثون وفيدروس، ثم تكلم الثانى بحسب دوره قال :

(أجاثون) — إن الذين سبقونى قد أثنوا على الحب ثناء عظيما ، هنأوا البشر على ما منحهم اياه هذا الرب من أنواع المطايا والسعادات ولكن لم يقل لنا أحد شيئاً عن حقيقة هذا الرب الذي سبب كل تلك النعم فينبغى أن نعلم أولا ما هى المنح والمطايا التى أعطاها ذاك الاله ، ثم نعرف حقيقة الرب ذاته . . ينبغى أولا حمد الحب ثم ذكر عطاياه . فأقول إنه ولو أن الآلهة كلها سعيدة سعادة أبدية الا أن الحب اذا ساعدنى صوتى على التصريح بتلك الحقيقة الكبرى أسعد الارباب وأفخرها وأجملها . أما كونه أجملها فلانه أصباها وأسرعها زوالا وأنفرها من كل عتيق . وقد قال المثل القديم « شبيه الشيء منجذب اليه » وهو ينطبق على ارتباط الحب بالشباب وأقول ان الحب ليس أصبي الارباب فقط بل ان صباه أبدى .

أما الحوادث التي وقعت بين الارباب ورواها هسيود وبارمينيدس ان صحت فلم يكن الحب دلعيا إليها انما

الضرورة ، لانه لو كان الحب حينئذ في السماء لما حدثت
تلك الجرائم الفظيعة الدموية بل لساد العطف والسلام
اللذان يعيش فيهما الآلهة الآن تحت تأثير الحب إذ أن
الحب صبي فهو لين رقيق وكنا نحتاج الي شاعر مثل
هوميروس ليصف لنا رقة الحب ولطفه فقد قال ذلك الشاعر
إن إلهة النكبات رقيقة واقدامها كذلك لينة هينة لانها لا تسير
على الارض بل على رؤوس الرجال ، ويدلل على لين اقدامها
بقوله أنها تسير على ماهو لين ومثل هذا البرهان كاف لاثبات
لين الحب ورقته لان الحب لا يسير على الارض ولا على رؤوس
الرجال وما هي باللينة ولكنه يسكن ثنايا الاحشاء ويسير على
ألين الاشياء وقد جعل مقر ملكه نفوس الارباب وقلوب
البشر وهو لا يأوى الى كل النفوس. لانه اذا رأى طبيعة جافة
أو تمسا خشنة فانه ينفر منها ويبتعد عنها ولا يألف الا النفوس
اللينة الرقيقة فلهذا كان أرق الاشياء لانه يلمس بخفة باقدامه
الرخصة العطف جزء من أرق الاشياء وألطفها .

فهو إذن أصبي الارباب وألطفها وأكثرها ليناً وسيولة
ولو كان غير ذلك ما أمكنه أن يلتف حول كل شيء ويفيض

في كل نفس فالسيولة والفيضان من طبيعته المنتظمة لانه يبادي كل ما كان منشوها . ويقضي حياته بين الزهور وهذا سبب لين جلده وجماله لانه لايطوف الا بالنفوس التي لايزال عطر زهورها عابقاً هذا فيما يتعلق بجمال الحب فلنتكلم الآن عن قوته وفضيلته : ان أحسن صفاته انه لايسبب الاذى ولايحتمله في علاقته بالارباب والناس . واذا تألم من شيء فليس سبب ألمه الشدة أو القسوة كذلك هو لا يفعل شيئا فيه قسوة أوشدة لان كل انسان يفعل ما يأمره الحب بمحض ارادته ورغبته وكل مايمنحه الحبيب محبوبه يكون بمحض ارادته وهذا تبيحه القوانين التي هي ملوك الجمهورية

وفضلا عن العدل فان الحب في غاية الاعتدال لانه اذا كان الاعتدال كون المتصف به يترفع عن الملاذ والشهوات ويقدر على الضغط عليها فالحب الذي لايوجد سرور اشد منه يعد أحلى وأمتع الملاذ ولذا لابد أن يكون اكثر الاشياء اعتدالا . ان المريخ لايمكنه ان يفاخر الحب في الشجاعة والقوة لان المالك اقوى على الدوام من المملوك والذي يغلب اقوى الارباب لا بد أن يكون اقوى منها جميعا ولا يخفى ان حب

الزهرة عتلك المريخ

وبعد الكلام على عدل الحب واعتداله وقوته بقى الكلام على حكمته فأقول : أن هذا الرب شاعر عاقل حتى انه يستطيع ان يخلق شاعرا من رجل لم يكن كذلك لان كل انسان مهما كانت حال نفسه مضطربة قبل الحب فانه بفضل الحب يصير شاعرا . وهذا دليل على ان الحب شاعر وماهر فى هذا الفن حسب قواعد الموسيقى لان ما لا يملكه الانسان أو يجهله لا يستطيع ان يعطيه أو يعلمه سواه ومن ذا الذي ينكر ان الشعر الالهى الذى يخرج سائر الاشياء الحية الموجودة على ظهر الارض ليس منسجما بحكمة الحب . اليس من الثابت ان الحب واضع فنون الحياة التى نعرفها ومن كان الحب معلمه يصير عظيما وكبيرا كما ان من يجهل الحب يبق طول حياته غير ملتفت اليه خاملا . لقد اخترع ابولون الطب والتخمين والرماية مقودا الى ذلك بالرغبة والحب فكان ابولون تلميذ الحب وبواسطته اكتشفت « عرائس الشعر » فنون الادب كذلك تعلم فولكان معالجة المعادن ومنرفا فن النسيج والمشترى سر السيادة التى يمارسها الآن على

الارباب والناس . وهكذا تعلمت الارباب كل فن بفضل «حب الجميل» لانه لايوجد حب نحو الاشياء المشوهة .

في اصل الاشياء حدثت بين الارباب فظائع دعت اليها الضرورة ولكن عندما ظهر هذا الرب بفضل الرغبة التى تجذب العالم دواما نحو كل جميل نزلت البركة على كل من كان في الوجود من الالهة والبشر . يظهر لي أن الحب اجمل وأفضل الارباب وسبب كل المفاخر المركبة في طبيعته . أن الحب هو الرب الذى يخلق السلام بين الرجال ، والهدوء في البحر ، وسكون العواصف ، والراحة والنوم لدى الحزن . الحب تجردنا من البغض ويملأ قلوبنا الخالية بالعطف وهو الذى يجمعنا في الاعياد والافراح والمراقص والولائم . ان الحب تمطر الخير والوداعة على الارض وتفر من وجهه سائر الميول الخشنة وتهلك وهو موجد سائر انواع المودة ومهلك الافكار الرديئة وهو الرحيم الوديع موضع اعجاب العقلاء ومسرة الارباب يملكه السعداء ويشتهيه الاشقياء الذين شقوا لانهم لايملكونه ، والد الامان واللطف والرقة واللين والفرح والرغبة وبه يعتز كل ما كان خيراً ويهلك كل امر سيء وهو افخر

مرشد لنا واحسن مدافع عنا والمحافظ علينا فى تعبنا وخوفنا فى شهواتنا وفى تعقلنا ، زينة كل شيء وحاكم كل شيء ربانى وانسانى وينبغي لكل انسان أن يقتفى أثره مرتلا ثناءه آخذاً بنصيبه فى الانسجام الالهي الذى ينشده الحب طرباً بالاشياء الحيه الموجودة. ومهدئاً العقول المتعبة لدى الارباب والناس .

هذا ما اردت أن اقول فى الثناء على الرب .

وبعد مناقشة قصيرة بين سقراط وأزيكسماكوس وفيدروس بدأ سقراط العظيم خطابه فقال :

(سقراط) — أنني اثني يا اجاثون الحبيب على بداية مقالك حيث ذكرت أنه يجب أن نعرف أولا طبيعة الحب ثم نعرف اعماله وهذا نظام أوافق عليه وحيث انك استمتعتنا مقالا جميلا بليغا عن الحب فانك لاريب قادر على أن تجيبنا على هذا السؤال وهو هل الحب هو حب شيء أو حب لا شيء . فقال اجاثون انه طبعا حب شيء ... قال سقراط اذكر لى هل الحب يشتهي الشيء الذى هو موضعه قال اجاثون لا شك أنه يشتهيه . سأل سقراط فاذا كان يملك الذي يشتهيه فهل يحبه . قال اجاثون أظن يشتهيه ويحبه اذا كان لا يملكه . قال سقراط :

لاحظ اذن ان الرغبة تشتهى ماتطلب ولا تملك ولا تشتهى الا ما تطلب . فهل يريد من صار شهيرا أن يصير شهيرا من جديد وهل يريد القوى أن يكون قويا؟ فاذا شاء الصحيح أن يكون صحيحا والقوى أن يكون قويا ينتج من هذا انهما لا يزالان يشتهيان منافع أمور يمتلكانها فلو فرضنا أن شخصا يملك تلك المنافع فهل يمكن أن تكون هي غاية رغبته ولو ان شخصا غنيا يقول أريد أن اكون غنيا فلتقل له انك غني ولا معنى لطلب ما هو لك وانما يمكنك ان تطلب استمرار تلك الحال . وينتج من هذا أنك عند ما تشتهي شيئاً تملكه انما تريد بذلك دوام الامتلاك . اليس الحب حينئذ هو حب ما ليس فى وسعنا الحصول عليه كذلك حب ما لا يمكن استبقاؤه في المستقبل وان كنا حاصلين عليه فى الحال . فالحب وكل شيء يشتهي شيئا أخر انما يشتهى ما هو غائب وبعيد عنه أى الشيء الذي ليس له ولا يخفي ان الشيء الذى يشتهى شيئا آخر لا بد ان يكون مغايراً له . هذه هي الاشياء التي تحب وتشتهى . ان الحب يحب ما يشتهي ولكن لا يمتلكه فالحب يطلب ولا يمتلك الجمال فهل يسمى جميلا ما يتطلب الجمال ولا يمتلكه؟

قال اجاثون: كلا . قال سقراط اذن هل تؤكد ان الحب جميل بعد ان سلمت بكل ما سبق ؟ لقد قلت بان كل خير يعد جميلا فقال اجاثون نعم قال سقراط فاذا كان الحب فى حاجة الي الجمال والاشياء الجميله فهو لاشك كذلك فى حاجة الي الخير . قال اجاثون اننى لا أستطيع أن انقضك ياسقراط .قال سقراط أنك لاتستطيع نقض الحق أما سقراط فانك تستطيع نقضه

ثم ترك سقراط السؤال على طريقته المنطقية وقال (سقراط)— كما قلت ياأجاثون ينبغى لنا أولا ان نتكلم عن طبيعة الحب ثم عن اعماله. قالت لي ديوتيما النبية أن الحب ليس جميلا وليس خيراً انما هو بين الاثنين انه شيطان والشيطان وسط بين الربانى والانسانى فسألتها عن قوته وطبيعته فقالت انه يفسر الاشياء الربانية والاشياء الانسانية ويصل بينها وينقل الصلوات والتضحيات من البشر للارباب ويوصل أوامر الصلاة والعبادة من الآلهة الى البشر . وهو يملأ الفراغ بين هذين النوعين فيربط بقوته سائر الكون وبفضله بقي التخمين والوحي والعلم المقدس والتكفير والتنبؤ والسحر والطبيعة

الربانية لا يمكن أن تتصل مباشرة بالطبيعة البشرية فكل مايعطيه الارباب للناس بفضل الاختلاط والمواصلة فى نومهم وفى صحوهم هو نتيجة تداخل الحب . والعارف بعلم الاتصال يعد سعيداً للغاية وله نصيب وحصة من طبيعة الشيطان ولكن من يعرف فنا أو علما آخر يبقى طول حياته أسيراً عاديا وهؤلاء الشياطين كثيرون ومتعددون والحب أحدهم

فسألتها من ولد الحب فقالت ديوتيما ان هذا تاريخ طويل ومع ذلك فسأشرحه لك ، عند ما ولدت فينوس أقام الارباب عيداً وبين من حضروه «الوفور» ابن متيس . فبعد العشاء رأت «الحاجة» تلك الغزارة العميمة فجاءت تسأل ووقفت بجانب الباب وكان «الوفور» قد سكر من شرب الرحيق لان النبيذ لم يكن قد اخترع بعد فخرج الى حديقة المشترى ونام نوما عميقا فأرادت الحاجة أن ترزق من الوفور بغلام لضعف حالها فرقدت بجانبه وأغرته فضاجعها فولدت الحب ...

فالحب هو خادم فينوس لانه حمل فيه فى عيد مولدها ولانه بطبيعته محب لكل جميل وكانت الزهرة جميلة . ولما كان الحب هو ثمرة وصال الوفور والحاجة فحظه مثل حظ والديه

فهو فقير على الدوام وبعيد عن الرقة والجمال على عكس ما يتخيله البشر بل هو قذر وممزق الثياب ويطير على مقربة من الارض ولا مأوى له ولا حذاء يقتمله وينام بلا غطاء امام الابواب وفى الطرق التي لا يحميها ستار وهو فى تلك الامور كلها تابع لطبيعة امه وهو على الدوام رفيق الفقر أما نصيبه من طبيعة ابيه فظاهر فى انه على الدوام يفكر في الحصول على الاشياء الجميلة الصالحة لا يخاف وهو شديد وقوي وفى الصيد ماهر وعلى الدوام يدبر حيلة جديدة وهو فى غاية الحذر والاحتراس وغني بالافكار والوسائل وهو طول حياته حكيم وساحر وسفسطائي. وحيث أن طبيعته ليست خالدة وليست فانية فهو فى اليوم الذى يفوز فيه ويساعده الحظ يزهر ويزهو ثم يموت ثم يعود الى الوجود كما هي طبيعة ابيه وكل ما يكسبه يفيض عنه فالحب ليس غنيا ولا فقيرا وهو في برزخ بين العلم والجهل. ان الارباب لا تتفلسف لانها حكيمة والحكيم لا يتفلسف لانه مكتف بحكمته كذلك الجاهل لا يتفلسف لانه لا يتطلب الحكمة لحسن ظنه بنفسه . انما اوساط الناس هم المتفلسفون كذلك الحب يتفلسف لانه بين العلم والجهل ولان الحكمة من

أجمل الاشياء والحب يظما لكل جميل لذا هو محب للحكمة
ولان الحكمة فى موضع وسط بين الجهل والعلم وسبب
ذلك ظاهر فى نسبه فهو ابن والد غنى عاقل وام فقيره جاهلة

قالت ديوتيما هذه هى طبيعة الحب الشيطانية ياسقراط
وقد خلطت الحب بالمحبوب الذي هو وحده الجميل الرقيق
اللطيف واطلقت صفات المحبوب على الحب . قلت لها ايتها
النبيلة الغريبة أن فى كلامك روح الاقناع فأذا كانت هـذه
هي طبيعة الحب فماذا يستفيد منه البشر ؟ فقالت ان الحب
هو حب الاشياء الجميلة . فأذا سألنا احد لماذا كان الحب هو
حب الاشياء الجميلة ؟ (وبعبارة اخرى ما ذا يحب العاشق فى
الشيء الجميل الذي يعشقه فالجواب فقلت لها انه يحب امتلاكه
فقالت وماذا علك الذى يمتلك الشىء الجميل. فقلت لها لا يمكننى
أن أجيب لساعتى . فقالت ولو بدلت الجميل بالخير فماذا يحب
العاشق في الشيء المحبوب ذلك الذي يحب الخير. فقلت يحب
امتلاكه فقالت وما ذا علك اذا امتلك الشيء الخير فقلت لها
إن الجواب سهل وهو انه يمتلك الشيء الصالح فيكون سعيد
فقالت اذن الناس تسعد بالامتلاك ومن العبث أن أسألك

عما يطلب ذاك الذى يطلب السعادة لان الجواب فى السؤال
ولكن هل تظن أن هذه الرغبة عامة لدى كل الناس وأن كلهم
يطلبون أن يكون الشيء الخير ملكا لهم وحاضراً لديهم دواما.
فقلت لها نعم أن هـذه الرغبة عامة قالت إذن لماذا لا نقول
ياسقراط أن كل الناس يحبون اذا كان الجميع يحبون شيئاً
واحـداً ولكننا نقول ان البعض يحبون والبعض لا يحبون
فقلت لها نعم انى أعجب لهذا ولا أحير جوابا !

فقالت ديوتيما لا تعجب لاننا اخترنا نوعا واحـداً من
الحب وأطلقنا عليه الاسم العام الشامل لكافة الانواع. فقلت
لهـا اضرب لى مثـل تعميم إسم شيء خاص قالت الشعر انه
اسم عام يدل على كل سبب يخرج بواسطته شيء من لا شيء
فممارسة اية صنعة اختراعية يعد نوعاً من الشعر وكل أرباب هذه
الصنائع والفنون هم شعراء ولكن لا يطلق عليهم اسم شعراء
انما يعرف كل واحد منهم باسم خاص به وقد فصل من هذه
الانواع النوع المتعلق بالموسيقى والوزن وأطلق عليه الاسم
العام للجميع ولا يطلق اسم الشعر على غيره ولا يسمى شعراء
الا من يمارسونه كذلك الامر فى الحب فان الحب بمعناه

العام هو الرغبة الصادقة في إمتلاك السعادة وامتلاك ما كانت صفته الخير . وهذا هو أعظم وأرق حب يسكن قلب الاحياء. أما الذين يلتمسون هذه الغاية بواسطة اكتساب الغنى أو ممارسة فن الجمنسطيق (١) أو الفلسفة فان كلا منهم لا يعشقون ولا يسمون عشاقا انما هناك نوع واحد من العشق يطلق عليه هذا الاسم ومن يمارسون هذا النوع يسمون عشاقا وهم الذين يلتمسون الوصول الى الرغبة العامة بواسطة نوع واحد من الحب وهو النوع الذى يعرف بالاسم الذي يطلق على الانواع كلها فيؤكد البعض أن العاشقين انما يلتمسون النصف المفقود انما أنا أؤكد أن الحب ليس حب النصف أو الكل اذا لم يلتق الحب بالخير وحيث ان الناس يقطعون أيديهم وأرجلهم برغبتهم اذا كانوا يظنون أنها مجلبة الشر عليهم. كذلك البشر لا يعززون ذاك الذى في حوزتهم لمجرد كونه في حوزتهم الا اذا أراد البعض أن يقول أن الشيء الخير ملتصق بطبيعته وهو ملك له وأن الشيء الشيء الردىء هو غريب عنه وطارىء عليه وأنه لا يحب الا الشيء الخير. فاذا تقرر

(١) معناه بالحرف عن اليونانية رياضة البدن عاريا

ذلك. فهل نستطيع ان نؤكد ان الناس لايحبون الا الخير ؟
قلت بلا ريب قالت ويحبون أن يكون هذا الشيء ملكا لهم
وأن يكون دواما حاضرا لديهم . قلت نعم قالت ديوتيما
اذا كان هذا هو التعريف العام للحب فهل يمكنك أن تقول لي
ماهي أفعال الحب وماهي الطرق التي يصل بها للحصول على
غرضه ؟ فقلت لها لو علمت الاجابة على هذا السؤال ياديوتيما
ما احتجت اليك ولا جيت لحكمتك ولا طلبت سؤالك
للاستفاده فقالت : أن الحب هو رغبة التناسل والتسلسل في
الشيء الجميل فيما يتعلق بالنفس والجسم معا فان كلا من النفس
والجسم للانسان يحمل في ثناياه بذور التناسل فاذا بلغ الانسان
سنا معلومة تدفعه الطبيعة لوضع هذه البذور والطبيعة لا يمكنها
تلقيح المشوه ولكنها تستطيع التلقيح في الجميل . فعلاقة الذكر
بالانثي في التناسل عمل مقدس الهي مع ان الحمل والوضع
عملان خالدان في الفناء . فالجمال هو القضاء الذي يقضي
بالتناسل لاجل هذا كان الشيء المملوء عادة التلقيح اذا دنا من
الشيء الجميل يطير فرحا ويفيض لذة ثم يأخذ في التلقيح والتناسل
ولكنه اذا دنا من الشيء المشوه انقبض من الحزن ثم يقبض

مادة اللقاح عن الشيء القبيح ولا ينتج اما الشخص المملوء
بمادة اللقاح ويكاد يفيض من شدة الرغبة فيكون اندفاعه نحو
الجميل قويا جدا بسبب الالم الذى يحصل له من الامتناع عن
اخراج مادة اللقاح التى يحملها . فالحب ياسقراط ليس اذن
هو حب الجميل قلت لها اذن ماهو قالت هو حب التناسل
والانتاج في الجميل . قلت لهـا لمـاذا التناسل ؟ قالت لانه
شيء خالد في الفناء. لا ينتج بالضرورة مما قلنا أننا لا نطلب الخير
فقط انما نطلب بقاءه ملكا لنا الى الابد فالحب هو اذن رغبة
الابدية. ثم قالت لى ديوتيما ماذا تظن ياسقراط سبب هذا
الحب وهذه الرغبة الا ترى كيف ان انواع حيوانات الارض
والهواء اذا أصابتها رغبة التناسل تصاب بشبه داء يدفعها أولا
الي الاختلاط الجنسي. فاذا اختلطت استمرت فى جهاد عنيف
للحصول على غذاء لذاتها ولنسلها فيحارب ضعيفها قويها بل
تفضل الفناء على ترك نسلها فريسة للجوع فاذا قلنا ان البشر
يفعلون هذا بعامل العقل فهل تعرف بأى دافع يفعل الحيوان
هذا اذا أصابه الحب قلت لا قالت ان الطبيعة الفانية تلتمس
الخلود بكل الوسائل ولا يمكن اتمام هذا الا بالتناسل الذى

يوجد فرداً جديدا مكان القديم لان الانسان وان كان يظن أنه هو ذاته لايتغير الا أنه يتغير عدة مرات في حياته بالتغير الذي يصيب الشعر واللحم والجسم كله . وليس هذا التبديل قاصرا على جسم الانسان بل هو أيضا يمس الروح فان خلاله وآراءه ورغباته وأحزانه ومخاوفه كلها تتبدل وبعضها يموت ولا يبقى له أثر ويتلوها غيرها والاغرب من هذا أن معرفة الانسان ذاتها تتجدد كذلك كل شيء من أفكارنا تحدث له الثورة ذاتها. وإنما يسمى بالتأمل أو تمرين الذاكرة انما هو علم فرار الذاكرة أو رحيلها لان النسيان هو خروج المعرفة والتأمل يدعو الى الذهن ذاكرة جديدة غير التي ذهبت فيحتفظ بالمعرفة ويستبقيها فالمعرفة مهما تغير مكانها وتحولت فهي هي على الدوام وبهذه الطريقة يحتفظ بكل شيء وليس معنى هذا انه ثابت وخالد مثل الشيء الرباني انما هو يترك في مكان الشيء القديم الفاني شيئا جديدا يشبهه وبهذه الوسيلة ياسقراط يكون للجسم والاشياء الاخرى نصيب في الخلود اما الشيء الخالد فخالد بمعنى آخر. فلاتندهش اذا رأيت

كل شيء بطبيعته يعتز بما ينتج عنه لان هذا الحب الصادق هو تعلق باذيال الابدية . فقلت لها يا أيتها الحكيمة هل هذا الذي قلت صدق ؟ قالت، كأنها فيلسوف مغالط، اذا نظرت الى حب المجد وتفاني الرجال في سبيل العلا أدركت كل ماقلت لك وعلمت السر في حب الخلود وبقاء الذكر . ان من كانت ابدانهم وحدها محملة بعنصر الخلود يجذبون نحو النساء ويبحثون بواسطة انتاج الاولاد عما يتخيلون فيه السعادة والبقاء والذكر الخالد ولكن الذين تحمل نفوسهم أكثر من اجسامهم تراهم يلدون ويضعون ماهو اكثر ملاءمة للنفس. وماهو الملائم للنفس ؟ هو الذكاء وكل قوة اخرى من قوى العقل وكل لذة يوجدها الشعراء والمتفننون المتعلقون بفنون الاختراع والخلق واعظم انواع الحكمة هي التي تنظم الحكومة وحياة الاسر وهي المسماة بالعدل والاعتدال فمن يشعر منذ صباه بان نفسه حامل بهذه المفاخر فهو رباني النفس فلما يحين الوقت يريد ان ينتج ، فيهم ليبحث عن الجميل الذي يمكنه ان يضع فيه ما هو حامل. لانه ليس هناك تناسل في المشوه فهو يضم الاجسام الجميلة طائعا للمبدأ الذي في نفسه والذي يريد على الدوام الخلود

والبقاء فاذا لقى مع جمال الشكل نفسا جميلة كريمه لطيفة فهو يضم الاثنين معا ويبدأ بتهذيب موضع حبه ثم توحي اليه رغبة شديدة فى ان يصرح بما هي الفضيلة وماذا ينبغي أن يكون عليه ذاك الذي يريد امتلاكها وما هي الواجبات التي تقتضيها لانه بمجرد اختلاطه بالشيء الجميل ولمسه يضع ما كان يحمله منذ صباه ويغذى ويهذب الذي يخرج منه مع موضع حبه الذى لا تنفصل صورته عن ذهنه فى غيابه أو فى حضوره ولهذا كان الذين يتحدون على هذه الصفة يكونون مرتبطين برابطة أقوى وحب أعظم لكونهم يخلفان نسلا أعز واجمل من نسل الازواج الاخرين . وكل من يفكر فى النسل الذى تركه هوميروهسيود وغيرهما من كبار الشعراء وفى أن هذا النسل هو مصدر ذكراهم الخالده وشهرتهم الدائمه أو ينظر الى بنات نفس ليكرجوس أو الى القوانين التي خلفها صولون وفى الاعمال الكبرى التي تركها العظماء في بلاد اليونان وفى بلاد البربر أثراً وعهداً للحب الذى كان بينهم وبين الجمال يفضل أن يكون والداً لمثل هؤلاء الاطفال دون الاطفال الذين يولدون فى شكل انسانى لان الشرف الالهي والثناء الانسانى عادا عليهم

من مثل هؤلاء الاطفال ولكن لم يعد عليهم شيء منهما بسبب الاولاد الآدميين !

ان الذى يتوق الي الحب الحقيقي ينبغي له منذ صباه أن يسعى فى الاتصال بالاشكال الجميلة ثم يجعل شكلا واحدا جميلا موضعا لحبه ثم يلقحه بالمفاخر العقلية ثم عليه أن يعتقد أن الجمال اينما حل هو شقيق الجمال فى أى شكل آخر فاذا كان واجبه أن يتقصى أثر الجمال فى الاشكال فيكون من الجهل أن لا يعلم أن الجمال واحد وان تعددت الاشكال فيطفيء قليلا من جذوة تعلقه بشكل واحد ليقف حبه على سائر الاشكال ثم هو كذلك يعتبر جمال النفوس ارقى من جمال الابدان فاذا وجد شخصا ذا نفس جميلة ولكن زهرتها ذوت فان ذلك لا يمنعه عن وقف حبه وعنايته على هذا الشخص واتخاذه رفيقا لانتاج الأشياء الجميلة التى تحملها نفسه ثم يكون واجبه أن يهذب هذا الشخص فيبدأ بتعليمه العلم ليرى فيه جمال الحكمة وبذا يتأمل فى الجمال فيتخلص من رق عبادة الجمال والحب فى شكل خاص بل يلتفت بعين نفسه الى محيط الجمال العقلي فيستخرج بجمال الاشكال التى يراها ما كان كامنا فى نفسه من افكار الحكمة

فاذا قوى واشتد يشتغل بعلم واحد وهو علم الجمال العام .

ومن تعلم وتهذب فى الحب الى هذه الدرجة بتأمله فى الاشياء الجميلة بالتدريج وحسب ترتيبها الوجودي فقدحصل الآن على غاية الحب ويرى فوراً وفجأة نوعا من الجمال عجيبا في طبيعته وهذا هو الجمال الذى لاجله تكبدت كل هذه المشاق . وهذا الجمال خالد ولايمكن انتاجه ولايمكن اهلاكه ولا يمكن زيادته ولا نقصه وهو لايشبه الاشياء الاخرى فى أنه جميل من جهة ومشوه من جهة أخرى وليس جميلا بالنسبة لشيء ومشوهاً بالنسبة لشي آخر وليس هو جميلا هنا ومشوها هناك وليس جميلا فى اعتبار انسان ومشوها فى اعتبار انسان أخر ولايمكن تصور هذا الجمال للذهن كتصور جمال الايدى والوجه أو أى عضو من البدن أو تصوره كجمال علم من العلوم . وليس له وجود معين وليس فى الارض أو فى السماء أو في مكان آخر ولكنه على الدوام ذا شكل واحد ثابت لا يتغير ملائم لذاته

وكل الاشياء الاخري جميلة بواسطته مع فرق واحد وهو انها عرضة للانتاج والهلاك ولكنه ليس عرضة للزيادة

والنقص وهو ممتزج بالحقيقة ذاتها . فهو يخرج الفضيلة ذاتها ويتغذى بها ويصبح عزيزاً لدي الارباب فاذا صحت هذه النعمة لبشر كان هو لاشك خالداً غير فان

هذا هو يافيدروس ما قالته لي تلك النبية الغريبة وقد اقتنعت بقولها فشغلت نفسي من ذلك الحين باقناع الآخرين بأنه لا يوجد رفيق غير الحب لايجاد الاتصال بين الخلود وبين طبيعتنا البشرية الفانية لذا اطلب من كل منكم أن يكرم الحب ويشرفه ولهذا أنا الآن احمد الحب على قدر استطاعتي وهذا المقال الذي قلته هو هدية وثناء وصلاة مني الي الحب . »

***

فاثنت الجماعة على خطاب سقراط وهم أريسطوفان بابداء ما عن له بشأن ماورد على لسان سقراط متعلقا به واذا بباب الدخول يقرع قرعا شديدا ثم استأذنت عليهم جلبة تشبه جلبة السكارى المعربدين في صحبتهم زمار . فقال اجاثون لخدمه « اذهبوا ياغلمان وانظروا من الطارق فان كانوا من أصدقائنا فرحبوا بهم وإلا فاخبروهم انا فرغنا من الشراب » وبعد ذلك بلحظة سمع المجلس صوت السبياديس في المدخل

وهو على أشد ما يكون من السكر يزأر قائلا :

أين اجاثون ؟ خذونى اليه ! فاخذ الزمار وبعض أصدقائه بيده ووقفوه مستنداً الى دعامة الباب وكان على رأسه اكليل من حبل المساكين والبنفسج وعلى رأسه كمية كبيرة من العصائب فصاح قائلا إحييكم أيها الرفاق انني شربت كفايتي ولكن اذا شئتم ان اشرب معكم فلا مانع فاذا لم ترغبوا في الشراب فانني انصرف بعد تتويج اجاثون لانني ماجئت الا لهذا الغرض أؤكد لكم انني لم استطع الحضور أمس ولكنني جئت الليلة وحول صدغى تلك العصائب ليتيسر لى ان استعين بها فى تتويج ذلك الذى استميحكم عفوا اذا وصفته بانه أجمل الرجال واحكمهم اتضحكون من سكرى ؟ أجل انني أعرف انني أقول الحق أضحكتم أم لم تضحكوا ولكن قولوا هل تأذنون لي في الدخول أم لا . وهل تشربون معي ؟

فاظهر اجاثون والجماعة رغبتهم فى دخوله وطلبوا اليه ان يتكىء بينهم فدخل مأخوذا بيده من شدة سكره . ثم حل رباط رأسه ليتوج به اجاثون . وكان سقراط حياله مباشرة ولكنه لم يبصر به وجاء مجلسه بين سقراط واجاثون وقد

تحرك سقراط ليفسح له متكأ . » فلما جلس ضم اجاثون الى صدره ثم توجه وطلب اجاثون الى عبيده ان يحلوا رباط نعليه ليتيسر له أن يتكيء على وسادة واحدة بين سقراط واجاثون فقال السيباديس للمسمع أنه ثالث اثنين على وسادة واحدة إلى أود ذلك ولكن من يكون ثالثنا ثم التفت فأخذت عينه بسقراط فطفر السيباديس وصاح أى هرقل ! من هذا الذى أرى . أنت ياسقراط ! متربص لى فى كل مكان ثم تلقانى دائما حيث لا انتظر لقاءك . اما وقد فرغت من هذا فقل لى ماذا جاء بك الى هنا ؟ ولماذا اخترت ان تتكيء فى هذا المكان دون سواه ؟ ولم تختر جوار اريسطوفان أو غيره ممن يتساهلون فى أن يكونوا موضع سخرية بل توصلت بحذق الى الاتكاء بجوار اظرف الحاضرين وأحلاهم ؟ فقال سقراط : هيء ياأجاثون دفاعا عني اننى لا اكتم ان صداقتى لهذا الرجل أمر ويل . فمذ عرفته لم أستطع ان احادث سواه بل لم يتم لى ان انظر الى غيره . فاذا فعلت فانه يثار غيرة شديدة ويستسلم للاغراق فى اظهار استيائه ويندر ان يصون يده عن ضربى . اتوسل اليكم ان تعوقوه عن مثل هذه الفعال فى هذا المجلس . توسط فى

الصلح فقد وكلتك عنى فاذا لم تهدأ سورة غيرته وغيظه فاستعد للدفاع عنى . فقال السيباديس لا أريد مصالحتك وسوف انتهز فرصة أخرى لعقابك على ماحدث منك الليلة . ثم التفت الى اجاثون وقال له اعرنى بعض هذه العصائب لاتوج الهامة العجيبة التى يحملها بين كتفيه ذاك الذى الام على اننى توجتك واغفلته وهو الذى غلب كل الرجال بخطبه ليس امس كما فعلت فحسب بل في كل وقت. قال هذا ثم أخذ بالعصبة وربط رأس سقراط ثم اتكا وقال : أنتم يارفاق فى صحو فلا تضجر وا بل اشربوا لانكم اتفقتم معى على المنادمة . وانى انتخب لهذا المجلس نفسى رئيسا الى أن تسكروا . اجاثون ! الى بكبرى طاساتك ، ولكن لعل هذا الوعاء المملوء نبيذاً مبرداً يكفينى على به ياغلام ! فلما رأى انه يسع أكثر من ثمانى كؤوس عامرة شرب مافيه عن آخره ثم أمر ان يملأ لسقراط ثم قال انتظروا أيها الاخوان انى لا استطيع ان أدبر حيلة على سقراط لأنه يستطيع ان يشرب على قدر رغبة من يشاء ثم هو بعد ذلك لايسكر ولا يفقد توازنه .

فلما ملأ الغلام الوعاء شربه سقراط عن آخره فقال

اريكسما كوس ايبقى شرابنا بغير مسامرة أو طرب فنكتفى بالشراب الساذج خلوا من المؤانسة وهذه خلة الظمآن . فقال السباديس « اريكسما كوس ! لم ارك من قبل التحية ايها الولد البار من والد بار » اجاب اريكسما كوس تحية لك أيضاً ولكن ماذا نحن فاعلون ؟ قال السباديس نفعل ما تأمرنا به لانه ينبغى لنا أن نخضع لارشادك لان الطبيب يعدل مائة من سائر الرجال فمرنا بما تشاء . قال اريكسما كوس قبل أن تدخل علينا اتفقنا على أن يلقى كل منا خطابا بليغا فى الثناء على الحب مبتدئين بالجهة اليمنى وقد قام كل منا بعهده الا انت فقد شربت معنا ولم تتكلم ويجب عليك أن تقوم بحصتك فى الحديث فاذا فرغت من ذلك فما عليك الا أن تأمر سقراط بما تشاء وهو يأمر جاره من اليمين بما يشاء وهكذا دواليا . قال السباديس ان فى اقتراحك نصيبا من العدل يا اريكسما كوس وان كان من الاجحاف ان ترغم السكران على مناظرة من لم يسكروا . ثم هل اقنعك سقراط بصحة ماقال عنى . أم انت لاتعلم ان الاشياء على عكس ما يصورها لنا . فأنى اعتقد بجد انى اذا مدحت فى حضرته الها أو بشراً سواه فلن اسلم من ضربه

ولكنني أؤكد لك ياسقراط انني لن اثني في حضرتك على أحد سواك .

فقال اريكسيماكوس . افعل هذا اذن . امدح سقراط اذا شئت فقال السباديس هل اطعن عليه واعاقبه على مرأى ومسمع منكم جميعا ؟ فقال له سقراط ما الذي تضمره لي ؟ هل عزمت على الهزء بي ووصفي بما ليس في أم ماذا ؟ قال السباديس سأقول الحق ليس الا . اتسمح لي . قال سقراط انني لا اسمح لك بقول الحق وحده بل أشتد في مطالبتك بان تقول الحق كله

السيباديس ـ اطيعك عن طيب خاطر . واذا ذكرت شيئا مخالفا للحقيقة فعقني عن اتمام الحديث واقنعني بخطأي لانني لا أحب أبدا ان أقول غير الحق بعلمي . واحتملني اذالم أذكر الاشياء على ترتيبها الحقيقي بل بترتيب تذكري اياها لانه لا يسهل على من كان في حالي ان يعدد بالنظام والدقة جميع غرائبك وشواذك .

انني ابدأ بالثناء على سقراط بتشبيهه بتمثال معين . لعله يظن انني اذكر هذا التمثال على سبيل السخرية . ولكن

أؤكد لكم ان هذا ضروري لصدق تصوير الحقيقة . أقول ان سقراط يشبه تلك السيلون (١) التي تجلس في مصنع الحفار وتبحث وهي تحمل مزامير فاذا شقت نصفين وجدت داخلها تماثيل الالهة أؤكد ان سقراط يشبه « انسان الغابة » مارسياس . اما ان شكلك ومظهرك يشبهان شكل « انسان الغابة » ومظهره فامر لا تستطيع نكرانه واما أوجه الشبه الاخرى التي بينك وبينه فاسمعها الآن مني . الست شديد السخرية حاد الطبع؟ اذا انكرت هذا فانني مستعد لاثباته بكل الطرق بما في ذلك البينة. الست زماراً؟ بل انك ابرع واحذق في الزمر من مارسياس لان مارسياس وكل من زمر على طريقته انما يسحر الناس بقوة الفم . وأى موسيقار حاذقاً كان أو غير حاذق يطلق هذه الموسيقى فانها وحدها كفيلة بان تسوده على عقول الرجال . ومن ربانية طبيعتها تظهر من كان محتاجا للالهة اوللدخول في حظيرة الاسرار الالهية . ولكنك تختلف عن مارسياس في امر واحد . وهو انك تفوز بمآربك بغير اداة بل

(١) تمثال زوج ام باكوس ممتطيا برذونا

بالالفاظ التي تنطق بها . لاننا اذا سمعنا برقليس أو غيره من الخطباء الفصحاء فلا نأبه له ولكن اذا سمعك أحد أو سمع حديثا مرويا عنك مهما كان الراوى سخيفا رجلا كان أو طفلا أو امرأة فان كلماتك تقع من قلبه اعظم موقع . واذا لم أكن أخشى من شدة سكرى لأكدت لكم قولي بقسم عن الأثر الغريب الذى كان لكلماته فى نفسى لانى اذا سمعته يتكلم فان قلبي يخفق اشد من خفقان قلوب المحتفلين بالخفايا القوريبانية . ثم تجود عيناى بالدموع كلما استمر فى الكلام وقد رأيت مثلى كثيرين يبكون اذا سمعوا كلامه خشوعاً وطربا . لقد سمعت برقليس وغيره من الفصحاء ولكن لم يلحقنى شيء من هذا ولم تضطرب نفسى ولم تمتلىء تأنيبا لذاتها كما لو انها ذلت وأمتهنت وطرحت فى الحضيض كما يصنع بالارقاء ولكن هذا « المارسياس » الحاضر قد فعل بى هذا الذي أصف الى أن احتقرت حياتى واعتبرت أن عيشى لا خير فيه . لا تنكر هذا ياسقراط . لانى أعلم بيقين انني اذا شئت الآن أن أسمع لك فلن أستطيع المقاومة . فتعرونى تلك الهزة التى وصفت ويحدث فى نفسى الاثر الذى ذكرت لانه

يا أصدقائي يضطرني الى الاعتراف بانني على الرغم من حاجتي الى أمور كثيرة أهمل شؤوني الضرورية وأهتم بأمور أهل اثينا فاضع أناملي في اذاني كما يصنع من يخشى سماع فتاة البحر وأفر الى أقصى ما يمكنني خشية من الجلوس اليه فاشيخ وتبيض مفارقي من هول ما أسمع منه . لان هذا الرجل جعلني اشعر بعاطفة الخجل التي ما كان يتهمني بها أحد . وهو وحده يوحي الي الندم والوجل لانني أشعر في حضوره بعجزي عن دحض أقواله . ورفض ما يأمرني به . ولكنني اذا ابتعدت عنه فان المجد الذي يغمرني به الشعب يلهيني ويغلبني فلذا أفر واختفي عنه فاذا رأيته غلبني الخضوع والذل لاهمالي تنفيذ ما اعترفت له بضرورة فعله وكثيراً ما منيت نفسي بفقدانه واختفائه ابداً من هذه الدنيا . ولكن اذا حدث هذا لا قدرت الالهة فان الامي اذن لن يكون لها حد لاجل هذا ترونني لا أدري ماذا افعل بهذا الرجل كل هذا قد تحملته انا وغيري من زمن هذا « المارسياس » ولاحظوا كيف انه يشبه الذي ذكرت كل الشبه وكيف انه ذو قوة عظيمة . اعلموا انه ليس بينكم من يعلم طبيعة سقراط الحقيقية . وحيث انني بدأت

وصفه فاستمر فى اظهار حقيقته لكم. لايخفى عليكم ان سقراط شغوف بعشرة أهل الجمال والاختلاط بهم وانه دائما يتظاهر بالجهل وهذان مظهران يقربانه من سلنوس فى الغاية القصوى وهذا هو يا أصدقائي الشكل الخارجي الذي تدثر به وكأنه فى ذلك أحد تماثيل سيلنوس . فانكم ان شققتم عن مظهره الخارجي اذن لوجدتم الصحو والافاقة والاعتدال والحكمة. لانه لايعنى بالجمال فى ذاته بل يحتقر كل المظاهر الخارجة سواء كانت جمالا أومالا أو مجداً أو أي شيء آخر مما يتهافت عليه الناس ويهشون بعضهم بعضا على أحرازه والتمتع به . وهو يعتبرنا نحن الذين نمجد هذين الشيئين كلاشيء ويعيش بيننا هازئا بكل مايعجب به الناس ويعتزون به. على انني لاأدرى ان كان أحدكم قد هيء له ان رأي التماثيل الالهية الكامنة فى قلب هذا الرجل فتمتع به وهو مفتوح القلب جاد غير هازل اما انا فقد رأيتها فاذا هي على أعظم جانب من الجمال والابهة والفخار لدرجة ان كل شيء يأمر به سقراط لابد من تنفيذه كما لو كان أمره صادراً عن إله لقد كنا رفيقين فى الجندية كان لنا خوان ومقصف امام بوتيديا وقد غلبنى سقراط

وفاقنا جميعا فى تحمل مشاق الحرب . واذ كانت مؤونتنا تشرف على النفاد كما هى العادة فى كل معسكر فلم يكن أحد بيننا باقدر على تحمل الام الجوع من سقراط.ثم اذا توافرت المؤونة لم يكن تلذذ أحد بطعام الجند باعظم من تلذذ سقراط. ولم تكن عادته الافراط فى الشراب برغبة ولكن اذا أرغم فكان يفوقنا فى الشراب بغير سكر والمدهش ان سقراط لم ير أبداً فى حالة سكر بعد اقلال أو افراط .

وفى منتصف الشتاء (وان برد الشتاء لقارس فى تلك الانحاء) كان يحتمل بهدوء صنوفا من المصاعب لا يمكن تصورها. ذلك انه كان اذا اشتد الصريب وبلغ الصقيع درجة لا تطاق بحيث لا يستطيع أحد من الجند الخروج من الخيام فاذا خرجوا تدثروا وتلفعوا باعظم اعتناء ولفوا أقدامهم وأرجلهم بالجلود كان سقراط يخرج بقبائه العادي ويسير حافيا على الجليد ثم يمشي باسهل ممن يدفئون أقدامهم على ماذكرت حتى ان الجند كانوا يظنون انه يفعل ذلك ليهزأ بهم لعدم تجلدهم فى الشدائد . ويحسن بي ان أجي ذكر كل ماقام به هذا الرجل وكل ما تحمله أثناء تلك الحملة الحربية . فقد روي مرة فى

الصباح واقفا فى مكان معين غارقا فى التأمل. وكان يبدو عليه انه عاجز عن حل المعضلة التى عرضت له واستمر وقوفه على هذه الحال حتى الظهر وقد رآه الجند وتهامسوا فيما بينهم من أنهم رأوه واقفا منذ الصباح . ثم جاء بعض رجال أيونيا الي تلك البقعة ثم تعشوا واحضروا اغطيتهم من الصوف وناموا فى العراء لان حر الصيف الجاًم لهجرة الخيام . وقد لاحظوا أن سقراط بقي واقفا على حاله الاولى طول الليل حتى الصباح فلما اشرقت الشمس حياها بصلاة ثم تحرك من مكانه وانصرف

ولا يليق بي أن اغفل ذكر شجاعته فى الحروب فانه في تلك الموقعة التى حبانى بعدها القواد بوسام الاقدام كان سقراط هو الذى انقذ حياتى فانا مدين له بنجاتى وسلامتى لانه وقف بجانبي اذ كنت جريحا فصان حياتى وحمى اسلحتى من يد الاعداء وقد الححت اذ ذاك على القواد أن يعطوا القوس بار يهافيقلدوه ذاك الوسام لجدارته به وانت يا سقراط لا تنكر ان القواد شاءوا أن يحابوا رجلا من طبقتى فعزموا على تقليدى ذاك الوسام كذلك كنت أشد رغبة منهم فى منحهم اياي الجائزة .

ولما هزم جيشنا وتشتت جموعه ايدى سبا في (دليوم) كان منظر سقراط رائعا عجيبا خليقا بأن لا ينسى وكنت راكبا وكان هو من المشاة ومثقلا بالاسلحة فلما اسفرت هزيمتنا عن

فناء جيشنا تقهقر سقراط ولاشيز فادركتهما وشجعتهما عرافتي فما كان اعظم الفرق بين سقراط ولا شيز فى سمو النفس وحضور البديهة والشجاعة. ولم تخطىء كثيرا يا اريسطوفان في تمثيله على المسرح اذ كان يسير بثبات وينظر حوله برزانة وتؤدة آخذا بنظراته الهادئة اصدقاءه واعداءه بلا فرق بحيث كان يظهر للبعيد عنه قبل القريب أن من يجازف بمهاجمته سوف يلقى مقاومة المستميت. وقد نجا وفريقه بسلام بفضل ثبات جأشه لان الجنود المتقهقرة تقتفى آثارها وتقتل ولكن العسكرى المنتصر يتردد دون أن يمس رجلا كسقراط كانت نظراته وثباته على ما ذكرت رغما عن انهزام طائفته

أن لسقراط من الخلال العجيبة ما يستحق الثناء ولكن بعضها مشترك بينه وبين غيره من الناس ولكن ذاك الذي يميزه عن غيره هو مخالفته جميع الرجال وكونه ارفع من أن يقارن بهم فلان براسيداس كان مثل آخيل وبرقليس يقارن بنسطور وانتنور وكثيرون من الاقدمين تمكن مقارنتهم برجال من نوعهم أما سقراط بشخصه وخطبه فلا يمكن تشبيهه باحد الا اذا شبهناه بسيلنوس وانسان الغابة. أن من يسمع حديث سقراط يخيل له فى اول الامر انه مضحك جداً فان الالفاظ والجمل والتعبيرات التى يستعملها تدل على أنه ساتير

لعوب (ساتير هو مخلوق خرافى نصفه انسان ونصفه ماعز) فهو لا ينفك عن ذكر حمير السوق وصب النحاس وقطع الجلد فاذا سمعه بليد غير واع فانه يضحك منه. فاذا أتيح للسامع أستنباط المعانى الخفية من عباراته الظاهرة تبين له انها خير مايقال ويسمع وأن كل ما عداها مما يستأذن على الاذن لاقيمة له في جنبها وانها معان عميقة فاتنه مقنعة روحانية المنحى وانها تطرح أمام فكر السامع صوراً بديعة فاخرة وانها تؤدى بالعقل الى أسمى درجات التفكير هذه هى الصفات السقراطية التى دعتنى الى امتداحه والثناء عليه. فلما فرغ السيباديس طرب الجماعة وضحكوا من حرية فكره اما سقراط فقال:

«يلوح لى أنك صاح يا السبياديس والا ما تيسر لك أن تتم هذه الدورة الكلامية وأنت تضمر غايتك وتخفيها وراء الفاظك التى عليها مسحة البساطة وحسن النية وحقيقة مرادك التفريق بينى وبين أجاثون أنت تظن انه يجب على أن أكون صديقك دون غيرك والا ما أحتلت لاختلاق هذه الرواية الساتيرية السيلنية (نسبة الى ساتير وسلينوس). ولكن ياعزيزي أجاثون حذار من حيلته وأتوسل اليك أن لا تجعل أحدا يفوز بالتفريق بينى وبينك» قال أجاثون لاشك فى مقاصده فقد جاء وجلس بيننا ليفرق بينى وبينك وها أنا أدنو منك لاكون بجانبك

دونه قال سقراط هذا مكان لك فى جنبي فصاح السبياديس أيها المشترى ما أشد ما احتمل من ذلك الرجل ! أنه يريد الغلبة فى كل سبيل . أرجوك أن تترك أجاثون بيننا. قال سقراط هذا محال لقد مدحتنى لانى على يمينك وواجبي يقضى بان أمدحه لجلوسه عن يمينى . اما اذا جلس بجانبك فسيقتضى مجلسه أن يثني على قبل أن أثنى عليه فقال أجاثون دعني ياالسباديس أغير مجلسى لافوز بمدح سقراط أياى ثم نهض أجاثون وجلس بجانب سقراط ولم يوشك أن يفعل ذلك حتي غشي المجلس جماعة من السكارى فاختلط الحابل بالنابل واضطرب نظام المجلس فانسحب أريكسيماكوس وفيدورس وغيرهما

قال اريسطوديمس — اما أنا فقد غلبنى النوم ولم أتيقظ الا لدى صياح الديك واذا باريسطوفان وأجاثون وسقراط لا يزالون يشربون ويتبادلون فيما بينهم طاسا واحدة وكانوا يتناقشون وقد انتهت مناقشتهم بان قال سقراط لصاحبيه أن من يقدر على وضع الرواية المحزنة قادر على وضع المبهجة لان أصول الصنعتين (التراجيدى والكوميدى) واحدة ثم نام أجاثون واريسطوفان اما سقراط فلم ينم فقد نهض وتبعته الى أن بلغ ليسيوم فاغتسل كعادته وقضى يومه وعند المساء ذهب الى أهله.

انتهت مائدة أفلاطون وكل نسخة بختم المؤلف والناشر

الإشراف اللغوى : حسام عبد العزيز

الإشراف الفنــــى : حســن كامــــل





مائدة أفلاطون

كلام فى الحب

منقول عن الحكيم اليونانى

يسرنا أن نضع بين يدى القارئ العربى ترجمة لمحاورة المأدبة "مائدة أفلاطون" التى قام بترجمتها محمد لطفى جمعة (1886 - 1953) أحد الكتاب المتميزين فى بداية القرن العشرين.

تعتبر "مائدة أفلاطون" أو المأدبة المحاورة الثانية بعد محاورة فيدون التى افتتح بها أفلاطون محاورات النضج، وهى الموازية لإبداع الأكاديمية والتى تظهر فيها الأفكار الأساسية لفلسفته حيث تقف محاورات النضج بين المحاورات السقراطية الأولى من جهة ومحاورات الشيخوخة من جهة أخرى. والمأدبة هى الأكثر شهرة بين المحاورات إذ تتتابع فيها الخطابات التى تقوم بمدح الحب. يصفها مؤرخو الفلسفة اليونانية بأنها تجمع بين الجدة والجلال، وتتواصل فيها الكوميديا حتى الهزل كما تـ
بين النظر والشعرية والمسرحية. وفوق ذلك فهى نص أساسى فى الفـ
لأن الموضوع الذى تتم مقاربته هنا هو الحب. والفلسفة التى تقوم بتعـ
تقول بأنها محبة الحكمة وليس امتلاكها. يشكل أطراف المحـ
أشخاص معاصرون لأفلاطون يسعون إلى إبراز ما يتمتع به سقراط
حكمة. والحب الذى يتحدثون عنه بداية هو الإيروس بينما تـ
أفروديت الحب بين الرجال والنساء.

